الشيخ حسن فؤاد حمادة

مكتبة
مؤمن قريش
moamenquraish.blogspot.com

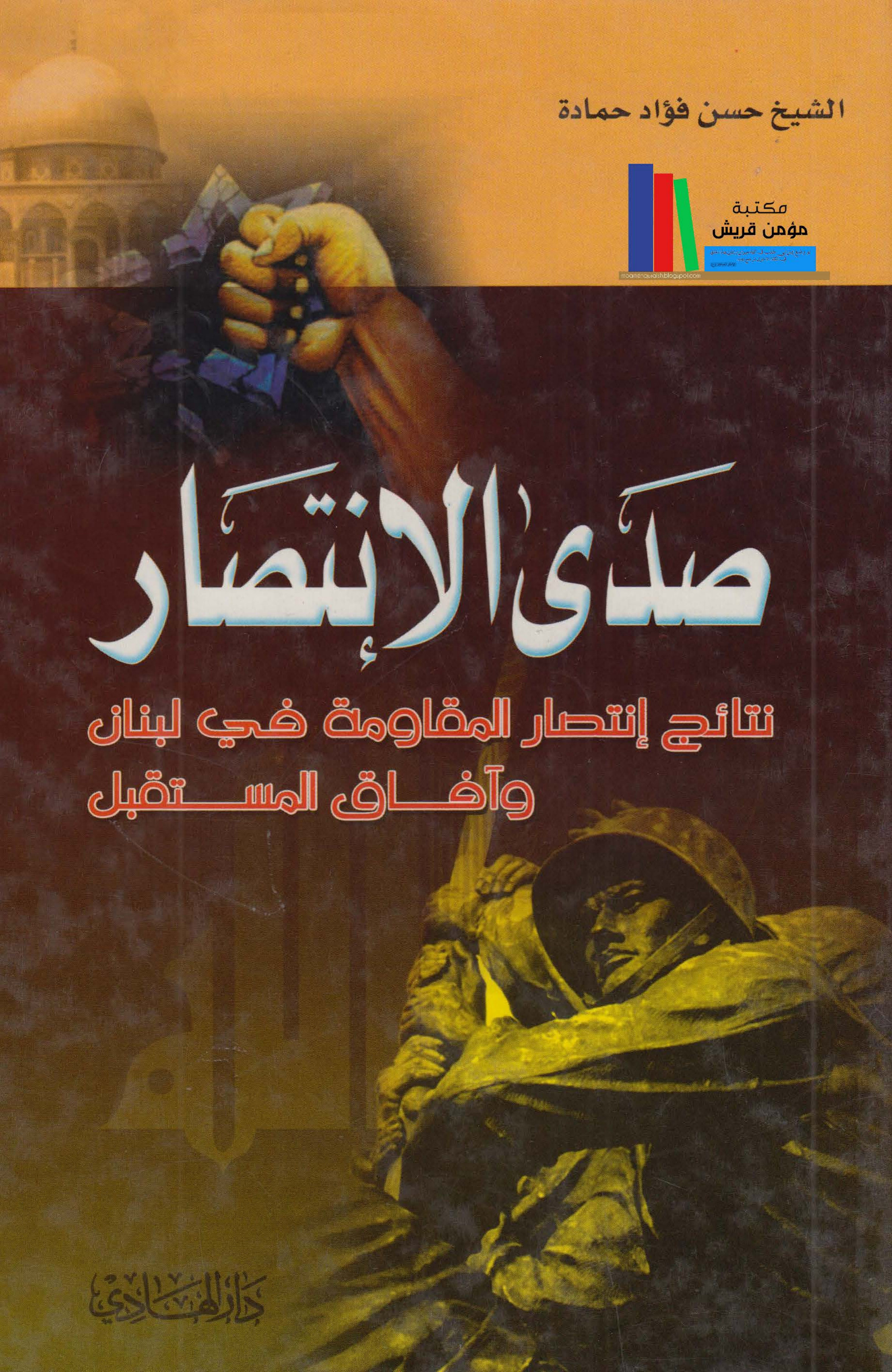

صدى الإنتصار

نتائج إنتصار المقاومة في لبنان وآفاق المستقبل

دار الهادي

صدى الانتصار

جَميع الحُقوق محفُوظة

الطّبعَة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ ـ ٠٣/٨٩٦٣٢٩ ـ فاكس: ٥٤١١٩٩ ـ ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

الشيخ حسن فؤاد حمادة

صدى الانتصار

نتائج انتصار المقاومة في لبنان وآفاق المستقبل

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد كان انتصار المقاومة في لبنان بقيادة حزب الله على «إسرائيل» في شهر أيار من العام ألفين، حدثاً كبيراً ومدوياً، ترك بصمات قوية على الكثير من الأحداث وتطورات الأوضاع في لبنان وفلسطين المحتلة والمنطقة، إن لم يكن في العالم كله.

فمنذ الساعات الأولى لهذا الإنتصار بدى وكأن المنطقة تتهيأ لاستقبال متغيرات جديدة، وأوضاع مختلفة ما كانت لتحدث لولا هذا النصر المظفر، الذي قلب المعادلات وبدل القواعد وخلط الأوراق كما لم يحصل منذ زمن طويل في المنطقة العربية.

وبينما كانت الأسابيع والشهور تنقضي عن هذا الحدث الكبير، كانت تتبدى أكثر فأكثر أصداء ونتائج الانتصار، فلا يكاد يمضي زمان قصير إلاً ويحمل معه المزيد من الشواهد والدلالات على أنَّ انتصار المقاومة على «إسرائيل» في لبنان عام ألفين، لم يكن انتصاراً عادياً لتكون نتائجه عادية، بل كان انتصاراً استثنائياً ومميزاً، بحيث عُدَّ الانتصار «الحقيقي» العربي الأول الذي ألحق هزيمة كبيرة ومحققة، ليس بالجيش الإسرائيلي فحسب، بل بالمشروع الصهيوني برمته، والأهم إن هذا النصر تم على أيدي مقاومة شعبية، قدمت عبر سنوات جهادها تجربة فذة يمكنها أن تُعمم على باقي الأقطار

العربية المواجهة «لإسرائيل» ما يحتم النصر النهائي وينهي العدوان الإسرائيلي والإستعماري في المنطقة العربية.

كتاب «صدى الانتصار» كان لرصد وتحليل الأحداث والنتائج التي حدثت بفضل هذا الانتصار الإلهي المظفر خلال مدة ثلاث سنوات بعد التحرير، وإن كانت هذه المدة غير كافية لظهور كامل نتائج الإنتصار، غير أنها كافية لتحليل وعرض كمٍّ لا بأس به من الأحداث والتطورات التي ارتبطت بهذا الحدث التاريخي على نحو كلي أو جزئي.

كما أننا ومن خلال عرض النتائج وتحليل الأحداث وربطها نأمل أن نؤشر إلى مسار الأحداث في المستقبل، ونستشرف لزمان قد لاح فجر انبعاثه من شمس الحرية الساطعة في أيار والواعدة بالإستقلال والتحرير.

وألفت القارىء الكريم إلى أن الكتاب ليس كتاب توثيق أو تاريخ وإن كان يوثق ويؤرخ عَرَضاً لبعض الأحداث والتفاصيل، إنما هو كتاب يرصد ويحلل أحداثاً تتالت خلال سنوات ثلاث بعد النصر والتي يمكن تصنيفها في خانة تداعياته وآثاره، ويعكس الأجواء التي رافقت حدث التحرير في لبنان عربياً وعالمياً، وذلك بغية حفظ هذه الحقائق الثابتة والرائعة، وإيصالها بأمانة لأجيال الحاضر والمستقبل، ولكي لا يتعرض هذا النصر الإلهي العظيم لظلم التاريخ المرير.

وبصدور كتاب «صدى الانتصار» تكتمل «مجموعة الانتصار الخالد» والتي تشمل إضافة لـ«صدى الانتصار» كتاب «أيام الانتصار» الذي يتناول يوميات وأحداث التحرير في جنوب لبنان

وكتاب «سر الانتصار» الذي يتناول الخلفية الجهادية الإيمانية للمقاومة الإسلامية في لبنان ويجيب عن السؤال الكبير الذي فرض نفسه وهو لماذا وكيف تمكن حزب الله من أن يهزم الجيش الذي يقال عنه بأنه لا يهزم؟.

سائلاً المولى العزيز أن تساهم هذه المجموعة «مجموعة الانتصار الخالد» في حفظ هذا الانتصار الكبير، وبيان حقائقه وأسبابه وأبعاده وإيصالها لجيلنا والأجيال القادمة.

المؤلف

الفصل الأول

لبنان في رحاب التحرير

تمهيد

تحرير الأرض والإنسان

استعادة المدن والقرى المحتلة

استعادة إنسان الوطن

الأرض مع الكرامة

استعادة الإرادة والقرار

بنادق المقاومة ترسم الحدود

حرب المياه

أيار ٢٠٠٠ يتجدد

تحقيق الأمن وتعزيز الوحدة الوطنية

تمهيد

الخامس والعشرون من شهر أيار من العام ألفين كان اليوم الأول الذي يمرُّ على لبنان وقد استعاد لبنان العشرات من المدن والبلدات والقرى العزيزة بأهلها الأحبة إلى حضن الوطن، وذلك بعد غربة قسرية فرضها الإحتلال دامت أكثر من عشرين عاماً، وإلى الأرض والإنسان استعاد لبنان ابتداءً من ذلك اليوم الأغر، اللحمة الوطنية والكرامة والأمن واستقلالية القرار والإرادة، وهذه أمور لا تقل أهمية عن الأرض على الإطلاق إن لم تكن تفوقها أهمية، لذا كان الخامس والعشرون من أيار عيداً وطنياً كبيراً بحق، إنه العيد الذي يتم الإعلان من خلاله عن دخول لبنان في رحاب التحرير والإنعتاق من سطوة المحتل الإسرائيلي الذي واجهه لبنان بمقاومة جدية وصلبة دامت أكثر من ثمانية عشرة عاماً، قدم خلالها لبنان تضحيات غالية ودماء زكية، قدم آلاف الشهداء الأعزاء وعشرات الآلاف من الجرحى والأسرى والمفقودين، فضلاً عن تحمل الشعب لعبء دمار هائل في المدن والقرى والبنى التحتية والإقتصاد الوطني.

في يوم التحرير والإنتصار والمقاومة كانت الفرحة والبهجة نيابة عن كل هؤلاء المضحين وباسمهم ومن أجلهم وبسببهم ولنا

جميعاً، وسيبقى يفرح لبنان ومعه كل المحبين في كل سنة للنصر الخالد الذي فتح أبواب الحرية الغالية أمام الشعب اللبناني فكانت الحرية أغلى ثمرة لانتصار دماء الشهداء.

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق[1]

في هذا الفصل من الكتاب سأعرض لأهم النتائج الفورية والمباشرة للإنتصار على مستوى الوطن، من تحرير الأرض والإنسان مروراً باستعادة الإرادة والقرار واستنقاذ المياه إلى تحقيق الأمن وتعزيز الوحدة الوطنية... وهي نتائج وثمار عزيزة وغالية جداً وذات قيمة كبرى. لذا يجب أن لا يغيب عن أذهان اللبنانيين جميعاً عظمة هذه المنجزات الوطنية والتي ما كانت لتكون لولا دماء الشهداء وتضحيات المضحين وجهود الصادقين، والتي تضافرت جميعها فتحقق هذا النصر المظفر. وليبقى ٢٥ أيار عيداً لكل تلك المعاني السامية، والتضحيات الجليلة والحرية الغالية، وليبقى يوماً للمقاومة والتحرير واستعادة الوحدة الوطنية.

---

(١) شوقي، أحمد: من قصيدة «نكبة دمشق».

تحرير الأرض والإنسان

بين الأرض والإنسان أكثر من علاقة قربى عادية، فالأرض هي الأم والمنبت والمآل والمرجع للإنسان، وخاصة عندما تكون الأرض هي القرية والبلدة ومسقط الرأس ومحط الذكريات، والشريط المحتل لم يكن لابن الجنوب أو ابن البقاع صحراء قاحلة ولا أرضاً زائدة عن الحاجة، بل كان الوطن الذي سطر فيه الآباء والأجداد أروع التجارب للحضارة الإنسانية وزُرعوا فيه كما السنديانة القديمة، مضحين بدمائهم من أجل صونه وحفظه للأجيال الآتية، وهي أرض مقدسة باركها الله تعالى فيما بارك من أرض مقدسة حول القدس الشريف وفي أكنافه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[1]، وتجلت البركة الإلهية الخاصة هذه في الأرض طبيعة وجمالاً وهواء وخضرة وتربة فكانت ولا أروع. وإنسان هذه الأرض العاملية هو إنسان مثقف ومؤمن واعٍ لا يبيع ترابه بكل تراب العالم ولا يفرط بحقه مهما جار الزمان وهو صاحب حضارة ورسالة هي الأبهى بين الرسالات، وهو من أتباع مدرسة علم سيدها العالم كيف يموت

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

واقفاً ولا يستسلم للذل والهوان. لهذا كله ولأشياء أخرى، كانت العلاقة بين أرضنا وإنسانها علاقة عشق ومصير وعلاقة تضحية ووفاء، فكانت المقاومة فعل العزم الذي لا يلين وكانت الإرادة إرادة العاشق حتى الشهادة، فكان التحرير وكان الإنتصار فتحررت الأرض وتحرر إنسانها معها.

لمحة في جغرافية الشريط

«الشريط المحتل»، «الحزام الأمني»، «المنطقة العازلة» وأسماء أخرى لبنانية المنشأ أو من صنع الإحتلال تعبر عن جزء محتل من الوطن، تمّ تحريره في أيار من العام ٢٠٠٠.

«مساحته ٩٣٣ كلم مربع، وتشكل هذه المساحة حوالي ٤٥٪ من مساحة الجنوب اللبناني البالغة بدورها ٢٠٠٠ كلم^{2} تقريباً. كما تشكل ١٠٪ من مساحة لبنان البالغة ١٠٤٥٢ كلم^{2}.

تتوزع منطقة الشريط المحتل من حيث التقسيم الإداري على محافظتي الجنوب والبقاع، ضمن الأقضية التالية: صور، بنت جبيل، مرجعيون، النبطية، جزين، البقاع الغربي وحاصبيا.

تضم منطقة الشريط حوالي ١٠٨ ما بين قرية وبلدة ومدينة و٦٣ مزرعة، وتمتد من الناقورة على ساحل البحر الأبيض المتوسط غرباً مروراً بالقطاع الأوسط (معظم مناطق قضاء بنت جبيل) إلى مرجعيون وصولاً إلى مدينة جزين والقرى المحيطة بها من جهة الشمال ثم بالإتجاه إلى منطقة حاصبيا، إنتهاءً بمرتفعات شبعا، كفرشوبا وعدد من قمم وسفوح جبل الشيخ من جهة الشمال الشرقي. وتجري ضمن المنطقة المحتلة ثلاثة أنهار هي: الليطاني،

الوزاني والحاصباني، هذا إضافة إلى الينابيع الكثيرة الموجودة هناك»[1].

استعادة المدن والقرى المحتلة

بتحرير الجنوب من الإحتلال تكون عشرات المدن والقرى والبلدات قد استعيدت إلى حضن الوطن، وأهم هذه المدن والقرى ما يلي: بيت ياحون، بيت ليف، رامية، عيتا الشعب، كونين، الطيري، القوزح، بنت جبيل، مارون الراس، عيترون، عيناتا، يارون، عين إبل، دبل، رميش، حانين، ميس الجبل، بليدا، محيبيب، حولا، رشاف، صربين، كفرتبنيت، طلوسة، مركبا، بني حيان، العديسة، الطيبة، رب الثلاثين، دير سريان، عدشيت، القنطرة، كفركلا، الجديدة، مرجعيون، القليعة، دير ميماس، الخربة، دبين، بلاط، الخيام، حاصبيا، شبعا، كفرشوبا، الحمرا، البياضة، شمع، طير حرفا، شيحين، الجبين، يارين، الظهيرة، البستان، مروحين، الزلوطية، علما الشعب، الناقورة، أم التوت، عرمتى، الريحان، سجد، العيشية، مليخ، الجرمق، كفرحونة، جزين، بسري، أنان، روم، الحمصية، ريمات، صيدون، بكاسين.

فيما لا زالت بعض القرى ترزح تحت الإحتلال من قبيل العباسية والغجر (الجزء اللبناني منها)، إضافة إلى القرى السبع هونين، قدس، المالكية، إبل القمح، النبي يوشع، صلحا وطربيخا، والتي يملك لبنان الإثباتات القانونية التي تؤكد لبنانية هذه القرى بل وعشرات غيرها في سهل الحولا، هذا فضلاً عن مزارع شبعا الإستراتيجية.

---

(١) جريدة العهد: العدد: ٨، تشرين أول ١٩٩٩، ص٥.

وتعد بعض المدن والبلدات المحررة من المدن والبلدات الكبيرة والهامة والتي كان لبعضها الأدوار السياسية والاقتصادية والدينية في تاريخ جبل عامل والمنطقة.

فمدينة بنت جبيل مثلت لفترات طويلة عاصمة لما كان يسمى ببلاد بشارة، بينما شكلت مدينة الخيام إلى جنب أهميتها الزراعية والإقتصادية رمزية خاصة لشمولها على معتقل الخيام الرهيب، والملاحظ أن معظم القرى والبلدات المحاذية للشريط الشائك مع فلسطين المحتلة هي قرى وبلدات كبيرة ذات كثافة سكانية وانتشار عمراني واسع مثل الخيام، كفركلا، العديسة، مركبا، ميس الجبل، عيترون، بنت جبيل الخ وهذا يعطي لهذه المناطق الحدودية بعد التحرير قوة وأهمية لجهة الصمود مقابل الإعتداءات والتهديدات الإسرائيلية القائمة، ومن الجدير ذكره أن معظم هذه القرى والبلدات شهدت بعد التحرير حركة عمران واسعة وسريعة ما زادها مساحة في العمران وعدداً في السكان ومنعة وقوة، ومع الأسف لم تشهد هذه المناطق حركة موازية على مستوى عمران البنى التحتية والتي كان على الدولة القيام بها.

كما ينبغي الإشارة إلى أن عدداً من القرى المحتلة والتي تمّ تحريرها كانت قد تعرضت لتدمير شامل من قبل العدو أزالها عن خارطة الوجود، مثل حانين وميدون وسجد، ولكن بحمد الله وبفضل جهود أهلها والخيرين فقد تم إعادة بنائها بشكل سريع ولائق، ولعل ظاهرة السرعة في إعادة بناء هذه القرى المجاهدة والمدمرة هو أحد مظاهر الانتصار الفذة ومؤشر على النتائج المباركة للنصر العظيم، بينما لا زالت بعض القرى التي دمرت جزئياً تنتظر حركة الإعمار التي تأخرت على ما يبدو حتى الآن ومن هذه القرى

على سبيل المثال لا الحصر قرية القنطرة (بوابة التحرير الأولى) والتي كان العدو الإسرائيلي قد دمّرها عام ١٩٧٨.

وتقف قرى وبلدات مثل كفرشوبا وشبعا وأخواتها شامخة في وجه الإعتداءات الإسرائيلية المتمادية في منطقة مزارع شبعا، لتواصل هذه البلدات بعد التحرير مسيرة التصدي والصبر مع المقاومة التي أبت التوقف وهناك أرض محتلة. ورغم التدمير الشامل للقرى اللبنانية السبع وتحويلها إلى مستوطنات يهودية يصرّ أهالي تلك القرى على التأكيد بأنهم يملكون الصبر والعزم والمثابرة حتى تحرير قراهم وهم لا يألون الجهد في اكتساب أي فرصة للتشبث بأرضهم ولو كانت بضع مئات من الدونمات غير المعمورة كما حصل بالنسبة لأهالي هونين المحتلة.

كان بودي تحت عنوان استعادة المدن والقرى أن أتوسع أكثر للحديث عن كل بلدة وقرية محررة وعن تاريخها وخصوصياتها وما تعانيه بعد التحرير، غير أن هذا الأمر يحتاج إلى كتاب مستقل، وإلى جهد مضاعف قد لا أملك القدرة عليه، ومن باب ما لا يدرك كله لا يترك جله، سوف أتناول بعض القرى بالإشارة إليها وإلى ما تعانيه من قضايا ومشاكل ولا سيما تلك القرى التي لا زالت محتلة أو تلك المجاهدة والمدمرة مع التقدير بأن كل قرية في جنوب لبنان أو بقاعه الغربي تمثل لبنان بكافة قراه ومدنه.

الغجر

بالأساس هي بلدة سورية محتلة في هضبة الجولان وذلك منذ العام ١٩٧٦، امتدت عملية البناء في القرية طيلة سنوات الإحتلال حتى وصلت إلى الأراضي اللبنانية، بحيث أصبح أكثر من نصف

البلدة مبنياً فوق الأراضي اللبنانية المحتلة، وبهذا أصبح هناك ما يعرف ببلدة «الغجر اللبنانية» «إنَّه الجزء اللبناني من بلدة الغجر الحدودية، قسمها الخط الأزرق إلى جزئين، الجزء الجنوبي بيد الإحتلال والجزء الشمالي اللبناني بيد المجلس المحلي المعين من قبل الإحتلال أيضاً، وهذه المنطقة الوحيدة على امتداد الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة التي لا يوضع فيها على الخط الأزرق سياج فاصل بين الجانبين وذلك لأسباب إنسانية تتعلق بأهالي الغجر الذين رفضوا تقسيم البلدة وبالتالي عزل قسميها عن بعضهما البعض، لبنان وافق على عدم التقسيم لدواع إنسانية مشترطاً عدم وجود أي منشآت أو حركة إسرائيلية داخل الجزء اللبناني من البلدة وبالتالي فإنه يحق للبنانيين دخول أرضهم متى شاؤوا.

هذا الواقع لم يتم تحقيقه بالكامل على الأرض، رغم انكفاء المظاهر العسكرية وذلك لمجموعة أسباب أهمها، أولاً: بناء السياج الشائك باستثناء البوابة الجنوبية التي يتحكم بها قوات الإحتلال، ثانياً: عدم وجود طريق يؤدي إلى الجانب اللبناني بسبب إقفال البوابة التي توصل إليه من بلدة الوزاني، ثالثاً: إقفال بوابة بلدة العباسية المحتلة بدورها والتي تؤدي إلى البلدة أيضاً»[1].

كل هذه الأمور ساهمت بشكل أو بآخر بتنفيذ مآرب الإحتلال بمنع دخول اللبنانيين إلى الجزء المحرر من الغجر. وستبقى مشكلة الغجر اللبنانية معلقة على ما يبدو حتى زوال الإحتلال من الجولان السوري.

---

(١) جريدة الانتقاد: العدد ٢٠٠١/٦/٢٩، ص٤.

العباسية

قرية لبنانية حدودية احتلت في العام ١٩٧٦، وقد هدمت معظم بيوتها: «في الخامس والعشرين من أيار ٢٠٠٠، تحررت معظم الأراضي الجنوبية لكن «العباسية» لم تعد بالكامل. وجاءت عملية ترسيم الحدود لتسفر عن تحرير سبعمائة دونم فقط من أصل عشرة آلاف دونم هي مساحة البلدة الحقيقية. بدأ أهالي العباسية يستعدون للعودة إلى ما تحرر من بلدتهم فإذا بقوات الطوارىء تقفل بوابة الشريط وتقيم موقعاً لها عند المدخل الشمالي، ورغم محاولات عدة للدخول والعودة إلا أن ذلك كان يبوء بالفشل...

يوم الأحد الخامس من آب ٢٠٠١ كانت العودة الميمونة لبعض أهالي القرية إلى الجزء المحرر منها، عادوا ليبنوا بيوتهم ويزرعوا أرضهم غير أن الإحتلال الدفين المتمثل بالألغام المنتشرة بكثافة في البلدة، حال دون الوصول إلى الغاية المنشودة، ولا زال الأهالي يطالبون الدولة اللبنانية بالإسراع في إزالة مخلفات الإحتلال كي يتسنَّىٰ لهم أن ينهضوا بالبلدة، وعلى أمل التحرير الكامل لتراب بلدتهم»[1].

حانين

القرية الشهيدة والشاهدة بتاريخها الجهادي حتى الإستشهاد وبالمجازر المريعة التي ارتكبها العدو وعملاؤه بحق أبنائها الذين رفضوا التعامل مع العدو فامتلأت آبار القرية بالجثث المدفونة فيها. وحانين البلدة التي أبت بيوتها أن تبقى حية بعد ساكنيها الشهداء فكانت البيوت بدورها شهيدة وشاهدة.

---

(١) مقتبس من جريدة الانتقاد ١٠/٨/٢٠٠١، ص٤.

عندما مررت في حانين يوم التحرير ٢٥ أيار ألفين، لم أشاهد أي أثر للحياة على امتداد أرضها المترامية بين قرى رشاف، حداثا، دبل، عين إبل ورميش. فقط كانت مجموعة صغيرة من الخيام ترتفع بشموخ وتصميم في وسطها لتدلك على الإرادة بإعادة الإعمار... واليوم وبعد مرور ثلاث سنوات على التحرير تمر بحانين البلدة العامرة ببيوتها ومساجدها الشاهدة على أن النصر كان نصر الله، وعطاءً لأهلها المليئين بالعزم والثورة والوعي، وهذا ليس غريباً على أهل بلدة قضى الكثير منهم شهداء ولم يهنوا ولم يحزنوا.

حانين اليوم بعد ثلاثة أعوام من التحرير شاهد فذ على استعادة قرانا الجنوبية إلى الوطن.

ميدون

«أن يستشهد الإنسان في سبيل قضية فذلك طبيعي، لكن الخارج عن المألوف هو أن تستشهد قرية بأكملها من أجل حماية قرى بكاملها، وهذا ما حصل في ميدون التي جمعت بين الاسم والفعل فكانت ميدان الجهاد والشهادة حين تآخى الحجر فيها مع المجاهدين الذين أحبت واحتضنت، فتلقت ما تلقت من ضربات وهجمات توالت مرة بعد أخرى إلى أن جاء العام ١٩٨٨ حين تعالت مع أبطال المقاومة الإسلامية وأقسمت معهم أن لا يدخلها الغاصب وفيها حجر كما أقسم مجاهدو المقاومة الإسلامية الذين كتبوا على إحدى صخورها بدمهم «سقطنا شهداء ولم نركع، انظروا دماءنا وواصلوا الطريق»، وبالفعل لم يتمكن الصهاينة من دخول البلدة إلا بعد استشهاد المجاهدين المدافعين عنها، وتدمير آخر حجر مبني في البلدة فكانت شهيدة لم يتمكن أهلها من الإفطار في

شهر رمضان في حنايا بيوتها ولم يقم لها أحد العزاء اللهم إلاَّ من وهبوها دماءهم وحياتهم. وحفظ المجاهدون وصية الشهداء فواصلوا الطريق وأثمر صبرهم وتضحياتهم نصراً مؤزراً وتحريراً مشرفاً وعاد الأهل إلى قراهم المحررة وبيوتهم التي هجروها رغم تضررها، إلا أن أهالي ميدون عادوا ليس إلى البيوت، إنما إلى ظلال الأشجار التي بقيت عاصية على المحتل وإلى أطلال لم تعد موجودة، افترشوا الأرض والتحفوا السماء وصوتهم دوى في أرجاء ميدون من حقنا أن نعود إلى أرضنا ومن حقنا أن نطمئن إلى مستقبل أولادنا»[١].

وها هي ميدون اليوم وبعد ثلاثة أعوام على التحرير تعود بيوتها لتقف شامخةً في وجه المحتل الغاصب ولتؤكد من خلال شهادتها ومن ثم عودتها إلى الحياة إن عصر الإحتلال لا بد له من زوال مهما طال ليله، ولتؤكد لكل طلاب الحرية في العالم أن الحرية لا تنال بغير تضحيات كما هي تضحيات ميدون.

القرى السبع

«في الثاني والعشرين من شباط عام ١٩٢٢ أبرمت اتفاقية (بوليه نيوكامب) بين بريطانيا وفرنسا، وبموجب هذه الإتفاقية اقتطعت القرى الجنوبية السبع وألحقت بدولة فلسطين وهي: إبل القمح (نبحا) صلحا، هونين، قدس، النبي يوشع، المالكية، طربيخا. وفي العام ١٩٤٨ حلت النكبة بهذه القرى عندما احتلتها «إسرائيل» فهجرت أهاليها ودمرتها ودثرت معالمها ووزعت أراضيها ومزارعها على الصهاينة المستعمرين، وأقامت على أراضي هذه

---

(١) العهد: ٩ حزيران ٢٠٠٠، ص٧.

القرى مستعمرات بأسماء عبرية مستحدثة حلت محل أسمائها التاريخية الأصلية وذلك إمعاناً في إزالة الصبغة العربية لا عن ترابها فحسب بل عن ذاكرة أهلها أيضاً.

إن نظرة الصهيونية إلى القيمة الإستراتيجية لمواقع القرى السبع كانت كفيلة بالتخطيط للسيطرة عليها في مراحل لاحقة، فهي من ناحية لن تسمح لهذه القرى بتهديد خاصرتي المنارة والمطلة من القرى السبع، وفي المقابل فإن مزايا أخرى قد أعطت للقرى السبع قيمتها إذ لا يخفى ما لآثار قدس ومرجها المعروف من قيمة، ثم قلعة هونين ومسجدها وموقعها الإستراتيجي المطل على سهل الحولة ثم موقع طربيخا المطل على القرى اللبنانية البعيدة نسبياً. كل هذه الخصائص أعطت القرى السبع أهمية لا يمكن فصلها عن دائرة التفكير الصهيوني بتعديل الحدود، علماً بأن القرى السبع كانت ضمن نطاق دولة لبنان الكبير ولكن اتفاقية «بوليه نيوكامب» المشار إليها آنفاً قد سلخت هذه القرى عن لبنان الكبير وألحقتها بفلسطين دون أخذ رأي السكان أو استفتائهم، وظل سكان هذه القرى يحملون جنسيتهم اللبنانية منذ ولادة لبنان الكبير وحتى دخول الاتفاقية حيز التنفيذ في ٣٠ آب ١٩٢٤ عندما تم ضمها رسمياً إلى فلسطين.

... اليوم وبعد زوال الإحتلال عن معظم القرى الجنوبية عاود أهالي القرى السبع المطالبة بقوة باسترجاع أرضهم أسوة بباقي أبناء الوطن»(١) وهم يتشبثون بمطلبهم هذا وبقوة ويتوسلون لتحقيق هدفهم بكافة السبل المتاحة، وهم على موعد مع التحرير مهما طال الانتظار.

---

(١) العهد: ٩ حزيران ٢٠٠٠، ص٧.

كفرشوبا

«تطل من ربوعها على بقية الوطن وأعين أهلها لا تنام شرقاً... حيث التلال المحيطة التي يتربص بها العدو والأمل بتحرير وانتصار.

إنها كفرشوبا.. قرية هائنة بالتحرير.. وتلال وأراضٍ أسيرة تنتظر الحرية. كفرشوبا هي إحدى قرى منطقة العرقوب، وهي شريكة كاملة لجارتها بلدة شبعا، فمزارع البلدتين لا تزال محتلة. والعدو قابع على تلالها الشرقية من خلال الموقعين الشهيرين في رويسة العلم ورويسة السماقة، واللذين لم يتوقفا عن استهداف أطرافها يومياً بالتمشيط. وهي تعتبر اليوم خط مواجهة مع العدو وقرية من قرى الصمود والتصدي، بعدما أصر أهلها على استرجاع ما تبقى من أرضها المحتلة مهما كلف الأمر من تضحيات.

أهالي كفرشوبا كما القرى المجاورة لن ترهبهم اعتداءات الإحتلال وهم يعلمون أن ضريبة المقاومة والتحرير لها أثمان وهم مستعدون لدفعها ولن يتخلوا عن أرضهم وهم صامدون في بلدتهم... هذا هو واقع كفرشوبا (كما ماضيها بالأمس)، إرادة وصمود وتحد وأمل بالإنتصار، ومواقع معادية على موعد مع الزوال، وأسماء غابت عن الأسماع أعواماً لا بد من عودتها على أيدي فتية تعودت على حمل المسؤولية بجدارة»[١] وستبقى كفرشوبا البلدة الشاهدة على أن التحرير ليس يوماً للإسترخاء والراحة من أيام تعب قد ولت في عمر الجهاد الطويل، بل وقفة عز واستراحة محارب لاستكمال مشوار التحرير والحرية.

---

(١) العهد: ٨ كانون الأول ٢٠٠٠، ص٥.

إستعادة إنسان الوطن

لقد كان فعل الإحتلال الإسرائيلي للجنوب شديد الوطأة على إنسان هذا الجزء الغالي من لبنان، فالعدو الذي من شأنه أن يدمر الحجر ويحرق الزرع لن يكون رحيماً بالإنسان، **وقد تعرض أبناء الجنوب والبقاع الغربي تحت الإحتلال لشتى أصناف الضغط والتنكيل، وواجهوا مخططات إسرائيلية متعددة كانت تهدف جميعها** لإبعادهم عن كل القيم والمعاني الوطنية والدينية والإنسانية وتحويلهم إلى كم مهمل من البشر لا وزن له ولا قيمة، ونتيجة فعل الهمجية المتواصل للعدوان كان اللبناني لا سيما الشاب القاطن في المناطق المحتلة أمام خيار من عدة خيارات:

١ ـ ترك الشريط المحتل والفرار بالدين والنفس إلى المناطق المحررة أو المهجر.

٢ ـ التعرض للإعتقال والإلقاء به في غياهب سجن الخيام.

٣ ـ استخدام التقية أو التخفي وبعبارة أخرى العيش في القرية بلا أي حرية أو قدرة على التعبير عن الوجود.

٤ ـ الإلتحاق عن كره بجيش العميل لحد، وإن كان هذا الخيار غير مبرر خاصة بتوفر خيارات أخرى كالهجرة أو التقية وما شابه...

ومع بزوغ فجر التحرير يوم الخامس والعشرين من أيار ٢٠٠٠ كان هؤلاء الأبناء جميعاً قد تحرروا من نير الإحتلال والتسلط، فأبناء الشريط الذين بقوا تحت الإحتلال خرجوا إلى ساحات القرى ليستقبلوا الأهل والأخوة العائدين بعد تهجير قسري طويل، وإلى هؤلاء الأحبة انضم أحرار الخيام الذين كانوا قد قالوا للعدو ﴿رَبِّ

﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾[1] فكانت الفرحة هذه أعظم فرحة في رحاب التحرير، وكيف لا تكون فرحة استعادة الأبناء إلى وطنهم هي الفرحة العظمى، وهل هناك أغلى من عودة مهاجر إلى وطنه، أو عودة فراخ إلى حضن الأم.

إن استعادة أبناء الشريط المحتل إلى ديارهم كانت أعظم ثمرة للإنتصار والتحرير، وهل يمكن أن تغيب عن أذهان اللبنانيين تلك الصور الخالدة لأعراس اللقاء بين الأحبة في ساحات القرى والبلدات المحررة وأهلها، لقد أنست نشوة تلك الساعات كل عذابات الإبعاد عن الوطن، ووضعت هؤلاء جميعاً أمام مستقبل مليء بالخير وتعويض الماضي المؤلم.

ويبقى على اللبنانيين دولة ومجتمعاً أهلياً أن يتضافروا لمسح ما حُفر في عقول وقلوب هؤلاء الأعزاء من الآلام وتعويضهم ما خسروه وفقدوه من مال أو علم أو ثقافة أو تجربة على مر تلك الأعوام البغيضة لتكتمل بذلك فرحة التحرير وتكون استعادة هؤلاء الأعزة كاملة غير منقوصة.

أحرار الخيام

ويبقى أعظم ما في التحرير واستعادة الأبناء للوطن هو استعادة هؤلاء الأبطال الذين حررهم الانتصار من سجن الخيام المظلم، هؤلاء الفتية الذين هم عصارة الحق في شعبنا المضحي والمقاوم، فهم أحد صنفين: مقاوم امتشق سلاحه يقاتل الأعداء زوداً عن الوطن والدين فوقع أسيراً، ومقاوم قال لا للإحتلال أو تعاون مع

---

(١) سورة يوسف، الآية ٣٣.

المقاومة وهو يقطن في الشريط المحتل فكان عقابه السجن والتنكيل.

وحسناً فعلت المقاومة والدولة أن حوّلتا معتقل الخيام بعد **التحرير إلى موقع للزيارة والتبرك والعبرة، ليبقى المعتقل شاهداً على قساوة الإحتلال من جهة، وعلى نعمة الحرية من جهة ثانية، وليبقى** أحرار الخيام رمزاً للحرية والكرامة، وأملاً باستعادة كلّ الأسرى والمعتقلين من سجون العدو الإسرائيلي في داخل فلسطين المحتلة.

ذخائر الشريط المحرر

بعودة الشريط المحرر إلى الوطن يمكن القول أن الكثير من الخيرات الإقتصادية قد عادت أيضاً ولو من حيث الإمكان، إذ إنَّ الإستفادة منها يحتاج إلى برامج وإمكانيات لا سيما من قبل الدولة التي كانت الغائب الأكبر عن هذا الجانب بالذات حتى الآن. ومن المتوقع «أن يخلف تحرير الجنوب ديناميكية جديدة في الاقتصاد ككل ولا سيما على مستوى بنية الفوائد وذلك إذا استتب الأمن.. إن هناك أموالاً ستفد من الخارج مما يساهم في خلق توازن، مع أهمية توجه الاستثمار إلى مشاريع صناعية، وزراعية صغيرة إلى الاستفادة من الإمكانات السياحية الضخمة»(١).

«ويبدو الجنوب بعد التحرير جنة فسيحة خضراء، برغم الاحتلال الذي لو استطاع لما ترك فيه نبتة واحدة، وأنهاره التي تتوزع فيه كشرايين الدماء التي غذت تربته، جميلة وعفوية تعبر أوديته، والتاريخ الذي حط رحاله قلاعاً على هضابه، اختتم به

---

(١) جريدة السفير، تصريح لوزير الاقتصاد جورج فرام، ٣٠/٥/٢٠٠٠.

ليكتب انتصاراً يعشق الكثيرون رؤية معالمه. . . هذا الجنوب يبدو بعد التحرير موقع جذب سياحي لآلاف اللبنانيين المقيمين والمغتربين، وأيضاً للعرب والأجانب الذين يتوقون للتعرف إلى هذه **الأرض التي أعادت مجد الأمة، ومنذ أيام التحرير الأولى تستقطب هذه المنطقة وفوداً كبيرة من اللبنانيين المغتربين والعرب الذين يتوقفون في محطات عديدة على هذه الأرض بدءً من قلعة الشقيف،** ومروراً ببوابة فاطمة حتى معتقل الخيام الذي تحول إلى متحف شاهد على مقاومة هذا الشعب وتضحياته. . »[(١)].

إن الذخائر الاقتصادية في الشريط المحرر كثيرة وغنية، وهي تحتاج فقط إلى جهود مخلصة نتمنى أن تبدأ من قبل الدولة والمستثمرين للوصول إلى استغلالها في مصلحة الوطن والمواطن، بدءً من ساحل الناقورة الغني بمعالمه السياحية ومياه بحره المتوسط الأنقى، مروراً بكل قلعة ومسجد وبئر يشهدون على التاريخ العظيم لهذا البلد، وإلى الخيام وتربة سهله المعطاء وبقربها دفق مياه نهر الليطاني العذبة وصولاً إلى حاصبيا وزيتها المفيض خيراً وسنىً في كل عام.

إن تحرير الجنوب والبقاع الغربي لن يكتمل في الحقيقة ما لم تتضافر كل الجهود المخلصة لتدارك ما خلفه الإحتلال من ظلم على أهل هذه المنطقة الصامدة، وما لم تفي الدولة بوعودها بعد أن أخلت بواجباتها خلال ردح من الزمان.

الأرض مع الكرامة

إن عودة الأرض إلى أهلها وعودة أهلها إليها هي أمرٌ مهم

---

(١) العهد، ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٠، ص٧.

ولكن الأهم هو عودة تلك الأرض مع الكرامة، وفي ظل الحرية، والاستقلال، والعزة بعيداً عن شروط العدو وإملاءاته وهيمنته، وهذا بالضبط ما حصل مع تحرير لبنان عام ٢٠٠٠، فالذي تحرر ليست أرض الجنوب فقط ولا قراه ومدنه، بل لبنان كله تحرر، قرار لبنان وحرية لبنان واستقلال لبنان هو الذي تحرر، فعادت المدن والقرى مع الكرامة التي أبت أن تتخلى عنها ولو طال الإحتلال، ولو أن القضية كانت بأن تعود تلك القرى بدون كرامة أو حتى مع انتقاص في الكرامة عبر اتفاقات وتفاهمات وتلبية شروط للعدو لكانت تلك القرى قد عادت قبل سنوات من عام التحرير، ولكن أية قيمة لذلك، وأي معنى صحيح لأن يخرج المحتل بزيه العسكري ويبقى بقراره وتأثيره.

إن المقاومة في لبنان كانت وطيلة سنوات المقاومة متنبهة إلى هذه الحقيقة، لذلك كانت على الدوام ترفض أية صفقات أو أشباه صفقات مع العدو وتصر على أن يخرج العدو ذليلاً خاسئاً وبلا أية أثمان «إن المقاومة لم تُعد إليكم فقط الأرض والحرية، إنما أعادتهما بعزة أيضاً، اليوم أهلنا في الجنوب وفي كل الأماكن سهروا في ساحات القرى وفي المواقع المدمرة ونحن جالسون في الساحة، بينما في المقابل عدونا مختبىء وأكثر من ٣٠٠ ألف مستوطن يهودي يقضون ليلتهم في الملاجىء، ويتساءل العرب والعالم أجمع عما يحدث في لبنان في هذه الليالي والأيام»[1].

---

(١) من كلام الأمين العام لحزب الله السيِّد حسن نصر الله مع أسرى الخيام؛ العهد ٢٦/أيار/ ٢٠٠٠، ص٩.

استعادة الإرادة والقرار

بالأساس كانت المقاومة ضد «إسرائيل» مقاومة لإرادة المحتل في فرض ما يريد، ولعل أهم مرتكز في الصراع العربي الإسرائيلي الممتد لأكثر من نصف قرن من الزمن يرتكز في خلفيته على حرب الإرادات، من يفرض إرادته على الآخر ومع الأسف فلقد استطاعت «إسرائيل» أن تفرض إرادتها على العرب مجتمعين ومنفردين في معظم حلقات هذا الصراع إن لم نقل جميعها، وما لم تستطع «إسرائيل» فرضه بالحرب والقتال كانت تفرضه عن طريق التسويات والألاعيب السياسية، وفيما يخص تاريخ الصراع مع «إسرائيل» عبر الحدود اللبنانية حتى لا نقول الجبهة اللبنانية!! فلقد تعودنا وعلى مدار عقود طويلة على أن «لإسرائيل» أن تفرض ما تريد على هذا البلد وليس العكس، فهي تحدد متى تدخل أو تخرج منه، وهي التي يحق لها أن ترسل طيرانها الحربي متى شاءت وأنى شاءت، وهي تتحكم بالمواقع الحدودية لتفرض سياجاً حدودياً شائكاً في هذا التل أو ذاك أو نقطة حدودية هنا أو أخرى هناك، بل وهي من تتحكم بمياه الجنوب لتفرض المعادلة التي تريد وتسرق الماء كما تريد من غير أن يكون للبنان في ذلك كله حول ولا قوة، وإذا ما أراد أن يعترض يوماً فأقصى ما يمكنه فعله هو أن يضيف بضعة

أوراق إلى ملف الأزمة الحدودية في مجلس الأمن والأمم المتحدة.

لكن المعادلة باتت مختلفة هذه المرة، بعد أن امتشق لبنان سلاح المقاومة وحمل إرادتها، فصار للبنان قراره، وأضحى يفرض حقوقه على المحتل بقوة الحق والسلاح والشهادة... وهذا هو المشهد العظيم الآخر من مشاهد النصر والتحرير وأحد نتاجاته الفذة.

إنَّه مشهد لبنان المقاوم المتمسك بآخر حبة تراب وكل قطرة ماء، غير المفرط بشيء من السيادة ولا الكرامة يملي ما يريد من حق على العدو بقوة الإيمان والمقاومة ويرضخ العدو له ذليلاً والعار عليه، لقد انتهت المعادلة القديمة والمذلة حتى قبل سنوات من التحرير.. منذ تموز ونيسان حيث لوت المقاومة ذراع الإسرائيلي بل كسرتها، غير أن هذه المعادلة تبدّلت بعد التحرير واندحار الجيش الإسرائيلي من لبنان ليتحول لبنان إلى الطرف الأقوى الذي يأمر وينهى ويرسم ويحدد ما يريد طبقاً لحقه وعلى الطرف الآخر أن يمتثل لمنطق الحق المدعوم بقوة لا تلين وإرادة لا تضعف.

بنادق المقاومة ترسم الحدود

لقد كانت أياماً مجيدة، مليئة بالعزة والكرامة والعنفوان، تلك الأيام التي تلت أيام التحرير، وذلك من خلال ما أصبح يعرف «بحرب الترسيم»، لقد كان المشهد وعلى مدار أسابيع، أكثر من خيالي وأغرب من مستهجن، فلبنان الذي كان الحلقة الأضعف في الصراع العربي الإسرائيلي على مدى نصف قرن من الزمان قام ليملي فجأة على العدو التراجع من تلة إلى تلة ومن موقع إلى آخر وهو عدو ما عرف إلا بالمراوغة وخاصة عندما تتعلق القضية

بالإنسحاب من أرض يحتلها لا سيما إذا كانت الأرض ذات أهمية استراتيجية. لقد كان العدو حاضراً لنزع كل الذرائع من يد لبنان ومقاومته الباسلة حرصاً منه على عدم استغلال المقاومة لتلك الذرائع في تفجير الموقف الحساس برمته، ونقل المعركة إلى داخل أراضي العدو في فلسطين المحتلة. وبالنتيجة حصل لبنان في نهاية هذه الحرب«حرب الترسيم» على نصر إضافي وحقق نتائج مادية ومعنوية يعجز عن تحقيقها بلد يملك جيشاً قوياً وجراراً، فلقد استعاد لبنان عشرات آلاف الدونمات من أراضٍ كان بعضها محتلاً منذ حرب عام ١٩٦٧ بل وكان بعضها محتلاً أيضاً منذ نكبة عام ١٩٤٨، ومن ضمن تلك الأراضي المستعادة نقاط استراتيجية غاية في الحساسية كالجزء اللبناني من تلة العباد، حيث اضطر الإسرائيليون في سبيل التراجع عن الجزء اللبناني في هذه التلة إلى نقل موقع عسكري هام من الأراضي اللبنانية إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، وقد كلفهم ذلك المبالغ المالية الطائلة وهكذا كان الأمر على امتداد أجزاء كبيرة من الحدود اللبنانية الفلسطينية.

والحق يقال أن هذا المكسب الإضافي للبنان كان نتيجة مباشرة لنوعية وكيفية وتوقيت النصر الذي تحقق في أيار من العام ٢٠٠٠. فمن جهة كانت «إسرائيل» تتلطى في إنسحابها بالقرار الدولي ٤٢٥ والذي كان تطبيقه معدلاً بالشروط الإسرائيلية سيتيح «لإسرائيل» تأمين انسحاب منظم ومدروس يتم من خلاله انتشار قوات «الردع» الدولية في كل التلال والنقاط التي سيخليها «الإسرائيليون» بالتفاهم مع الأمم المتحدة وبالتزامن مع دخولهم، وبما أن القوات الدولية كانت ستتحكم بالشريط الحدودي فهي من يحدد نقاط الحدود للعام ١٩٢٣ بدون رقيب من أحد وهي التي

ستمن على لبنان والجيش والناس بأن التحرير جاء بفضل قرارها الدولي، وبالتالي لا يحق بل ولا قدرة لأحد على الإعتراض على أي ترسيم تضعه للحدود. وبسبب هذا التصور كان «الإسرائيليون» يعملون باسترخاء في إقامة أو إصلاح الشريط الشائك بين لبنان وفلسطين رغم اقتراب موعد الانسحاب الإسرائيلي المفترض في٧ تموز ٢٠٠٠، فلم يكن يدور بخلدهم غير سيناريو الـ٤٢٥ المعدل إسرائيلياً، لذلك جاء وصول حزب الله وبسرعة إلى أقصى نقاط الحدود مفاجئاً للعدو مما أربك كل حساباته وصار العدو مع قوات الطوارىء حاضرين لفعل أي شيء ـ كما أسلفنا ـ لنزع الذرائع من يد حزب الله ولبنان، وكان ما كان من مشهد تفكيك المواقع الإسرائيلية ونقل السياج الحدودي وحتى الأتربة من مناطق واسعة من الحدود الفاصلة بين لبنان وفلسطين، وبالنتيجة تحقق نصر إضافي للبنان وهزيمة جديدة «لإسرائيل» تضاف إلى جنب الهزائم التي سوف تتكرر على ما يبدو منذ الآن فصاعداً.

حدود العام ١٩٢٣

في الأشهر القليلة التي سبقت الانسحاب من لبنان أثار الكيان الصهيوني في الوسطين الإعلامي والدبلوماسي مسألة الحدود التي ينبغي الانسحاب إليها، هل هي الحدود السائدة بعد اجتياح عام ١٩٧٨ أو اجتياح ١٩٨٢، (حدود الأمر الواقع) أم هي حدود عام ١٩٧٦ أم حدود ١٩٤٨، أم حدود ١٩٢٣ ومن الطبيعي أن يحاول العدو في البداية الحديث عن حدود الأمر الواقع والتي تؤمن له الاحتفاظ بالعديد من التلال والنقاط والمواقع الحساسة والمساعدة على حفظ أمن مستوطناته في شمال فلسطين.

وأخيراً «تراجعت حكومة العدو عن تفسيرها الملتبس لمسألة

الحدود مع لبنان المفترض أن يتم الانسحاب على أساسها، فبعد تحذير الأمين العام لحزب الله من الإبقاء على شبر واحد من الأرض اللبنانية التي تعين الحكومة اللبنانية حدودها الرسمية وبعد إعلان الحكومة اللبنانية أن الحدود الدولية هي تلك المرسومة عام ١٩٢٣، اضطر رئيس الوزراء الصهيوني أيهود باراك لحسم الموضوع بالرغم من سيناريوهات الانسحاب المختلفة ومعارضة بعض «المستوى السياسي والعسكري» عموماً والإقرار بخط ١٩٢٣ خطاً للإنسحاب المقبل قبل تموز القادم. والكلام عن هذه الحدود يعود إلى أن القرار رقم ٤٢٥ الصادر عن مجلس الأمن بتاريخ ١٩/ ٣/ ١٩٧٨ يقضي بانسحاب قوات الاحتلال من كامل الأراضي اللبنانية المحتلة حتى الحدود المعترف بها دولياً، وهي الحدود المنصوص عليها في إتفاقية الهدنة الموقعة بين بيروت وتل أبيب المستندة إلى الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة والتي نصت على أن الحدود الدولية هي تلك الحدود المعترف بها بين دولة لبنان ودولة فلسطين أي ما نص عليه ترسيم الحدود بين الإنتدابين البريطاني والفرنسي عام ١٩٢٣.

ففي أوائل حزيران ١٩٢١ باشرت لجنة ترسيم الحدود أعمالها برئاسة الكولونيل الإنكليزي نيوكومب والكولونيل الفرنسي بوليه لتتوصل في ٣/ ٢/ ١٩٢٣ إلى تحديد ٣٨ علامة حدودية تشكل على الأرض الحدود الفاصلة بين لبنان وفلسطين»[١].

التلاعب الدولي

تأكيداً لما أشرنا إليه سابقاً من الخطة التي كانت مزمعة بالتعاون

---

(١) العهد: ٥/ ٥/ ٢٠٠٠، ص٧.

مع القوات الدولية لترسيم الحدود بعيداً عن إرادة اللبنانيين وحتى بعيداً عن الترسيم الرسمي للعام ١٩٢٣، ورغم سيطرة حزب الله على الأرض ووصوله إلى النقاط الحدودية الحساسة، فقد حاول المبعوثون الدوليون التلاعب من أجل فرض وضع مغاير للحدود عام ١٩٢٣ يسمح للإسرائيليين بالاحتفاظ بمواقع في أراضٍ لبنانية ويخلصهم من عار الانسحابات المتتالية من الأراضي والمواقع المتنازع عليها مع لبنان، «فالمندوب الخاص لكوفي أنان (تيري رود لارسن) يحاول خلال الاجتماعات التي تعقد مع الوفد اللبناني تمثيل وجهة نظر الجانب الإسرائيلي في بعض الطروحات خصوصاً لجهة تصوير أن بعض الأمتار المربعة على الحدود خلال عملية الترسيم هي أمر ليس بالأهمية بمكان، أو تبرير بلع «إسرائيل» لهذه الأمتار، الأمر الذي دفع بالوفد اللبناني إلى رفض هذا جملة وتفصيلاً»[١].

«الجانب اللبناني فوجىء بالمؤتمر الصحفي الذي عقده لارسن بعد الإجتماع (مع الجانب اللبناني) وأعلن فيه مواقف لا تتوافق مع نظرة لبنان بضرورة انسحاب «إسرائيل» إلى الحدود المعترف بها دولياً، وإنما محاولة تكريس مصطلح جديد هو خط الانسحاب، مما أدى إلى إلغاء الاجتماع المسائي على اعتبار أن لبنان متمسك بكل شبر من أراضيه وهو بالتالي لن يوافق على خط الانسحاب الذي وضعه الموفد الدولي»[٢].

بداية التراجع الإسرائيلي

مع صمود الموقف اللبناني مستنداً إلى الحق ودعم المقاومة

(١) جريدة الديار: ٦/٦/٢٠٠٠.
(٢) المصدر نفسه: ٧/٦/٢٠٠٠.

الثابت، بدأت إسرائيل بالتراجع، فقد «أعادت قوات الاحتلال النقاط الحدودية إلى ما كانت عليه قبل ١٤ عاماً جنوب سهل الخيام ومرجعيون وذلك بإقدامها أمس على الانسحاب من الشريط الشائك الذي أقامته غرب وشمال مستعمرة المطلة والذي يتراوح عرضه بين ٨ و٤٠٠ متراً ويصل طوله إلى حوالي ٧ كيلومترات، وتراجعت قوات الاحتلال إلى الطريق المحاذي للسياج الحدودي الذي يحيط بمستعمرة المطلة في الوقت الذي كان عدد من أعضاء فريق مراقبي الهدنة الدولية التابعين للأمم المتحدة يقومون بأعمال التثبت من الحدود الدولية في هذه المنطقة تحديداً وبحوزتهم خرائط فضائية»[١].

لم يكن التراجع الإسرائيلي عن كامل الخروقات بهذه السهولة، فهي تترك أرضاً ذات طابع استراتيجي للغاية، فقد «حالت «إسرائيل» أمس دون تمكن قوات حفظ السلام الدولية من بدء مهمة التحقق من الانسحاب الإسرائيلي من لبنان بإصرارها على عدم النزول عن طلب دولي بتعديل الحدود عند مستوطنة «مسكاف عام» التي يقع جزء منها ضمن الأراضي اللبنانية»[٢].

هجوم لبناني معاكس

«في ظل التلكؤ الإسرائيلي والتباطؤ في عملية الانسحاب إلى الحدود المعترف بها دولياً، قال مرجع لبناني أمس: إن لبنان لن يمنح براءة ذمة للإنسحاب الإسرائيلي من خلال طلب موافقته على خط الانسحاب الذي حدده الموفد الخاص للأمم المتحدة تيري رود

---

(١) جريدة السفير: ٧/ ٦/ ٢٠٠٠.

(٢) جريدة المستقبل: ٨/ ٦/ ٢٠٠٠.

لارسن، لأنه يتعارض مع القرار ٤٢٥ الداعي إلى انسحاب «إسرائيل» من دون قيد أو شرط حتى الحدود المعترف بها دولياً وأكد المرجع إنَّ موافقة لبنان على خط الانسحاب يعني تخليه عن الأراضي الواقعة بين الخط والحدود الدولية، وتحفظه ينطلق من مخاوف لديه من رسم حدود جديدة يضفي شرعية على الخروقات الإسرائيلية التي أثارها لبنان مع لارسن ولا يمكنه الموافقة عليها أو تعليق البحث فيها»[١].

وحتى لا آخذ وقت القارىء الكريم بسرد أجزاء من وقائع «حرب الترسيم» المثيرة والهامة والتي يهم نشرها في الوقت نفسه لبيان حقيقة ما جرى من حرب حقيقية كان سلاحها الإرادة والتصميم والثبات على الحق، فسوف أعرض على القارىء بعض عناوين الصحف اللبنانية التي تصدرت الحديث عن هذا الموضوع في الفترة الزمنية المشار إليها ليتضح حجم المراوغة الإسرائيلية ومدى الإصرار اللبناني على انتزاع الحقوق والانتصار في هذه المعركة الهامة رغم التواطؤ الدولي مع الأسف.

الحرب في عناوين الصحف

- لبنان في الصحافة الإسرائيلية: إخلاء مواقع حدودية لتطابق خط الأمم المتحدة وانتشار الجيش في لقاء أولبرايت ـ الشرع[٢].

- الاحتلال ينكفىء عن مراكز الغجر والعباسية ويحتفظ بالسيطرة النارية، دوريات للأمم المتحدة للتثبت ميدانياً من الانسحاب

---

(١) جريدة الحياة: ٨/ ٦/ ٢٠٠٠.

(٢) جريدة النهار: ٨/ ٦/ ٢٠٠٠.

الإسرائيلي ولبنان يتمسك بتحفظه حول مسكاف عام ونقاط خلاف جديدة[1].

- استئناف التثبت من الانسحاب الإسرائيلي، ضبط خرق جديد في ميس الجبل[2].

- واشنطن تربط مساعداتها للجنوب بإرسال الجيش، لحود يطالب أنان باعتماد المذكرة اللبنانية كوثيقة أساسية[3].

- هل يطلب لبنان من الأمين العام للأمم المتحدة إنهاء مهمة لارسن؟ أنان يستعجل «تبرئة إسرائيل» برغم وجود ١٣خرقاً للحدود. ولبنان يؤكد أن القرار ٤٢٥ لم ينفّذ وأنه لن يفرط بالأرض[4].

- الحص يبلغ الجامعة العربية وواشنطن وباريس عدم اكتمال الانسحاب الإسرائيلي من لبنان، «حزب الله» يعتبر إعلان أنان «متسرعاً وغير صحيح» ويلوح بالمقاومة[5].

- الأمين العام أنهى الانسحاب رغم تأكيد لحود أنه لم يكتمل، غضب واستياء في لبنان من «خديعة» كوفي أنان»[6].

- أهالي العباسية عادوا إلى الجزء المحرر منها، استنكار واسع

---

(١) جريدة السفير: ٩/ ٦/ ٢٠٠٠.
(٢) جريدة السفير: ١٥/ ٦/ ٢٠٠٠.
(٣) جريدة الشرق: ١٥/ ٦/ ٢٠٠٠.
(٤) جريدة السفير: ١٧/ ٦/ ٢٠٠٠.
(٥) جريدة الشرق الأوسط: ١٨/ ٦/ ٢٠٠٠.
(٦) جريدة الحياة: ١٨/ ٦/ ٢٠٠٠.

لإدعاء أنان الانسحاب الكامل ومطالبة الدولة والأمم المتحدة بتحرير المنطقة المحتلة[1].

- أنان كشف من الناقورة عن خطة سياسية وعسكرية واقتصادية للجنوب والفريق اللبناني كشف عن خروقات جديدة[2].

- الحص يعكس أجواء إيجابية «بعدما واجهنا العالم شبه منفردين»، لبنان يشترط إزالة الإنتهاكات قبل انتشار الطوارىء، وأنان يتعهد الضغط على «إسرائيل» لاحترام الخط الأزرق[3].

- نصر الله أكد له أن «المقاومة لن تنتظر طويلاً»، أنان الأمم المتحدة ستعالج كل الخروق[4].

- أنان يلتقي الأمين العام لحزب الله: المقاومة لن تنتظر طويلاً المساعي السياسية لمعالجة الخروقات[5].

- دعوات فرنسية إلى لبنان لاحترام «هيبة» الأمم المتحدة في موضوع الجنوب[6].

- عبد المجيد (الأمين العام لجامعة الدول العربية) بعد استقباله الخليل (وزير الأعلام اللبناني): لبنان سينتصر في معركة الحدود[7].

---

(١) جريدة الكفاح العربي: ١٩/٦/٢٠٠٠.
(٢) جريدة البيرق: ٢٠/٦/٢٠٠٠.
(٣) جريدة النهار: ٢٠/٦/٢٠٠٠.
(٤) جريدة النهار: ٢١/٦/٢٠٠٠.
(٥) جريدة السفير: ٢١/٦/٢٠٠٠.
(٦) جريدة الشرق الأوسط: ٢١/٦/٢٠٠٠.
(٧) جريدة نداء الوطن: ٢٣/٦/٢٠٠٠.

- بعد نجاح «معركة لحود لتثبيت الخروقات والحدود: لبنان يضع إسرائيل بمواجهة الأمم المتحدة[1].
- مجلس الأمن يطالب «إسرائيل» بوقف ٥ خروقات... والمقاومة تمهلها أسبوعين[2].
- **التحقيق من الخروقات متوقف: غوكسيل: الأمم المتحدة لم تتلق جواباً من إسرائيل على بعض النقاط[3].**
- لبنان أبلغ أنان موافقته على انتشار الطوارىء فقط بعد إزالة الإنتهاكات[4].
- لبنان اعتبرها القائمة النهائية للإنتهاكات: لارسن يرجع بموافقة إسرائيل على تصحيح الخروق الإسرائيلية الحدودية[5].
- الحص «للأنوار» «إسرائيل» تراوغ في قضية الخروقات[6].
- فريقا التحقيق ينهيان مهمتهما باسترجاع آلاف الأمتار قرب المنارة[7].
- لارسن اليوم في بيروت بعدما بحث مع الشرع في المسارين السوري والفلسطيني، حطيط للحياة: أنجزنا التحقق من الخروق ونعد ملاحظاتنا[8].

---

(١) جريدة السفير: ٢٦/٦/٢٠٠٠.
(٢) جريدة الشرق: ٢٧/٦/٢٠٠٠.
(٣) جريدة الشرق: ٢٧/٦/٢٠٠٠.
(٤) جريدة النهار: ٣٠/٦/٢٠٠٠.
(٥) جريدة الكفاح العربي: ١٣/٧/٢٠٠٠.
(٦) جريدة الأنوار: ١٦/٧/٢٠٠٠.
(٧) جريدة الشرق: ٢٢/٧/٢٠٠٠.
(٨) جريدة الحياة: ٢٣/٧/٢٠٠٠؛ حطيط أمين: عميد ركن في الجيش اللبناني.

- الحص يعلن إزالة الإنتهاكات الإسرائيلية وأنان يتوقع نشر الجيش والطوارىء في أيام[1].
- بعد شهرين من الصراع المرير، الخروقات الإسرائيلية تنتهي، إلزام إسرائيل بالانسحاب إلى الحدود الدولية بدلاً من الخط الأزرق السابق[2].
- إجتماع الناقورة ينهي مرحلة التحقق، طويت الإنتهاكات فهل يؤذن بالإنتشار؟[3].
- الانتشار الدولي ينطلق صباحاً بضوء أخضر من لحود، المر يعد اليوم القوة اللبنانية وحزب الله على سلاحه[4].

هذا غيض من فيض عناوين الصحف اللبنانية والتي واكبت «حرب الترسيم» التي نتج عنها مزيد من الإنتصار للبنان وتأكيد «للهزيمة الإسرائيلية».

هكذا استرددنا ١٧ مليون م٢

لأهمية هذه الحرب وما نتج عنها ولكي يثبت للقارىء أنها لم تكن حرباً خيالية ولا في المنام ولا أنها كانت فيلماً غربياً طويلاً، أجد من المهم أن أنقل أجزاءً من مقابلة أجرتها جريدة الانتقاد التابعة لحزب الله مع العميد الركن في الجيش اللبناني أمين حطيط الذي كان القائد الميداني لهذه الحرب البطولية، ومما جاء فيها:

«بداية ما هو مفهوم الخط الأزرق ولماذا سمي كذلك؟

---

(١) جريدة الكفاح العربي: ٢٥/٧/٢٠٠٠.
(٢) جريدة الديار: ٢٥/٧/٢٠٠٠.
(٣) جريدة النهار: ٤/٨/٢٠٠٠.
(٤) المصدر نفسه: ٥/٨/٢٠٠٠.

ج: نحن في أدبياتنا العسكرية لا نستخدم تعبير «الخط الأزرق» لوصف حدودنا الدولية، وهذا الموضوع قاومناه منذ اللحظة الأولى خلال المباحثات مع اللجنة الدولية في الإجتماع الأول في الناقورة، وقتها اتضح لي أنه يوجد رغبة عند القوات الدولية بجعلنا نألف تعبيراً عن الحدود الدولية فاستعملوا بداية تعبير «الخط العملي للإنسحاب» حينها رفضت ذلك، فبدل رئيس الفريق الدولي تعبيره بالإشارة إلى خط الإنسحاب، أيضاً رفضت ذلك فدمج الاثنين معاً عندما استخدم جملة الخط العملي لتأكيد الانسحاب، فرفضنا أيضاً وقلنا: إنَّ انطلاقنا بالعمل هو القرار ٤٢٥ وهذا القرار يقول بعودة «إسرائيل» عن كامل الأرض اللبنانية إلى الحدود الدولية ولم يذكر خطاً أو رسماً، وبما أن منطلقنا تحرير الأرض اللبنانية كان الأساس الوحيد البحث عن الحدود الدولية... وعند الحديث عن حدودنا الجنوبية يجب أن نتذكر دائماً أن هناك جزئين: جزء مع فلسطين المحتلة تكرسه اتفاقية ١٩٢٣، وجزء آخر مع سوريا (الجولان المحتل) مكرس بأعمال اللجان الإدارية والقضائية.

س: ما هي التحفظات الثلاثة (المتبقية) وما هو سببها؟

ج: التحفظات محصورة في ثلاث نقاط على الحدود اللبنانية مع فلسطين، الأولى في منطقة رميش والتحفظ هو المنطقة BP١٦ الفريق الدولي بدل أن يضع نقطة في مكان نراه حدودنا وضعها ضمن الأراضي اللبنانية بمسافة مئة متر وجمعها مع النقطة الأولى ما أدى إلى اقتطاع أراضٍ على شكل مثلثين، وهذه الأرض المقتطعة لا يوجد عليها احتلال عسكري، إنَّما التحفظ جاء على خلفية قضم أراضٍ لبنانية على الخريطة والأمم المتحدة تنكر لبنانيتها.

التحفظ الثاني هو في منطقة مسكاف عام ـ العديسة، والتحفظ الثالث عند الطريق من مستعمرة المطلة إلى جسر الغجر، ستة أسابيع قضاها الفريق اللبناني متجولاً على المناطق الحدودية من دون كلل حتى أصبح له قصة مع كل زاوية، والمشاهدات كثيرة... ولكن لبنان استعاد أكثر من سبعة عشر مليون متر مربع.

س: ما هي أبرز النقاط التي كنتم تشعرون أنها عصية؟

ج: كل المناطق التي كانوا يقتطعونها كانوا يتمسكون بها، معتبرين أن الفريق اللبناني لا يملك المعدات الكافية والوسائل التي تثبت الحق بحدود عشرة أمتار وخمسة عشر متراً، لكن عندما واجهناهم بالوسائل والعلم والإرادة بدأوا يتراجعون شيئاً فشيئاً، إنما عند وصولهم إلى المراكز العسكرية المهمة كانوا يتشددون بقوة. وأتذكر أن التعنت الذي عانينا منه هو في نقطة شمالي مستعمرة المطلة، وهذه القصة كانت خلافاً على تسعة أمتار، حين نزيل الخيمة من أرضنا هم يعاودون وضعها وهكذا دواليك مرات عديدة حتى وضعنا العوائق بشكل ثابت ونهائي.

أذكر أيضاً نقطة مهمة هي نقطة العباد، وهذه النقطة كان لها ثلاثة أبعاد، أولاً البعد الرئيسي حيث يعتبرون أنه مدفن «رافي أرشي» أحد المقدسين عندهم، إضافة إلى البعد العسكري الذي يتيح لهم الإشراف على المنطقة، فضلاً عن عقلية الإغتصاب، والخلاف كان بيننا في العباد على أربعمائة متر ثم إلى مئة متر ثم إلى خمسة وعشرين متراً وهي مساحة سطح المقام ومحيطه؛ وفي مقابل تعنتهم تمسكنا بحقنا، وبعد أن أجرينا قياسات دقيقة تبين أن حدودنا تصل إلى نصف قبر ما يعتبرونه (رافي أرشي) حينها ذهلوا.. وكنا في ذلك الحين نتعرض لاختبار قاسٍ، إذ كررنا ثلاث مرات إجراء

القياسات بسبب التشويش الذي كان يضرب إشاراتنا على الكومبيوتر، وأخيراً بقي لنا أربعون سنتيمتراً هي عبارة عن مدخل لمقام العباد، لكنهم لم ينصاعوا لحقنا، فاضطر تيري رود لارسن للحضور إلى مقام العباد وأشرف على استعادة (الأربعين سنتم) بنفسه، حينها اطمأننا على أننا أخذنا حقنا بالكامل في تلك المنطقة التي أصبحت رمزاً لإثبات الحق.

س: كيف رد العدو على تمسك لبنان بآخر شبر؟

ج: من خلال التقارير التي كانت تصلنا عبر الأمم المتحدة كنا نرى مدى إنزعاج العدو من جرأتنا التي استمديناها من الإيمان بالحق، وكنا أيضاً نشعر بعدم توازنهم على الأرض وظهر ذلك في أكثر من مرة، فمثلاً في منطقة العباسية وفي الوقت الذي كانوا فيه مستعجلين لنيل براءة الذمة الدولية ليقولوا أنهم انسحبوا من لبنان، أقدموا على إطلاق النار علينا وعطلوا عمل الفريق لأنهم لا يعلمون ماذا يريدون، هم مهزومون، لكن في الوقت نفسه يريدون أن يظهروا بأنهم يطبقون قراراً دولياً...

س: أخيراً مع كل استعادة لجزء جديد إلى حضن الوطن بماذا كنتم تشعرون؟

ج: الشعور الرئيسي هو الإعتزاز، إعتزاز المستعيد حقه بعرق جبينه، والأرض التي استعدناها دفعنا ثمنها دماءً وصلابة موقف، ولم نأخذها مجاناً، إن ثمنها باهظ جداً، وكم يكون الشعور عظيماً عندما تتنشق دم الشهيد التي سالت على أرض كنا نسعى لاستعادتها حتى لا تبقى محتلة»(١).

---

(١) جريدة الانتقاد: ٢٥/ ٥/ ٢٠٠١، ص٢٠ ـ ٢١.

باسترجاع هذه الملايين من أمتار أرضنا المقدسة في الجنوب تكون النتيجة الأولى لحرب الترسيم قد تحققت مع تسجيل التحفظات الثلاث، وكذلك التأكيد على أن مزارع شبعا ومحيطها هي أرض لبنانية لم تدخل في سجالات هذه الحرب. لكن يبقى الأهم أن هذه الحرب الترسيمية حققت للبنان ما هو أهم بكثير من الأرض المسترجعة ـ رغم غلاوتها ـ وهو أن لبنان وبفضل المقاومة والصمود بات وطناً يمتلك الإرادة ليقول لا لأي محتل أو معتدٍ مهما بلغ من القوة، وأصبح يملك القرار الذي يمكنه من استعادة الحقوق كاملة ولو وقف العالم بأسره في وجهه، وتبقى هذه المعركة الحدودية والإنتصار فيها واحدة من نتائج الإنتصار الكبير والتاريخي.

حرب المياه

تعتبر المياه بحسب الدراسات الحديثة السبب الأبرز لحروب العصر القادم، وبالنسبة للكيان الصهيوني شكلت مصادر المياه في فلسطين والدول المجاورة وحتى البعيدة هدفاً دائماً للكيان الصهيوني. فقد قال الزعيم الصهيوني «ديفيد بن غوريون» في منتصف القرن الماضي «إنَّنا نخوض مع العرب معركة مياه، وبنتيجة هذه المعركة يتوقف مصير إسرائيل فإذا لم نربحها فكأننا لم نفعل شيئاً»[١].

من هنا تظهر قيمة النصر الجديد الذي حققه لبنان على «إسرائيل» بما بات يعرف بحرب المياه، وهي الحرب لأجل استعادة السيادة على كامل حق لبنان في مياهه، والذي هو نتيجة للإنتصار التاريخي في أيار ٢٠٠٠ وبالمقابل فداحة الهزيمة التي تكبدتها «إسرائيل» ككيان ومشروع استعماري في ذاك العام المجيد.

---

(١) العهد: ١٤ تموز ٢٠٠٠، ص٦.

«إن المياه الفلسطينية محدودة ولا بد من مصادر مياه إضافية تتوافر في الدول المحيطة، ومع بداية تأسيس الكيان الغاصب أوائل القرن العشرين قال أحد كبار القادة الصهاينة كما أبدت ذلك وثائقهم: «إنَّ حدود «إسرائيل» الحالية هي غير سوية ما دامت لا تضم نهر الليطاني والأنهر العربية القريبة من فلسطين». وهذا ما يدل على النيات الخبيثة للصهاينة التي سبقت إنشاء كيانهم الغاصب بالسيطرة على الموارد الطبيعية العربية وفي مقدمتها المياه وفي ما يعني لبنان الذي كان أبرز ضحايا الأطماع الصهيونية بالمياه فإن «إسرائيل» كانت تصادر ما يقارب الـ ٢٠٠ مليون متر مكعب سنوياً من الأنهار والمياه اللبنانية، وهي بدأت بسرقة مياه نهر الليطاني ابتداءً من أواسط الثمانينات عبر حفر نفق بطول عشرة كيلومترات يمتد من جسر الخردلي في الجنوب اللبناني وحتى وادي البراغيث في فلسطين المحتلة، وتشير المعلومات إلى أن سلطات الإحتلال عملت أيضاً على تحويل مجرى نهر الحاصباني بعيد دخوله في الأراضي اللبنانية... وهذه الحقائق لم تكن بعيدة عن إقرار العدو بها أو بأطماعه بالمياه اللبنانية، ففي ١١ أيار ١٩٩١ أعلنت «إسرائيل» أنها لن تنسحب من لبنان من دون تعهدات بالحصول على مياه من نهر الليطاني، وفي العام ١٩٩٤ قدمت «إسرائيل» في مؤتمر الرباط الإقتصادي لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا مشاريع تظهر الخطط الزراعية الإسرائيلية المعتمدة على مياه نهر الليطاني، ومثل هذه المشاريع قدمتها أيضاً في مؤتمر عمان عام ١٩٩٥»[(١)].

---

(١) العهد: ٤ تموز ٢٠٠٠.

سرقة المياه بعد الإندحار

«بعد اندحار العدو الصهيوني عن لبنان، حرص على أن تبقى مياه نبع الوزاني القريب جداً للحدود مع فلسطين تتدفق إلى الأرض الفلسطينية المحتلة عبر المجرى الطبيعي للنبع أو عبر أنابيب استبقاها العدو لهذا الغرض، فمياه نبع الوزاني والتي تصب أخيراً مع مياه نبع الحاصباني عبر رافد واحد في بحيرة طبريا، تشكل رافداً هاماً لنهر الأردن الشريان الحيوي للأراضي الفلسطينية والأردنية، ولقد تم رفع شكوى لبنانية لمجلس الأمن في البداية على استمرار السرقة الإسرائيلية لهذه المياه وعلى مرأى ومسمع القوات الدولية المتواجدة هناك. ولقد غض لبنان النظر عن سحب بعض مياه الوزاني عبر أنابيب إلى بلدة الغجر الواقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي باعتبار أن أهل هذه البلدة السورية المحتلة يستفيدون أيضاً من هذا الماء، ولكن الوقاحة وصلت بالإسرائيليين إلى حد الاعتراض على لبنان لاستفادته بشكل يسير من مياهه وحقه في نبع الوزاني، إذ تحدثت صحيفة «هآرتس» عن مشكلة خطيرة بمنظورها، تقوم على أن مواطنين لبنانيين يعمدون إلى نقل مياه الوزاني عبر الصهاريج، علماً بأن نبع الوزاني يقع حالياً ضمن المناطق المحررة»[١].

زيادة حدة أزمة المياه لدى الإسرائيليين

بعد الانسحاب الإسرائيلي من لبنان بدأت أزمة المياه داخل الكيان تتفاقم خاصة مع تواصل مواسم الشح في المناخ العام للمنطقة، ولذلك بدأ الكيان الصهيوني بالضغط أكثر باتجاه الأردن

---

(١) العهد: ١٤ تموز ٢٠٠٠.

والفلسطينيين حيث يتقاسم معهما قسمة غير عادلة مياه نهر الأردن، وفي هذا السياق جاء «تصريح وزير البنى التحتية «الياهوسوسيا» الذي أعلن فيه أن حكومته لن تزود الأردن بعد اليوم بحصته من المياه التي التزمت بها «إسرائيل» بموجب إتفاق العقبة والبالغة ٥٥ مليون متر مكعب سنوياً لأن الاتفاق قد انتهى في شهر أيار الماضي، وجاءت تصريحات الوزير بعد توصل «إسرائيل» إلى اتفاق مع تركيا للتزود منها بكمية من المياه لا تقل عن ١٨٥ مليون متر مكعب سنوياً!!»[١].

هذه الضغوطات ترجمت شحاً في المياه في الأردن وداخل أراضي الحكم الذاتي الفلسطيني حيث يبدو الوضع هناك أكثر مأساوية من الأردن «فإسرائيل» تحتكر ما نسبته ٧٩٪ من مياه الضفة وقطاع غزة ولا تتجاوز حصة الفرد الفلسطيني ٢٥ متراً مكعباً في السنة معظمها غير صالح للشرب.

في ظل الأهمية الاستراتيجية للمياه بشكل عام، وللإسرائيليين الذين يبذرون في صرف المياه وفي ظل مخططهم بالتحكم بمصير المنطقة عبر التحكم بمصادر المياه وتوزيعها بيعاً أو عبر إتفاقيات، تظهر بوضوح الأرضية الحساسة التي خاض فيها لبنان ومقاومته حرب السيادة على المياه الوطنية ولا يزال يخوضها مع العدو الإسرائيلي.

المواجهة الأولى

في منتصف عام ٢٠٠١ قامت الدولة اللبنانية بنصب مضخات

---

(١) العهد: ١٤ تموز ٢٠٠٠.

محدودة لسحب المياه على نبع الوزاني وذلك بغرض إيصال المياه لبلدة الوزاني العطشى والتي لم تكن تستفيد من مياه النبع العائد لها، ورغم أن كمية المياه المسحوبة لا تعبر إلا عن حجم ضئيل من حق لبنان في مياهه فقد أزعج ذلك الجانب الإسرائيلي الذي كان يرصد كل تحرك للبنان باتجاه الاستفادة من مياهه... ومع الأسف فإن الجانب الدولي الذي من شأنه أن يساعد لبنان على استعادة حقوقه كاملة ومن ضمنها الحقوق المائية كان له دور سلبي حيث أقدم ممثل الأمين العام للأمم المتحدة في لبنان «ستيفان دي ميستورا» على رأس وفد من خبراء المياه بزيارة عدة نقاط من ضفاف نهر الوزاني وأجرى قياسات لمنسوب المياه على مقربة من المضخة التي أقامتها الدولة اللبنانية وذلك خلافاً للمعاهدات الدولية حيث لا يحق لأحد سوى للبنان القيام بذلك، ومع الأسف فلقد انتقلت هذه القياسات للعدو بطريقة أو بأخرى، ولم تمضي أيام على زيارة المحقق الدولي للوزاني حتى خرج مدير شركة المياه الصهيونية من وكره من جديد ليطلق تهديدات ضد لبنان إذا ما استمر بضخ المياه إلى أراضيه لأن هذه التصرفات حسب تعبير المدير الصهيوني ستؤدي إلى انخفاض منسوب مياه النهر الأمر الذي سيؤدي إلى مواجهة أيضاً وذلك في ظل عدم وجود اتفاقية سلام بين لبنان و«إسرائيل»، وناشد المدير الصهيوني حكومته بالإسراع لوقف التصرفات اللبنانية.

لبنان المنتصر بمقاومته لم يكترث للتهديدات الصهيونية الجديدة وبقيت مضخة المياه ذات الأربعة إنشات تعمل ولمدة ثماني ساعات يومياً لتجر بعضاً من مياه نبع الوزاني إلى بلدة الوزاني المحررة والعطشى. بهذه الإرادة اللبنانية انتصر الوطن وبهذه الإرادة

المشحونة بزخم المقاومة ستبقى تهديدات العدو سراباً لا يخضع لها إلا المنهزمون.

المشروع الذي استفز «إسرائيل»

في نهاية العام ٢٠٠٢ بدأ مجلس الجنوب التابع للدولة اللبنانية بتنفيذ مشروع نصب مضختين لسحب المياه من نبع الوزاني بقطر حوالي ٢٠ إنشاً وذلك بهدف إيصال ماء الشفة لحوالي أربعين قرية في قضائي مرجعيون وحاصبيا وبعض قرى قضاء بنت جبيل، وسوف تبلغ أقصى كمية يتوقع ضخها (٩ ملايين م^{٣} سنوياً) وهي كمية أقل بكثير من حقوق لبنان المشروعة، فما يحصل عليه لبنان من حوض الحاصباني والوزاني يقتصر على ٧ ملايين م^{٣} سنوياً، فيما يؤكد رئيس مصلحة الليطاني، أن حصة لبنان من الحاصباني والوزاني تبلغ ٥٥ مليون متر مكعب في الحد الأدنى، ويشير إلى تقديرات تصل إلى ٨٠ مليون متر مكعب لدى جهات دولية تؤكد أحقية لبنان بهذه الكمية.

وكرد على المشروع اللبناني الذي ما أن بدأ العمل التنفيذي به حتى هدد رئيس وزراء العدو أرييل شارون بأن تحويل مياه نهر الحاصباني سيشكل سبباً للحرب بالنسبة «لإسرائيل»، حيث «أفادت معلومات إسرائيلية غير رسمية بأن شارون أدلى بهذا التصريح في اجتماع خاص لمسؤولين مدنيين وعسكريين حيث أوضح أن «إسرائيل» أبلغت الولايات المتحدة بهذا الأمر، مهددة لبنان بشن عملية عسكرية في حال نفذ لبنان مشروع ضخ مياه الوزاني أحد روافد الحاصباني، كما نقل عن وزير النقل الإسرائيلي قوله: في حال نفذ لبنان مشروعه بتحويل مياه النهر سيكون ذلك واقعاً خطيراً بالنسبة «لإسرائيل» ويستوجب منا التحرك. إزاء هذه التهديدات سارع

لبنان إلى إعلان موقفه الرسمي الذي جاء على لسان رئيس الجمهورية العماد أميل لحود الذي أكد أن لبنان لن يخضع للتهديدات الإسرائيلية الهادفة إلى منعه من تحصيل حقوقه الكاملة في مياه الوزاني، مؤكداً أن هذه الحقوق منصوص عليها في المواثيق والاتفاقيات الدولية، وأن استغلال «إسرائيل» لكل مياه الوزاني خلال فترة الاحتلال لا يعني أبداً تكريس الأمر الواقع على هذه المياه عن طريق القوة»[1].

احتدام السجال

ومع مضي لبنان في الاستعجال على الأرض في تنفيذ الخطوات العملية للمشروع مصحوبة بموقف رسمي وشعبي ثابت مضافاً إليه الدعم الميداني للمقاومة لحق لبنان في السيادة على أرضه ومياهه، كانت حدة التصريحات الإسرائيلية تتصلب يوماً بعد يوم منذرة بحرب يكون عنوانها هذه المرة المياه. مسألة المياه التي تعتبرها «إسرائيل» ومنذ احتلالها لمزيد من الأراضي العربية عام ١٩٦٧ خطاً أحمراً يحظر حتى مجرد البحث فيه، ويفوق بأهميته مسألة بقائها في الأراضي المحتلة أو الانسحاب منها، فعشرات التصاريح والدراسات الإسرائيلية اعتبرت المساس بالوضع المائي القائم بعد عام ١٩٦٧ هو مساس بوجود دولة «إسرائيل» نفسها، وقد سبق شارون الرئيس الإسرائيلي الأسبق «ليفي أشكول» حين لخص أهمية المياه والحفاظ عليها بعد احتلالها في العام ١٩٦٧ بقوله الشهير الذي أصبح شعاراً مقدساً لدى الإسرائيليين «إن مياه الأردن عزيزة علينا بقدر الدماء التي تجري في عروقنا».

---

(١) مجلة الأسبوع العربي: ٢٠٠٢/٩/٢٣.

ومعلوم أن معظم مياه نهر الأردن تتدفق من شمال فلسطين ومن لبنان والجولان السوري المحتل.

من هنا... تعتبر «إسرائيل» أن ما يقوم به لبنان ليس مد قسطل **مائي لجر المياه بل مدفع بقطر ٢٠ إنشاً يهدد «إسرائيل» مرة أخرى بإسقاط هيبتها وهيمنتها، ويمهد لبداية مرحلة تحرير جديدة تطال** المياه المحتلة في لبنان وخارجه، وتسقط ما جعلته «إسرائيل» من المحرمات في هذا الموضوع منذ عقود طويلة.

فشل أميركي

بعد أسابيع من احتدام السجال وشد الحبال حول قضية سحب لبنان لجزء من حقه من ماء الوزاني، بدا للعالم أن لبنان مصر على تنفيذ مشروع ضخ مياه الوزاني، وإن مرحلة التجارب على المضخات والأنابيب بين الوزاني حتى خزانات الطيبة أثبتت إمكان البدء بعملية الضخ الرسمي في التاريخ المقرر في ١٦/١٠/٢٠٠٢ برعاية رئيس الجمهورية أميل لحود، وبدأت صورة شارون تهتز، وبدا أن تهديدات ملك «إسرائيل» الجديد تجاه لبنان لا تختلف عن تهديدات من سبقه من الجنرالات والسياسيين المهزومين والهاربين من لبنان، وكان لا بد من تدخل دولي للقيام بوساطة تمنع لبنان بالحيلة من استرداد بعض حقوقه المائية، وهي بالحد الأدنى إن لم تقدر على ذلك ستحاول أن تحفظ لشارون والصهاينة شيئاً من ماء الوجه المفقود نتيجة التهديدات الفارغة بفضل الصمود اللبناني.

في البداية تم تقديم العديد من الإغراءات والوعود الدولية للبنان فيما لو تخلى عن هذا المشروع، وعند العجز عن ثني لبنان عن مواقفه، تقدمت الولايات المتحدة بصيغة تقضي بضخ لبنان المياه

لتلبية الحاجة إلى مياه الشرب وليس لري الحقول، وقد أبدى لبنان تحفظه على هذا العرض فضلاً عن عدم موافقة «إسرائيل» نفسها عليه، وفي ظل الفشل الأمريكي في تحصيل مخرج للأزمة الإسرائيلية ورغم عدم الرضى الأميركي دخلت أوروبا أيضاً على خط الأزمة المائية مما وفر للبنان فرصة أكبر في إيصال رأيه وإسماع صوته للرأي العام الدولي مع الحفاظ على قراره الشجاع والمحق.

مظلة المقاومة

كانت الأيام والساعات الفاصلة بين إنجاز العمل على عجل وبين ساعة الافتتاح الكبير لضخ المياه يوم ١٦ تشرين الأول من العام ٢٠٠٢ أكثر اللحظات دقة وحساسية وخطورة من جهة، وعزة وشرفاً وقوة للبنان من جهة أخرى، فالتهديدات المتكررة للإسرائيليين وحتى ساعات ما قبل الافتتاح كانت بنظر اللبنانيين تهديدات جوفاء تصدر عن عدو مهزوم لم ينسَ بعد طعم هزيمته المرة عام ٢٠٠٠، ولا سيما أن لبنان لا يزال يحتفظ بمقاومته كسلاح رادع وقوي. ولقد أمنت المقاومة مظلة واقية للمشروع ولاحتفاله المهرجاني الوطني الكبير وتجلى ذلك بالخطاب التاريخي لقائد المقاومة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله ليلة افتتاح المشروع والذي أعلن وبشكل لا يقبل الجدل أن المقاومة الإسلامية أعطيت الأوامر المسبقة للرد وخلال ثوان معدودة على أي اعتداء يطال منشآت الضخ في الوزاني أو الناس المشاركين في المهرجان الكبير.

أيار ٢٠٠٠ يتجدد

يوم السادس عشر من تشرين الأول كان الأخ الأصغر للعيد

الكبير في يوم التحرير، لا بل ابنه الشرعي، فبالدماء والدموع والتضحيات والصبر والممانعة والتصدي والمقاومة كان عرس التحرير للأرض والإنسان، وبالإرادة والتصميم وتخطي كل حواجز الخوف كان عرس تحرير المياه، وكما أجمع اللبنانيون على حق مقاومتهم وحضنوها فانتصرت، كذلك أجمعوا على تحرير مياههم فنجحوا وشرب الجنوب وقراه العطشى ماءً سلسبيلاً هو ماء العزة والفخر لأن كل قطرة منه دفع ثمنها قطرة دم على طريق التحرير.

وكانت نتيجة هذه المواجهة «الحرب» انتصاراً جديداً يضاف إلى النصر المظفر لا بل واحداً من نتائجه وأثاره الكبيرة والكثيرة، كما كانت هزيمة قاسية «لإسرائيل» تضاف إلى سجل هزائمها المرة في لبنان، وليثبت من خلال هذا النصر الجديد بأن لبنان لم يحرر أرضه فحسب بل وحرر إرادته وكرامته وقراره المستقل من أي تأثير للعدو ومن يقف خلفه ومهما بلغت التهديدات وسيبقى أيار ٢٠٠٠ يتجدد مع كل انتصار للبنان والعرب والمسلمين والمستضعفين في هذا العالم المليء بالظلم والتجبر.

تحقيق الأمن وتعزيز الوحدة الوطنية

إلى الثمرات المتقدمة للنصر والتحرير يضاف ثمرة غالية وعزيزة وهي تعزيز الوحدة الوطنية، وإنهاء بؤرة الفتنة وأداة التقسيم التي زرعتها «إسرائيل» في لبنان عبر ما عرف «بالحزام الأمني» وفي كل أطواره؛ صحيح أن الحرب الأهلية اللبنانية قد انتهت عملياً ورسمياً منذ العام ١٩٨٩ عام توقيع اتفاق الطائف بحيث عاد لبنان منذ ذلك التاريخ يتعافى وبشكل تدريجي، كما عادت الألفة بين أبنائه بشتى طوائفهم وأحزابهم السياسية، غير أن الشريط المحتل بقي الخاصرة الرخوة في جسد الوحدة الوطنية اللبنانية من خلال الاحتلال الإسرائيلي المباشر وبعض تأثيراته في الساحة الداخلية ومن خلال الأجواء التقسيمية التي كان يشيعها عملاء العدو في تلك المنطقة، عن جهل وحقد وعمالة للعدو الإسرائيلي، هذا العدو الذي ثبت لاحقاً للبنانيين بأنَّه لا يمكن أن يكون حليفاً لأي منهم وإن أظهر ذلك لطرف هنا وآخر هناك.

مليشيا لحد

«ما بين العامين ١٩٧٦ و١٩٧٧ انتقلت شرارات صغيرة من الحرب اللبنانية إلى أقصى الجنوب اللبناني، ففي حينها كانت منظمة التحرير الفلسطينية المتحالفة مع الأحزاب اليسارية اللبنانية قد أحكمت

سيطرتها على القرى اللبنانية المحاذية للحدود مع «إسرائيل» ومن بين هذه القرى كانت ثمة حواضر مسيحية، انتمى عدد من أبنائها إلى حزبي الكتائب والأحرار، وقرروا التصدي للتمدد الفلسطيني باتجاه قراهم. وشكل هؤلاء العناصر نواة ما أصبح يسمى لاحقاً «جيش لبنان الجنوبي» إلا أنه كانت هناك نواة ثانية من عناصر الجيش اللبناني بقيادة الرائد سعد حداد (من بلدة مرجعيون)، طلبت منهم قيادتهم القيام بحماية القرى المسيحية، والتحق بهذه الفرقة عناصر الجيش من أبناء بلدات رميش ودبل والقليعة، ولكن في العام ١٩٧٨ تغير الوضع كثيراً إذ قامت «إسرائيل» باجتياح لبنان حتى حدود نهر الليطاني، ثم عادت وانسحبت إلى ما أصبح يسمى فيما بعد «الشريط الحدودي»، في هذه الأثناء أعلن حداد قيام ما سماه «دولة لبنان الحر» وأطلق على جيشه «جيش لبنان الحر» الذي تولت «إسرائيل» تسليحه وتدريبه وكان الواجهة اللبنانية لحكم «إسرائيل» المنطقة.

وفي أثناء قيادة حداد للمليشيا وبعدها، مر الجيش الذي أصبح يسمى لاحقاً «جيش لبنان الجنوبي» بظروف متفاوتة، فقد أنشأت «إسرائيل» على هامشه مجموعات في القرى أطلقت عليها اسم «الحرس الوطني»... وفي السنوات الست الأخيرة قامت «إسرائيل» بدمج كل المجموعات المتعاونة معها تحت القيادة الرسمية لمليشيا لحد وأبقت على شيء من التوازنات المناطقية والطائفية فيه مع غلبة مسيحية في القيادة»[١].

الممارسات البغيضة

لقد مارس عملاء «إسرائيل» في الشريط المحتل وطيلة فترة

(١) مجلة الوسط: العدد ٤٣٥.

الاحتلال شتى أصناف الظلم على اللبنانيين سواء أولئك الذين كانوا عرضة لقصفهم العشوائي في المناطق المحررة أم أولئك الذين كانوا تحت رحمة همجيتهم وعتوهم في المناطق المحتلة، ولعل أشد أنواع الظلم الذي صدر عن وجود هذه المليشيا العميلة هو محاولة ظهورها بمظهر من يريد تحرير لبنان من الطرف الوطني والعربي وأحياناً باسم المسيحيين والمسيحية، مما جعل من الوجود المسيحي في الشريط المحتل وجوداً ملتبساً، خاصة قبل اندحار المليشيا عن منطقة جزين عام ١٩٩٩، ولقد كانت «إسرائيل» تسعى بخبث وطيلة فترة احتلالها لتمييز نفسها ووجودها عن وجود وأهداف ميليشيا لحد حتى لا تتحمل هي مسؤولية الجرائم التي يرتكبونها بحق أبناء وطنهم، كما كانت تسعى إلى إيجاد ما يشبه الحرب الأهلية بين قسمي لبنان المحرر والمحتل، غير أن وعي الحكم اللبناني والمسيحيين في الحكم تحديداً وفي خارجه من القوى المتنورة والوطنية إضافة إلى استراتيجية المقاومة التي دأبت على عدم القبول بمنطق التفريق بين «إسرائيل» وعملائها واعتبارهما شيئاً واحداً، وهذا ما تجلى بوضوح في تفاهمات تموز ونيسان وبسير العمليات العسكرية للمقاومة، والرد على شمال «إسرائيل» أو على الجيش الإسرائيلي فيما لو تعرض المدنيون للقصف على يد الميليشيا العميلة وعدم الاكتفاء بالرد فقط على أفراد تلك المليشيا، وبالفعل فقد سُجل نسبة كبيرة من الهدوء والأمن من شر هؤلاء العملاء، من حين استخدام المقاومة لهذه الاستراتيجية وتحديداً بداية من تفاهم تموز وصولاً إلى عملية طرد العملاء من منطقة جزين، هذه العملية شكلت ضربة قاضية للمشروع التفتيتي في الشريط المحتل، خاصة أن أهل جزين وبعد تحررهم أظهروا

الوطنية العالية والتي كانت تصرفات قلة من العملاء تحجبها وتظهرها بشكل مختلف.

إنهاء الفتنة

يوم الخامس والعشرين من أيار كان يوم إنهاء بذور الفتنة والقضاء على الدويلة المسخ التي أسسها الإسرائيليون من عمر الحرب الأهلية اللبنانية التي أشعلوها هم أيضاً بمكرهم ودهائهم، لذلك يمكن القول أن نهاية الحرب الأهلية اللبنانية على نحو الحقيقة كان يوم ٢٥ أيار ٢٠٠٠ حيث تم القضاء على الكيان المصطنع الذي صنعته «إسرائيل» بسبب الحرب الأهلية البغيضة.

في الخامس والعشرين من أيار تخلص المسلمون والمسيحيون في بلدات وقرى الشريط المحتل من خطيئة لم يحملوها بل حُملوها عبر شرذمة من المتعاملين وبذلك عاد الجميع إلى الوطن، حتى الكثير من هؤلاء العملاء الذين ندموا على عمالتهم فتح لهم في هذا اليوم باب للتوبة والعودة إلى الوطن رغم ما وجهوه لوطنهم ومواطنيهم من الأذى، وبذلك تكون الوحدة الوطنية قد تعززت بشكل لم يسبق له مثيل في لبنان، ليس فقط منذ اندلاع الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ بل ومنذ تأسيس الكيان السياسي للبنان، هذه الوحدة كانت ثمرة كريمة للتحرير الذي هو ثمرة بدوره للمقاومة ودماء شهدائها.

المقاومة محور الوحدة

شكلت المقاومة في لبنان رافعة للوحدة الوطنية بأرقى ما تعنيه كلمة الوحدة الوطنية، في وطن كانت الانقسامات تملأه من رأسه حتى أخمص قدميه، خاصة بسبب الحرب الأهلية، فضلاً عن الخصوصيات المختلفة لتشكل واسع من الطوائف والأحزاب والقوى

ذات الارتباطات الداخلية والأقليمية والدولية النظيف منها والمشبوه والعميل، ويكفي للتدليل على عظمة ورقي الوحدة الوطنية في لبنان هو إجراء مقايسة لنوع العلاقة وتطورها بين المقاومة والجيش اللبناني، حيث كانت في البداية علاقة توجس وخيفة وتماس، وذلك عندما كان الجيش مبنياً بطريقة لا تلبي طموح الوحدة الوطنية، إلى علاقة تكاملية رائعة ونموذجية لا سيما مع إعادة بناء الجيش على الولاء الوطني الصادق بفضل قائده السابق الرئيس اللبناني العماد أميل لحود.

وهكذا نجد أن لبنان الذي لا يزال يملك في داخل كينونته الكثير من أسباب الخلاف والتفرقة توحد حول المقاومة عندما رأى صدقها وجديتها في القتال، وكانت هذه الوحدة حول المقاومة تزداد يوماً بعد يوم كلما أيقن اللبنانييون أكثر من اقتراب يوم الاستحقاق الموعود بالنصر والتحرير.

يوم المرحمة

غير أن نقطة قلق كانت تؤثر على بعض اللبنانيين لا سيما في الشريط المحتل ومن يتصل بهم طائفياً أو دينياً أو جغرافياً ومصدر هذا القلق في الحقيقة كان الدعاية الإسرائيلية واللحدية بأن المقاومة لو تمكنت من إسقاط الشريط فإنها سوف تقوم بمذابح طائفية لن ينجو منها أحد، غير أن ما حصل في أيام التحرير فاجأ الجميع وأسقط هذا القلق غير المبرر تجاه مقاومة عرفها اللبنانييون وخبروها طويلاً، فقد أعلنت قيادة المقاومة أن هذا اليوم هو يوم المرحمة ويوم العفو والصفح الكبير، وأن المقاومة لن تنزل العقاب بحق أحد حتى لو كان يستأهل ذلك بل يحوّل للقضاء اللبناني المختص ولو أدى ذلك إلى ظلم على المقاومين الذين تحملوا الكثير الكثير

على يد هؤلاء الخونة؛ لقد أثبتت المقاومة في أيام التحرير أنها أهل للأمل الذي عقده عليها اللبنانيون جميعاً، وأنها أكثر تحضراً وإنسانية من الكثير من الدول والثورات في التاريخ والحاضر، فلم يقتل شخص واحد ولم تنتهك حرمة لبيت أو عائلة في مختلف مناطق الشريط المحتل أثناء عملية التحرير ومداهمة الأماكن المشبوهة، ولقد شهد العالم للمقاومة وللبنانيين على هذه المواقف السامية بما في ذلك شهادة الأمين العام للأمم المتحدة «كوفي أنان» نفسه.

الموقف الرحيم والعظيم للمقاومة لا سيما لفصيلها الأكبر حزب الله في يوم المرحمة جعل اللبنانيين الذين راهنوا على المقاومة وربحوا الرهان يجددون رهانهم وعهدهم مع المقاومة على متابعة مسيرة تعزيز الوحدة الوطنية في هذا البلد العزيز والغالي، وهكذا تحول هذا اليوم الذي كانت تراهن «إسرائيل» على تحويله إلى فتنة بين اللبنانيين في طريق انسحابها غير البريء، والذي كان معلناً في ٧ تموز ٢٠٠٠، تحول إلى أجمل يوم في حياة اللبنانيين، لأنه كان يوم الفرحة بالعودة إلى وطن يوحد الجميع بقلب واحد وعقل واحد، ولقد شارك الرئيس العماد أميل لحود اللبنانيين فرحتهم في هذا اليوم عبر سلسلة زيارات قام بها لقرى المنطقة الحدودية تحديداً علما الشعب، رميش، عين إبل، وبنت جبيل ومما قاله الرئيس اللبناني هناك:

«لقد رأيتم ماذا حدث عندما كان اللبنانييون موحدين دولة وشعباً ومقاومة وجيشاً، كل هذا من دون منة من أحد لأننا كنا معاً، أقول لكم ارتاحوا واطمئنوا، الماضي أصبح وراءنا والآن سنفكر بالبناء من أجل أولادنا ومستقبلنا... اليوم هو أجمل يوم في تاريخ لبنان لأن كل لبنان أصبح موحداً لمصلحة كل اللبنانيين».

قمة الوحدة والانتصار

وتتويجاً لمسيرة طويلة من التعاون والعمل على ترسيخ الوحدة الوطنية لا سيما بين الدولة والمقاومة ابتداءً من مؤسسة الجيش وبنائها بشكل وطني، وتقديراً من قائد المقاومة ورمزها لقائد البلاد وأحد أبرز العاملين الصادقين للوطنية الصادقة عبر تاريخ الحكم في لبنان الحديث، قام سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله بزيارة للقصر الجمهوري التقى خلالها العماد أميل لحود في أجواء غامرة من المحبة والتقدير وبعيداً عن البروتوكول المتبع في القصر الرئاسي، وهذه الزيارة التاريخية واللقاء الوطني الكبير، إضافة إلى دلالاته المختلفة «يعبر عن معالم مرحلة سياسية مقبلة، وهي تعبر أيضاً عن مواصلة حزب الله لنهج الوحدة الداخلية، وضرورة استكمال عناصر التوافق والانسجام بين المقاومة والدولة في هذه المرحلة بالذات؛ حيث يبقى لبنان في دائرة مفتوحة على احتمالات العدوان الإسرائيلي وهو الأمر الذي يتطلب الإبقاء على حالة رص الصفوف وتحصين الجبهة الداخلية من أجل حماية الانتصار التاريخي الذي حققته المقاومة»[1].

الأمن المستعاد

إذا كانت الوحدة الوطنية والأرض والماء والكرامة كلها من النعم التي استعادها لبنان في يوم التحرير الأغر، يبقى الأمن الشخصي والأمن الإجتماعي من الأمور التي لا تستقر حياة الإنسان من دون توفرها. والحقيقة يجب أن تقال وتعرف وهي أن الانتصار أعطى للبنان وجنوبه عامة وأهالي الشريط المحرر خاصة من الأمن

---

(١) العهد: ٣٠ حزيران ٢٠٠٠.

والدعة وعدم القلق على المصير الشخصي والاجتماعي ما لم يعرفه هؤلاء منذ عقود طويلة من الزمن، ويرتكز هذا الأمن في استتبابه على مجموعة أسباب شكلت مجتمعة مظلة واقية حمى اللبنانيين وخاصة في الشريط المحرر من الكثير من الأخطار التي كانت تحيط أو تحدق بهم أثناء الاحتلال أو بعده. ومن هذه الأسباب أولاً: إزالة الاحتلال والقضاء على المليشيا المتعاملة معه. ثانياً: تعزيز الوحدة الوطنية والاتفاق على أهمية العودة إلى الاستقرار، والتفاهم بين المقاومة والدولة على ضرورة أن تتحمل الدولة مسؤولياتها لجهة تأمين الأمن للبنانيين وبالتالي عدم حصول ازدواجية في مسؤولية الأمن، وبالفعل فلقد شكلت قوة أمنية لبنانية من عدة قطاعات عسكرية لبنانية وانتشرت في سائر الشريط المحرر وهي تمارس مهامها بأفضل وجه. ثالثاً: عودة المؤسسات القضائية والاقتصادية والاجتماعية إلى كافة بلدات الشريط المحرر وبسرعة مطلوبة. رابعاً: حماية المقاومة للحدود ووقوفها بصلابة في وجه أي اعتداء يمكن أن يقدم عليه العدو تجاه القرى والأراضي المحررة، أو أي اختراق أمني لهذه القرى العزيزة. خامساً: وعي أبناء الشريط المحرر بكافة طوائفه، وتوقهم إلى العيش بسلام بعيداً عن العمالة مع «الجار» السيء الذكر والذي لم ير منه أحد خيراً حتى هؤلاء الذين تعاملوا معه وخدعهم.

كل هذه الأسباب وغيرها جعلت من منطقة الشريط المحرر المنطقة الآمنة إن لم نقل الأكثر أمناً، ما ساعد أهالي الشريط على العودة إلى ممتلكاتهم وديارهم والتوجه إلى تأسيس الأعمال والمصالح التي تساهم بإعمار هذا الجزء العزيز من لبنان؛ وعلى أمل أن يتعزز الأمن وتتعزز الوحدة الوطنية أكثر فأكثر مع كل عام يحتفل فيه لبنان بيوم الانتصار والتحرير.

الفصل الثاني

اسرائيل في طريق الزوال

تمهيد

الهزيمة المبتوتة

سيناريوهات متعددة

وقائع الهزيمة

يوميات الاندحار في الإعلام الإسرائيلي

الزلزال في اعترافات المسؤولين الصهاينة

والصحافة تشهد

تمهيد

لم يشكك أحد في أن ما حصل في جنوب لبنان بين ٢١ و٢٥ أيار ٢٠٠٠ كان نصراً كبيراً للمقاومة ولبنان والعرب والمسلمين بل لجميع المستضعفين والأحرار في هذا العالم، نصر له دلالاته الكبيرة ونتائجه الباهرة وآثاره العظيمة سواء على لبنان أو الأمة، وهذه النتيجة لم يختلف حولها أحد يستوي في ذلك الأعداء والأصدقاء.

غير أن القضية ليست بهذا الوضوح فيما يخص هزيمة العدو الإسرائيلي وما حصل من انسحاب ذليل لجيشه الذي كان يوصف وهماً بأنه لا يقهر، حيث تضاربت الآراء والتحليلات داخل المجتمع الإسرائيلي حول ما إذا كان الانسحاب من جنوب لبنان انتصاراً «لإسرائيل» أيضاً كما حاول رئيس حكومة العدو آنذاك أيهود باراك وبعض جنرالاته بأن يوحوا، أم أن الانسحاب المتسرع كان هزيمة محققة بل زلزالاً هز الكيان الصهيوني، وعاراً استحقته المؤسستان السياسية والعسكرية في «إسرائيل»، وسقطة مريعة وضعت «إسرائيل» في طريق زوالها.

وهذا الفصل من الكتاب معد لتسليط الضوء على حقيقة ما حصل في أيار ٢٠٠٠ لدى الطرف الإسرائيلي ليظهر بجلاء أن

الانسحاب كان فراراً للجيش «الذي لا يقهر» من لبنان وتحت جنح الظلام وعلى عجل، واضعاً ذيله بين قدميه، وذلك بقرار سياسي يتحكم بأصحابه الوهن ويضغط باتجاهه مجتمع صهيوني لم يعد بإمكانه تحمل ضريبة دفع الدماء والأرواح، لذلك نحن أمام هزيمة عسكرية وسياسية بل واجتماعية ستؤسس حتماً لهزائم متتالية تقود في النهاية لزوال هذا الكيان الغاصب من الوجود.

وتخصيص فصل من كتاب «صدى الانتصار» للحديث عن هزيمة «إسرائيل» في لبنان وأبعادها فضلاً عن انسجامه مع الموضوع وهو آثار ونتائج الانتصار، بمعنى أن الاندحار والفشل الإسرائيلي وما يترتب عليه كان أحد أهم ثمار ونتائج النصر، فإنه كان للرد على تلك الأصوات الناشزة في لبنان والوطن العربي حيث تناغمت مع الأسف عن جهل أو عن عمد أحياناً مع تلك الأصوات الإسرائيلية التي حاولت عبثاً أن تظهر التقهقر والهزيمة على أنه انسحاب مدروس ومن ضمن الخطة، بل وصل الكذب والغرور ببعضهم للقول بأنه أفضل انسحاب ممكن، بدليل عدم سقوط قتلى إسرائيليين، وما شابه من أقوال لا يمكن تصنيفها إلا في خانة الترهات، والخداع والكذب المفضوح.

وكذلك كان هذا الفصل لتبقى الذاكرة اللبنانية والعربية متحفزة وكلما استحضر النصر اللبناني العظيم، لتحضر أيضاً الهزيمة الإسرائيلية التاريخية والمرة.

ومن البديهي أن أكثف اعتمادي على المصادر الإسرائيلية وتلك المتعاطفة مع «إسرائيل» ، على قاعدة «من فمك أدينك»، كما سوف أقوم وباختصار بسرد بعض الوقائع والإشارة إلى بعض

السيناريوهات لانسحابات مفترضة كان يخطط لها ولم تحدث بسبب توقيت وكيفية السيناريو «الإلهي» والمفاجىء الذي حدث بداية في ٢١ أيار ٢٠٠٠ ومن ثم تواصل بشكل مثير ومتسارع حتى الجلاء الكامل للمحتل عن معظم الأراضي اللبنانية في ٢٤ أيار ٢٠٠٠، وذلك ليظهر الحدث التاريخي والإلهي على حقيقته وتنجلي الصورة عن كامل الهزيمة الإسرائيلية وبكل المقاييس.

الهزيمة المبتوتة

لنحاول في البداية الاتفاق على مسألة جوهرية، فلو فرضنا أن الانسحاب لم يحصل في أيار ٢٠٠٠ بالطريقة التي باتت معروفة، ولو أننا فرضنا أيضاً أن الانسحاب قد حصل بكيفيات أخرى وسيناريوهات مغايرة، فهل أنه كان يمكن تصور أية كيفية أو سيناريو للإنسحاب تكون نتيجته نصراً «لإسرائيل»؟ وبرأينا فإن الجواب: كلا، فأي انسحاب كان سيحصل من جنوب لبنان وبأي صورة كانت فإن النتيجة في المحصلة هي هزيمة «لإسرائيل»، نعم من الممكن ساعتئذٍ أن يدور النقاش حول درجة الهزيمة وحدتها وبالمقابل حول ثمن النصر اللبناني وحجمه، والسبب في ذلك أن النصر أو الهزيمة لا يحددهما كيفية الانسحاب وشكله وعدد جنود العدو القتلى أو حجم الدمار الذي يخلفه انسحاب تدميري مفترض على لبنان، بل يساهم بالدرجة الأولى في تحديد ذلك أهداف الاحتلال وسنواته ونتائجه والمقاومة التي تعرض لها والخسائر التي تحملها وأجبرته في النهاية على التفكير بالانسحاب وصولاً إلى ساعة الحقيقة.

وإذا ما عدنا إلى الأسباب والدوافع لاحتلال أجزاء واسعة من أراضي لبنان من قبل «إسرائيل» توصلاً إلى احتلال العاصمة بيروت عام ١٩٨٢، فإننا نلحظ أسباباً أيديولوجية وأهدافاً تنطلق من الأحلام

اليهودية المزعومة «بإسرائيل» الكبرى وما يلازم ذلك من توسيع رقعة دولة «إسرائيل» لتمتد من «النيل إلى الفرات»؛ كما أننا نحلظ أسباباً سياسية كانت أشدها طموحاً السيطرة على النظام اللبناني من خلال إتفاق ١٧ أيار مروراً بأسباب اقتصادية ومائية وأمنية ولا سيما ما يتعلق بحماية شمال فلسطين من العمليات الإستشهادية وصليات الكاتيوشا من قبل المقاومة المتواصلة والمنطلقة من جنوب لبنان، وعليه فإن أي انسحاب من لبنان وبأي نحو كان سيتم، هو هزيمة «لإسرائيل» طالما أنها لم تقدر على تحقيق تلك الأهداف بل وحتى أي منها.

نعم كان يمكن للإنسحاب أن يبدل الهزيمة الإسرائيلية إلى نصر لو أنها تمكنت من فرض سلام الأقوياء على سوريا ولبنان، أو إقامة اتفاقات سياسية أو حتى أمنية مع لبنان منفرداً وإملاء الشروط عليه على غرار ١٧ أيار أو حتى أقل من ذلك كالتزام لبنان بنشر الجيش على الحدود ومنع تواجد المقاومة هناك وما شاكل، غير أن ذلك كله لم يحصل بل لم يكن ضمن الاحتمالات الجدية عشية الانسحاب الإسرائيلي من لبنان بفضل شجاعة المقاومة وصلابة الموقف السوري وتكامل الموقف اللبناني معه، وعليه يمكن القول بأن جميع السيناريوهات التي كانت مطروحة أو في طور النقاش لدى الجانب الإسرائيلي والتي تندرج جميعها تحت إطار «الانسحاب الآحادي الجانب» فيما لو حصل أي منها لكانت النتيجة النصر للبنان والهزيمة «لإسرائيل»، بتفاوت درجات وحجم الانتصار هنا، وفداحة ومستوى الهزيمة هناك، وذلك انطلاقاً من شكل وكيفية الانسحاب، لذا أجد من المهم أن أعرض أولاً وباختصار السيناريوهات التي كانت محتملة عشية الانسحاب من لبنان حتى يُعلم ويظهر جلياً عظمة الانتصار الإلهي في لبنان والذي حدث في أيار ٢٠٠٠، وفي المقابل فظاعة وحجم الهزيمة الإسرائيلية الكاملة.

سيناريوهات متعددة

فيما يلي أعرض للإحتمالات التي كانت قائمة حول طريقة الانسحاب من لبنان عشية الموعد المفترض في ٧ تموز ٢٠٠٠ ومن ضمنها ما لم يكن متوقعاً من طرفنا بل كان مأمولاً للطرف الإسرائيلي:

السيناريو الأول: الانسحاب من لبنان والجولان كنتيجة لإبرام اتفاق سلام شامل مع كل من سوريا ولبنان، يتوج المفاوضات الجارية على المسار السوري اللبناني، وهذا ما بدا أن باراك كان يسعى لتحقيقه بكل حزم بالتعاون مع الإدارة الأمريكية، مفترضاً أنه السبيل الأفضل للإنسحاب مع حفظ ماء الوجه وتأمين الأمن الإسرائيلي بالحد الأدنى، غير أن الفشل الذريع أصاب هذا السيناريو بعد الإعلان عن فشل قمة جنيف بين الرئيس الأميركي بيل كلينتون والرئيس السوري المرحوم حافظ الأسد، وقوضت كل الآمال الإسرائيلية بالخروج من لبنان عبر هذا الباب المريح إلى أبعد حدود والذي كان يمكن أن يحول هزيمة «إسرائيل» في لبنان على مدى ١٨ عاماً إلى إنجاز بالحد الأدنى إن لم نقل نصر. كان ذلك بفضل الموقف الثابت والصامد للرئيس الراحل حافظ الأسد وشدة إصراره على التمسك بالحقوق الوطنية والعربية المادية

والمعنوية، وبذلك تكون «إسرائيل» قد حرمت من فرصة تاريخية غاية في الأهمية.

السيناريو الثاني: أن تنسحب «إسرائيل» بعد إبرام اتفاق سياسي أمني أو حتى فقط أمني وبالمستويات الممكنة مع حكومة لبنان، أو مع أي طرف فاعل في لبنان أو في حكومته يمكن أن يكون مخرجاً لها بأن الانسحاب تم باتفاق. ولعلَّ «إسرائيل» كانت تكتفي بتصريح متلفز لقائد المقاومة السيد حسن نصر الله يعطيها شيئاً من الوعد بعدم ملاحقة جنودها إن هي قررت الانسحاب من لبنان إلاَّ أنَّ شيئاً من ذلك لم يحصل مطلقاً، بسبب متانة العلاقة السورية اللبنانية والانتباه للحيل الإسرائيلية ووعي الرئيس العماد لحود لخطورة الانجرار نحو أي اتفاق سياسي أو أمني مع العدو في هذا الظرف بالذات، ورفض المقاومة الإسلامية وقائدها لأي هدنة أمنية أو عرض يمكن أن يعطي فرصة «لإسرائيل» للنفاذ بجلدها وماء وجهها، بل يجب أن تخرج ذليلة خاسئة وتحت النار.

لذلك كله فشلت الجهود الإسرائيلية في الإنسحاب عبر هذا السيناريو أيضاً، وأخيراً وصل اليأس بقادة «إسرائيل» للتفكير الجدي بالانسحاب «الآحادي الجانب» أي بدون البحث عن اتفاقات مع الطرف الآخر بل من طرف واحد.

السيناريو الثالث: الانسحاب العسكري أثناء توجيه ضربة عسكرية عنيفة لا سيما من الجو بهدف تدمير البنية التحتية في لبنان، فتحقق «إسرائيل» من خلال ذلك أموراً منها: تأمين انسحاب آمن ومنظم لجيشها من جنوب لبنان مستفيدة من غطاء النار والدخان والأشلاء

البشرية. حرمان اللبنانيين من فرحة الانتصار والتحرير وجعل بعضهم يندم على تأييده للمقاومة. توجيه رسالة قاسية للبنان والمقاومة من مغبة استمرار المقاومة ضد «إسرائيل» بعد الانسحاب أو توجيه أي أذى للمستوطنات الشمالية أو لجنوده هناك.

وإنه لمن المؤكد أن مثل هذا السيناريو لو تحقق فعلاً لكان من الممكن أن يخفف الكثير من مرارة الهزيمة الصهيونية بالانسحاب من لبنان، ويحرم اللبنانيين والمقاومين من قطف فرحة النصر والتحرير ويحدّ من آثار ونتائج الانتصار الكبير، رغم أنه لا يلغي الهزيمة الإسرائيلية كما أسلفنا.

السيناريو الرابع: الانسحاب مع إيجاد أرضية مناسبة لفتنة تؤدي إلى تصادم عنيف بين المقاومة وجيش لحد أو بعضه أو تشكيلات جديدة أخرى كانت «إسرائيل» تفكر بتأسيسها في القرى والمدن المحتلة، وكان من المحتمل أن تؤدي تلك المصادمات لو حدثت إلى شحن طائفي ومذهبي على مستوى لبنان بأسره قد تدخله في متاهات وتحرمه من أحد أبرز نتائج الانتصار وهي تعزيز الوحدة الوطنية التي تجلت أثناء التحرير وبعده. وهذا الفرض لو حصل لا سمح الله كان سيخفف وقع الهزيمة الإسرائيلية من جهة ويعطي الصهاينة نوعاً من الأمان والاطمئنان في شمال فلسطين باعتبار أن المقاومة منشغلة بفتنة داخلية فلا يمكنها أن تشكل تهديداً «لإسرائيل».

السيناريو الخامس: الانسحاب من لبنان تطبيقاً للقرار ٤٢٥ الذي أدارت «إسرائيل» له ظهرها لمدة ٢٥ عاماً، غير أنها عندما وجدت نفسها أمام انسحاب آحادي الجانب، عملت على اختراع أطراف ولو كانوا من خارج المنطقة، يساعدونها في تأمين الانسحاب

الهادىء والمنظم والمضمون العواقب، وكانت الخطة أن يعزز مجلس الأمن قوات الطوارىء المتواجدة في لبنان ويضاعف عديدها ويبدل مهمتها من مهمة فصل للقوات إلى مهمة ردع، ليأتي بعد ذلك الجنود الدوليون وبقرار إسرائيلي، فيستلمون الشريط المحتل من العدو تدريجياً، مع إيجاد الحلول لجيش لحد أو لعل التفاهم معه كأمر واقع، وبالتالي سيطرة تلك القوات الكاملة على الشريط، قرى ومدن وتلال ومواقع استراتيجية، ولا سيما المناطق القريبة من السياج الحدودي، ثم ليمنَّ علينا هؤلاء بعد ذلك بالدخول إلى أرضنا بألف شرط وشرط. نعم هذه صورة مختصرة عن المخطط الإسرائيلي المدعوم دولياً وأمريكياً والذي جاء تحت مزاعم تطبيق القرار الدولي ٤٢٥، ومن يعلم ماذا كان يمكن أن يكون عليه الحال مثلاً لو اصطدمت المقاومة مع تلك القوة الرادعة!؟. من المؤكد أن «إسرائيل» كانت تقف لتتفرج شامتة على العرس الذي تحول إلى جنازة، وتخفي بذلك مرارة هزيمة فرارها من لبنان المقاوم، ولكن هذا السيناريو الذي كان مرجحاً بقوة لم يحصل بسبب سيناريو أيار العظيم.

السيناريو السادس: إذا صح إطلاق لفظ السيناريو هنا عليه هو إلغاء الانسحاب الموعود في ٧ تموز ٢٠٠٠ أو تأجيله، وبعبارة أخرى عودة باراك عن وعده الانتخابي!! هذا الاحتمال كان ضعيفاً، غير أنه كان وارداً أيضاً، رغم أن نتيجته كانت مزيداً من الرعب للمجتمع الإسرائيلي من جحيم لبنان، ومزيداً من تعملق المقاومة في لبنان وتسجيل انتصارات يومية وصولاً إلى الانتصار النهائي والحتمي مهما طال الانتظار.

السيناريو السابع: وهو ما حصل في جنوب لبنان بين الحادي

والعشرين والرابع والعشرين من شهر أيار ٢٠٠٠، ويمكنني بكل ثقة وبلا تردد أن أطلق عليه لفظ «السيناريو الإلهي»، لقد كانت الخطة خطة إلهية والإرادة إرادة إلهية، والتنفيذ كان على أيدي مجاهدين أعاروا جماجمهم لله، وكانوا يسيرون بهدي من السلطة الإلهية خلافاً لمنطق الأمور والأشياء، وكان الرعب الإلهي يسير أمامهم ومعهم فينهزم الأعداء بلا رصاص ولا قتال، كأغرب ما تكون الأحداث، وأشدها إثارة!!.

والحق يقال إن هذا السيناريو هو أفضل ما كان يمكن تصوره للبنان والمقاومة، وبالمقابل هو أسوأ ما كان يمكن تصوره للإسرائيليين وجيشهم، فلبنانياً شكلت طريقة التحرير عرساً رائعاً دام خمسة أيام سوف لن ينساه اللبنانيون ومعهم العرب والمسلمون والأحرار مدى الحياة، كما أنه جعل العمق الإسرائيلي على مرمى حجر، ومنع وقوع أي فتنة داخلية وعزز الوحدة الوطنية خاصة بين المقاومة وأهل تلك القرى التي أرادها الإسرائيليون أن تكون حطباً لفتنتهم، إلى العشرات من المسائل التي تعزز الانتصار اللبناني، بالمقابل أدى هذا السيناريو إلى جعل الهزيمة الإسرائيلية أشد إذلالاً وعاراً من أي هزيمة قد يحققها أي سيناريو محتمل مما ذكر أم من غيرها والكلام الإسرائيلي بأن طريقة الانسحاب هذه تمت من دون دفع أي قطرة دم، لا يمكن أن تخفف على الإطلاق من فداحة الهزيمة على مستوى مدلولاتها المعنوية والسياسية والعسكرية والإستراتيجية على مستقبل الكيان، وهل يوجد في أي قاموس عسكري أن عدم سقوط القتلى في معركة دليل على عدم الهزيمة في تلك المعركة!؟ ويكفي أن «إسرائيل» انسحبت بلا أي مكتسبات أو اتفاقات أمنية أو سياسية، ثم أنها خرجت تحت جنح الظلام وعلى

عجل تاركة وراءها أسلحتها وأجهزتها المعلوماتية وحتى أطباق جنودها الحارة، والأهم أنها لم تبلغ عملاءها الذين خدموها لثلاثين عاماً بتوقيت انسحابها وتركتهم وراءها كالحيوانات، كل ذلك خوفاً من قذائف وعبوات المقاومة التي أرعبتهم إلى حد الجنون طيلة ١٨ عاماً وأمام زحف المجاهدين ـ مقاومين ومدنيين ـ ومعهم رايات حزب الله الصفراء وقبضاتهم المشدودة وحناجرهم التي تلعن المحتل وتطرده إلى الأبد، ولكن الحق الذي يجب أن يقال أيضاً حول هذا السيناريو للتحرير أنه لم يفاجىء الإسرائيليين فقط بل فاجأ المقاومة وقيادتها مع الفارق في وقع المفاجأة في الموقعين المتضادين والمتحاربين، فحزب الله الذي خطط للدخول إلى القنطرة عبر المواكب المدنية المجاهدة لم يكن يهدف الوصول إلى الطيبة في ذلك اليوم، بل كانت خطوته تكتيكية ومحدودة وجزئية، ولم يكن حزب الله يعلم في تلك اللحظة أنَّ الدخول إلى القنطرة سوف يعقبه ذلك الفتح العظيم؛ نقول ذلك لنخلص إلى النتيجة التالية وهي أن ما حصل في ٢١ أيار ٢٠٠٠ كان تدبيراً إلهياً بالكامل، وما حصل بعد ذلك من انتصار عظيم كان نصراً إلهياً مبيناً حباه الله للمقاومين المخلصين، وفي المقابل كان غضباً إلهياً صُبّ على رأس اليهود ليسومهم من العذاب والذل والهوان، فيخرجون والعار عليهم والمذلة تلازمهم إلى ما لا نهاية، وللتاريخ أقول أن الجيش الإسرائيلي هذه المرة لم ينسحب فقط تحت نار وصواريخ المقاومة التي كان يتحسب لها بل خرج ونيران أبطالها تلاحقه إلى جنب قبضات الرجال العزلاء وصرخات النساء وحجارة الأطفال والرعب الذي قذفه الله تعالى وملائكته في قلوب الجنود المهزومين، وإنَّ هذا لأشد وأخزى لو كانوا يعلمون.

وقائع الهزيمة

سأتحدث بإيجاز عن أهم عناوين وقائع الهزيمة الإسرائيلية في أيار ٢٠٠٠ وأبرز مفاصلها، ثم أترك الحديث عن تلك الوقائع لوسائل إعلام العدو الإسرائيلي لتروي هي مرارة أيام الاندحار الإسرائيلي عن لبنان.

يمكن اعتبار إسقاط موقع الطيبة الاستراتيجي في اليوم الأول من أيام التحرير النقطة الأولى الأبرز في وقائع الهزيمة الإسرائيلية، حيث يعتبر الموقع نقطة استراتيجية وحساسة للغاية لا تبعد عن حدود فلسطين المحتلة بأكثر من ثلاثة كيلومترات على أبعد تقدير، حيث تفاجأ الإسرائيليون بوصول مجاهدي حزب الله ضمن تظاهرات مدنية إلى الموقع بعد ساعات قليلة من اختراق الحزام الأمني بدأ من القنطرة، ولقد بُغتت القيادة العسكرية والسياسية الإسرائيلية بالموقف لعدم توقعه مسبقاً ولحراجته، ولقد تضاربت الأنباء والمعلومات حول أوامر إسرائيلية وجهت لحامية الموقع اللحدي بإطلاق النار على المدنيين فيما لم يمتثل اللحديون للأوامر نتيجة خوفهم من العواقب وهو الأرجح، وأخرى تقول بأن الإسرائيليين منعوا اللحديين من ذلك خوفاً من العواقب غير المحسوبة وهو غير مرجح وعلى كلا الإحتمالين يظهر أنَّ إرباكاً شديداً ساد لدى الجانب

الإسرائيلي واللحدي نتيجة عنصر السرعة والمباغتة والغرابة التي تميز بها اختراق اليوم الأول والوصول إلى موقع الطيبة، حتى عبرت بعض الصحف الصهيونية بعبارة غاية في الدقة حول الدخول المباغت إلى موقع الطيبة بوصفها ما حصل: «إنَّ حزب الله فاجأ الجيش الإسرائيلي وهو يخلع سرواله الداخلي».

إنفراط عقد جيش لحد لا سيما في القطاع الأوسط وبالسرعة التي حصلت وبالتالي عدم مقدرته على الدفاع عن مواقعه بما في ذلك الحصينة والآيلة إليه من طرف الجيش الإسرائيلي قبل أيام (موقعا الطيبة ورأس البياضة) حيث كانت «إسرائيل» تراهن على هذا الجيش العميل أن يصمد لمدة زمنية كافية لإتمام الإنسحاب الهادىء والمنظم، بل والقدرة على الإشتباك لاحقاً مع المقاومة، هذا الإنهيار السريع كان أحد أركان الهزيمة الإسرائيلية في لبنان أيام التحرير.

إنَّ إقدام الناس وعدم تراجعهم رغم التهديدات الإسرائيلية، بل وعمليات القصف والقتل ضدهم، وإصرارهم إلى جنب المقاومة على الإستفادة من الفرصة السانحة واستكمال عملية التحرير في اليوم التالي لا سيما بالضغط على بلدة العديسة وتحرير قرى محاذية للحدود (مركبا ـ حولا ـ ميس ـ بليدا) أضعف الموقف الإسرائيلي إلى أقصى الدرجات حيث انقسم الحزام إلى قسمين ودفع الأمور أكثر باتجاه الهزيمة المحققة. هذا الضغط في اليوم الثاني يضاف إليه الضغط الآخر للناس وللمقاومة في قاطع بنت جبيل حيث أسقطت عدّة مواقع لحدية وحررت قرى بيت ياحون، كونين، ورشاف، جعل القوات الإسرائيلية واللحدية في بنت جبيل في حالة قلق شديد وإرتباك لا يوصف، دفع باراك وحكومته المصغرة للتفكير

في اتخاذ أحد قرارين: المواجهة مع المقاومة والناس، وهذا ما لا يملك باراك وجنرالاته الجرأة عليه أو الفرار في ظلمة الليل وهذا ما أقدم عليه العدو فعلاً، ولا نستطيع مطلقاً أن نغفل جانباً ضغط العمليات الشاملة والمركزة للمقاومة الإسلامية على عشرات المواقع الإسرائيلية في طول الجبهة والذي ترافق مع الاختراقات والتقدم على محاور التحرير المعروفة. هذا الضغط والعمليات المتواصلة أفهم الإسرائيليين أن المقاومة جاهزة لأي احتمال وأنّها حاضرة لإنزال الهزيمة العسكرية بالعدو إن هو فكر بمعاودة دخوله إلى المواقع التي انهزم منها، وقد أدت تلك العمليات إلى تدمير دبابة ميركافا وقتل طاقمها إلى العديد من الإصابات الأخرى ما يخالف ادعاءات العدو أنه خرج من دون دماء؛ وإلى ذلك يمكن أن يسجل المرء مجموعة مؤشرات بالغة الأهمية على الهزيمة الإسرائيلية في أيار، ومن أهمها المشهد المخزي لآلاف اللحديين يتهافتون للدخول إلى فلسطين المحتلة تاركين وراءهم كل شيء حتى سياراتهم التي غادروها على عجل ومحركاتها لا زالت تعمل، ومشهد إطلاق النار بين الجيش الإسرائيلي واللحديين الذين أرادوا استعجال فتح البوابات لهم حتى لا يدركهم حزب الله، كذلك فرار الآلاف المستوطنين من المستوطنات الشمالية بحيث كان يخطر للمجاهدين والناس الذين وصلوا بعشرات الآلاف إلى قراهم المحاذية وحرروها، كان يخطر لهم من فرط تأثرهم ولمشاهدتهم المستوطنات خالية أن يستكملوا عملية الإقتحام الباهر باتجاه المستوطنات الشمالية في فلسطين المحتلة!! ويكفي للمراقب في اليوم الرابع من أيام التحرير أن يُلقي نظرة عابرة يقارن فيها بين الحدود اللبنانية والفلسطينية ليعرف من المنتصر ومن المنهزم، فمدنيونا يقتحمون مع

المقاومة وبكل جرأة كل معاقل الجيش الإسرائيلي المنهزم، ويغنمون ما فيها بل وهم حاضرون أن يتابعوا المسيرة باتجاه فلسطين، ويقفون بكل ثقة على الجانب اللبناني من الحدود يرشقون جنود العدو بالحجارة بينما هم مختبؤون مذعورون، أما المستوطنون فلا أثر لهم من بعد عين.

ولو أغفلنا كل ما ذكر ومعه الغنائم الكثيرة لجيش العدو وعملائه والتي جال بها المقاومون والأهل أرجاء لبنان فرحين بنصر الله، فيكفي في إثبات الهزيمة لجيش العدو صور جنوده وهم يبتسمون عند مغادرتهم الأرض اللبنانية لأنَّهم غادروا الجحيم الذي لا يحبون أن يفكروا بالعودة إليه مطلقاً.

هل رأيت جنوداً يخرجون من أرض احتلوها وهم يبتسمون، نعم إنهم الجنود الذين فروا من الجحيم اللبناني، أنَّهم جيش «إسرائيل» «الذي لا يقهر».

يوميات الاندحار في الإعلام الإسرائيلي(*)

لم يكن أمام الإسرائيلي سوى خيار وحيد وهو الخروج من لبنان ذليلاً منكسراً وذيله بين رجليه... على هذا اتفق اليهود فيما بينهم، ما خلا أصوات ناشزة لباراك وبعض جنرالاته أبت أن تعترف بالهزيمة الكاملة وحاولت تلطيفها، كما أنَّه لم يختلف المعلقون اليهود على أن الخروج الذليل للقوات الإسرائيلية من جنوب لبنان قد شكل انعطافة تاريخية على مستوى المشروع الصهيوني في المنطقة وأضاف عنصراً جوهرياً إلى حركة الصراع ضد «إسرائيل» على مستوى الأمة بأسرها. هكذا تبدت صورة «الخروج» السريع «لجيش الدفاع» من الجنوب اللبناني كما أظهرتها وسائل الإعلام الإسرائيلية التي عملت على مدى تلك الأيام لحظة بلحظة واغتنمتها فرصة لتتحدث عما يقال وعما لا يقال.

لقد كانت أياماً عصيبة عليهم لم يسبق لجنود الجيش «المهزوم» أن عاش مثلها، بلغت فيها قلوبهم الحناجر، ولم يعد لديهم من هم، لا للفرار مندحرين ولا لحفظ ماء الوجه أمام الرأي العام لديهم، ولا لمستقبل المؤسسة العسكرية التي تربوا فيها..!!

(*) النصوص المنقولة عن وسائل إعلام العدوّ المرئية والمسموعة ثم استفادتها من مركز الهدهد للتنصّت والترجمة التابع للمقاومة الإسلامية.

لقد كان كل همهم أن يخرجوا دون أن ينال منهم حزب الله بعبوة أو يطالهم بصاروخ، المهم أن يخرجوا بلا دم وبلا قتيل أخير. . .

وهنا أعرض لساعات وأيام الاندحار للجيش الصهيوني كما تبدت في مختلف وسائل الإعلام الإسرائيلي في تلك الأيام وباختصار شديد.

اليوم الأول للإندحار

البداية كانت ظهر يوم الأحد في ٢١/٥/ ٢٠٠٠ عندما دخل الأهالي ورايات حزب الله إلى بلدة القنطرة. . . ومنها كرّت السبحة وبدأت القرى والمواقع تحرر واحداً بعد الآخر. . . حيث توج هذا اليوم من اندحار العدو من الطيبة وموقعها الاستراتيجي.

الإعلام الإسرائيلي ظل يتعاطى ببرودة مع الحدث. . . لعله كان ينتظر تبلور الأمور ووضوح الصورة. . . وهذا ما حصل في النشرات المسائية. . .

نشرة أخبار التلفزيون الإسرائيلي ـ القناة الثانية ـ الساعة الثامنة مساء الأحد ٢١/ ٥/ ٢٠٠٠.

المذيع: «هذا المساء الانسحاب يتوسع، وحزب الله بالتأكيد قصف وحاول احتلال موقع الطيبة الذي سلمه جيش الدفاع إلى جيش لبنان الجنوبي، والذي ببساطة تركه (استعمل المذيع قريباً للفظ العامي عندنا: فركها). . . وننتقل الآن إلى مراسلنا في الشمال روني دانيئيل ليحدثنا عما يمكن أن نسميه دراما غير قليلة في موقع الطيبة».

روني: «بالفعل هكذا، دراما غير قليلة وكلها جرت على مسافة ٣ ـ ٤ كلم عن حدود «إسرائيل»، في ساعات الظهر وصل إلى قرية

الطيبة عدة عشرات من المتظاهرين في مسيرة مدنية، والأمم المتحدة التي كان من المفترض أن تمنعهم لم تفعل ذلك، وبذلك وصلوا إلى قرية الطيبة، وبعد مرور عدة دقائق انتشرت رايات حزب الله في كل القرية، التي لا تبعد إلا قليلاً عن حدود «إسرائيل»، وبعد ذلك توجه المتظاهرون أنفسهم ومن الممكن جداً أن بينهم عناصر من حزب الله، توجهوا إلى الموقع غير البعيد الذي سلمه جيش الدفاع إلى جيش لحد قبل عدة أيام، وليس واضحاً ما جرى داخل الموقع ذاته، لكن النتيجة هي أن جنود جيش لبنان الجنوبي أخلوا موقع الطيبة الذي استلموه قبل أيام وخلفوا وراءهم ناقلة جند ودبابة وتواروا ببساطة. الوضع جداً معقد ومن الممكن أن عناصر حزب الله الذين كانوا في وسط المدنيين وضعوا يدهم على الدبابة ورحلوا... كل هذه الأمور دفعت بمروحيات سلاح الجو إلى السماء وأغارت على أهداف في المنطقة على مواقع وعلى الدبابة، لكن النتيجة من وصفي لهذه الدراما هي أن جنود لحد في ظروف صعبة جداً من جهتهم، ولذلك تركوا الموقع، ومن يراقب الطيبة يرى هناك أعلاماً كثيرة جداً لحزب الله على بعد ٤ كلم من حدود «إسرائيل»، ومقابل مسكاف عام لمن يهمه الأمر...!

ويتابع روني: وأكثر ما يقلق في ما حصل هو أن سكان الطيبة انضموا وأيدوا المسيرة ذاتها التي وصلت، وبكلمات بسيطة انضمت البلدة كلها دفعة واحدة إلى حزب الله ورفعت الأعلام، وهذه علامة استفهام كبيرة جداً عن كل هذا القطاع».

وكما استنفرت القناة الثانية مراسلها العسكري كذلك فعلت القناة الأولى في نشرتها الإخبارية المسائية حيث بدأت أخبارها بالاتصال المباشر مع مراسلها العسكري في الشمال ألون بن ديفيد.

المذيع: «أصدر رئيس الحكومة وزير الدفاع أمراً إلى الجيش

بالاستعداد لتلقي أمر الانسحاب بعد عشرة أيام بحلول الأول من حزيران. . ألون، بعد عشرة أيام!!! كم من الأحداث في الحدود الشمالية ستجبر رئيس الحكومة على تقديم موعد الانسحاب؟».

ألون: «يبدو أن القصف الثقيل الذي يلاحق جيش الدفاع سيملي على ما يبدو تقديم موعد الانسحاب عما كان مخططاً له. . .».

ثم عاد ألون في آخر النشرة ليعلن الخبر التالي: «تلقى الجيش أمراً ليكون جاهزاً للانسحاب بحلول الأول من حزيران، هذا يعني أن كل الجنود في نهاية هذا الأسبوع وفي جميع المواقع سيبقون فقط مع سلاحهم الضروري بدون أثاث مكتبي ومطابخ، وسوف يتناولون وجبات جاهزة، وعندما يصدر أمر الانسحاب يكون من الممكن إخلاء جميع المواقع في لبنان خلال ليلة واحدة».

ولكن «الإذاعة الإسرائيلية» الناطقة باللغة العربية، وفي أخبارها في العاشرة والنصف ليلاً عادت لتنفي الخبر الذي أذاعه ألون:

«نفى مستشار رئيس الوزراء وزير الدفاع لشؤون الإعلام ما نشرته هذه الليلة القناة الأولى من التلفزيون الإسرائيلي من نبأ مفاده أن باراك أصدر توجيهاته إلى جيش الدفاع ليكون مستعداً للإنسحاب من جنوب لبنان اعتباراً من الأول من شهر حزيران المقبل.

وأكد المستشار الإعلامي أن الانسحاب سيتم عندما تكون الظروف مهيأة لذلك طبقاً لما هو منصوص عليه في قرار مجلس الأمن الدولي الرقم ٤٢٥، وأضاف المستشار أن قرار الانسحاب لن يكون متعلقاً بكيفية انتشار جيش لبنان الجنوبي في أي موقع من المواقع في جنوب لبنان».

ويظهر أن هذا النفي لم يكن سوى مجرد محاولة يائسة للحفاظ على الوضع الميداني من الإنهيار السريع.. وهذا ما بدا واضحاً في كلام المراسل العسكري للقناة الثانية روني دانيئيل حينما بث تقريره الإخباري من الشمال في نشرة منتصف الليل.

المذيعة: «أجروا في الجيش هذا المساء نقاشات عميقة حول الوضع الذي نتج في أعقاب ترك جنود جيش لبنان الجنوبي لموقع الطيبة... مراسلنا روني دانيئيل على الهاتف: روني ماذا جرى هناك؟»

روني: «أولاً يمكن القول أن هناك قلقاً كبيراً مما جرى في هذا الموقع حيث تركه جيش لبنان الجنوبي دون أي تنسيق، وهذا كله جرى قريباً جداً من الحدود الإسرائيلية.. وهذا ما يعكس شعوراً شديد الوطأة في كل المنطقة عن إشارات أولية عن بدء إنهيار جيش لبنان الجنوبي».

يوم الإثنين ٢٢/٥/٢٠٠٠

وهو اليوم الثاني من أيام الهزيمة الإسرائيلية وانهيار ما كان يسمى بالحزام الأمني، وكما هو حال كل «إسرائيل» كان الارتباك والذهول وعدم التصديق لما يجري بادياً بشكل واضح في وسائل الإعلام الإسرائيلية، حيث احتاج الحدث الإستثنائي إلى تغطية استثنائية، فكانت التقارير التالية:

تقرير من المراسل العسكري للقناة الثانية مباشرة من منطقة الشمال روني دانيئيل: «هذه هي القصة كلها في صورة واحدة حيث نشاهد دبابة لجيش الدفاع على مقربة من مستوطنة المنارة على السياج الحدودي تقوم بإطلاق النار من أجل صد السيطرة المدنية

من جانب حزب الله على القرى الشيعية في الجنوب... هنا نشاهد موقع الطيبة الذي تم إخلاؤه أمس، كما نشاهد نشطاء حزب الله يصورون ويتسلقون التلال والبطاريات في المواقع، ولا يخشون شيئاً... أما هنا نشاهد قافلة لحزب الله انتقلت من الطيبة إلى حولا محاولة الوصول إلى ميس الجبل لكنها توقفت هنا ومن الممكن أن تحاول العبور غداً.

ويتابع: من جانب آخر علمنا بأن مئات من أفراد جيش الجنوبي سلموا أنفسهم لأفراد حزب الله، كما يقوم التلفزيون اللبناني بتصوير المواقع المهجورة والتي كان جيش الدفاع قد سلمها لجيش الجنوبي، لكنه هجرها في الطيبة وطلوسة ومركبا وجميع مناطق القطاع الأوسط، حيث أصبح حزب الله فاصلاً بين القطاعين الشرقي والغربي.

ويكمل روني: من جانب آخر أيضاً تشير المعطيات بأن أفراد الجيش الجنوبي يحاولون منع سيطرة حزب الله على مدينة بنت جبيل، لكن هذه الصور تعكس كل ما كان يخشاه الجميع وبأسرع بكثير مما اعتقدوه، أي أن جيش الجنوبي في حالة انهيار كامل وعام، وأن الأماكن التي أخلاها جيش الدفاع لا يستطيع جيش الجنوبي السيطرة عليها، وأن حزب الله الآن يتواجد في أماكن تبعد بضعة أمتار عن السياج الحدودي».

س: هل تعتقد بأن المنطقة الأمنية انتهت؟.

روني: «إلى حد ما يمكن القول نعم... ومع أن جيش الدفاع قد خطط لانسحاب تدريجي منتظم، أي أن يقوم بالانسحاب بين حين وآخر ثم يظل حزب الله خارجاً وتدخل قوات الأمم المتحدة، لكن ما يجري هذه الليلة هو انهيار كامل».

في الوقت نفسه كانت القناة الأولى تبث تقريراً لمراسلها العسكري ألون بن ديفيد مباشرة من الشمال.

ألون بن ديفيد: «كل سكان كريات شمونة وبالذات كل سكان الشمال دخلوا إلى الملاجىء قبيل نصف ساعة في أعقاب مقتل مدنيين لبنانيين في قرية حولا أثناء غارة لسلاح الجو، وكما ترى انهيار جيش لحد في القطاع الأوسط، ومن الصحيح أن خمس الحزام الأمني الذي تنظر إليه (على الخارطة) من الطيبة إلى بيت ياحون غير موجود، وكذلك هناك تقارير عن انهيار الفوج الثمانين في منطقة بنت جبيل.

ويعلّق ألون: إنَّ جيش الدفاع عالق بين مشكلتين إذ لديه قيادة لواء في بنت جبيل التي يمكن أن تسقط بأيدي حزب الله في الساعات القريبة. والمشكلة الثانية شمالاً قرب المطلة: كفركلا والعديسة، حيث رأينا في الساعات الأخيرة جيش الدفاع يحاول منع هذه المسيرات (التابعة لحزب الله) من الدخول إلى هاتين القريتين لأنهما موجودتان على بوابة الدخول إلى لبنان، وعندما يريد الجيش الانسحاب من لبنان من مواقعه فهذه إحدى البوابات المهمة والرئيسية، ولذلك فالجيش لا يستطيع السماح لنفسه بسقوطها بيد حزب الله، وحالياً الجهد منصب على منع حزب الله من الدخول إلى هاتين القريتين».

كذلك كان للقناة الأولى اتصال مع مراسلها العسكري في الشمال ألون بن ديفيد: «تجددت الاشتباكات مرة ثانية في الساعة الأخيرة ونحن نسمع قصف حزب الله على مواقع جيش الدفاع في الدبشة والعيشية وكذلك الشقيف. . . وكما قلت سابقاً فإن جهد

الجيش منصب حول نقطتي ضعف الأولى، بلدة بنت جبيل النقطة الأخيرة في القطاع الغربي والتي لا زال فيها جنود من جيش الدفاع وفيها قيادة اللواء وهي مطوقة من قبل حزب الله من الشمال والشرق وهذه النقطة ليست في وضع جيد...

ولم يكن أحد في الجيش يتوقع أن يحصل هذا بهذه السرعة. وبشكل جارف ينهار الحزام الأمني أمام أعيننا. أنا أعتقد بأن المشكلة بدأت عندما قام جيش الدفاع بإخلاء موقع الطيبة قبل عدة أيام (وتسليمه لجيش لحد) وبداهة فتح الباب أمام حزب الله إلى داخل المنطقة الشيعية، المجموعة الضعيفة من المنطقة الأمنية، وسمح لعناصره بالدخول، ومن المشكوك فيه أن تكون مسيرات حزب الله تتجرأ على الدخول لو كان جيش الدفاع ما زال موجوداً في موقع الطيبة، ولا أعتقد أن أحداً في الجيش توقع أن يجري ذلك بهذا الزمن المبكر.

ويزيد قائلاً: إنَّ خطة جيش الدفاع كانت تقضي بتنفيذ انسحاب منظم ومنسق مع الأمم المتحدة، ونسمع الآن أن المجلس الوزاري المصغر يتخبط بين ما إذا كان ينبغي انتظار تقرير الأمين العام للأمم المتحدة وتأخير الانسحاب عدة أيام لأجل انسحاب منظم، وكما تبدو الأمور في الميدان فإنه من الممكن أن يحسم تقديم موعد الانسحاب ليكون على عجل وبغير تنسيق مع الأمم المتحدة».

وفي خضم هذه الأجواء الميدانية المحبطة كان للقناة الأولى وقفة هادئة مع محللها السياسي والمتخصص بالشؤون العربية أيهود يعري:

المذيع: «ماذا تقول العناوين؟»

إيهود يعري: «تقول بأن القوات الشيعية التابعة لجيش لبنان الجنوبي تنهار وأن الكتيبة ٧٠ سقطت والكتيبتين ٨٠ و٨١ في القاطع بين بنت جبيل والبحر في ظل ضغوط شديدة وهي قريبة من الإنهيار. حوالي ١٢ قرية وقعت تحت سيطرة حزب الله، أما المنطقة الأمنية فقد تم تقسيمها إلى جزئين وسوف نرى كيف تتطور الأمور لاحقاً.. نشير هنا أيضاً إلى أنَّ حزب الله انتصر في الصراع على القاطع الأوسط بواسطة المدفع الذي يقذف أقوى القذائف ألا وهو التلفاز، هنا نشاهد إحدى القوافل ونرى كيف أنهم يتقدمون في وضح النهار علناً نحو القرى الواقعة داخل القطاع الغربي، وترافق العملية طيلة الوقت عملية البث المباشر من بيروت لنقل أواخر عمليات انهيار الكتيبة الشيعية، مع أن الأمر لم يعنِ بعد تفككاً تاماً لجيش الجنوبي حيث سنرى ما تبقى وكيف ستسير الأمور... من جهة أخرى فإن ما أقوله هو أن حزب الله قد أنشأ أمراً واقعاً قاطعاً أي أنهم متواجدون الآن على حدودنا وسياجنا وذلك قبل تحرك قوات الطوارىء الدولية ووصولها إلى هذه المناطق بوقت كبير. وإن ما ينبغي عمله الآن هو اتخاذ قرار من قبل مجلس الأمن بشأن إيفاد كتائب الأمم المتحدة من الفرنسيين والفلنديين والأستراليين إلى مناطق خاضعة خضوعاً مطلقاً لحزب الله، أو أن نرى جيش لبنان النظامي يتحرك جنوباً... وهكذا بالإمكان القول بأن خطة الانسحاب الإسرائيلي المنظم قد انهارت اليوم، ويجب أن نقول ذلك».

س: ماذا تتوقع الآن، فالانهيار بدأ أبكر مما كنا نتوقع، فهل تعتقد بأن الأمور سوف تتعقَّد ويشكل الأمر أذى لنا بحيث يصل إلى المناطق الشمالية؟

يعري: «أعتقد بأن القط الذي كان يسير على مرجة وزارة الدفاع يعلم بأن وزراء المجلس الوزاري المصغر يعلمون بأن حزب الله سوف يعلم بالضبط متى سيبدأ جيش الدفاع انسحابه من جنوب لبنان، ولن يحصل على بيان منا عن طريق المذياع بل يشاهده ميدانياً وهو بطبيعة الحال موجود في الميدان الآن وهذا أمر قطعي...».

س: أعتقد أننا في حال ردَّة فعل، فبدلاً من أخذ زمام المبادرة في لبنان وتحديد موعد الانسحاب، انتقلنا إلى حالة انتظار ما سيفعله حزب الله.

يعري: «أولاً قضية الانسحاب المنظم لم تعد قائمة، ثانياً قضية إدخال قوات معززة تابعة للأمم المتحدة وبشكل منظم إلى داخل المواقع التي كان يسيطر عليها جيش لبنان الجنوبي وجيشنا أصبحت غير قائمة في أماكن كثيرة من المنطقة، فالذي يتوجب اتخاذ قرار بشأنه هو أين يكمن الخطر الأكبر، هل بالبقاء والتمركز اعتماداً على الجيبين المسيحيين إلى أن يأتي قطار قوات الطوارىء الدولية الذي يسير ببطء؟ أو الانسحاب على الفور وهذا سيشكل ضائقة ومعضلة، ولا أعلم ما سيحدث، فقد يخاطر باحتمال جر عشرات الآف المسيحيين من الجنوب الذين يعانون من الخوف».

أمام كل هذه التطورات وبما أن الجيش الإسرائيلي وقيادته هو المعني الأول بما يحدث كان لا بد له من أن يقول كلمته ويبدي رأيه ويعمل على التخفيف من وطأة الهزائم المتوالية، وهذا ما دفع بقائد المنطقة الشمالية غابي اشكنازي إلى عقد مؤتمر صحفي تحدث فيه عن مجريات الأمور، محاولاً نفي صورة الهزيمة، غير أن طعم الهزيمة والخوف كان بادياً في بعض كلامه ومنها:

س: «هل هناك انهيار للمنطقة الأمنية؟»

اشكنازي: «لا يوجد انهيار وإنما هناك عملية إخلاء لمواقع في القطاع الأوسط وكما أشرت سابقاً وأنا أعلم المناطق جيداً فإن سائر المناطق تحت السيطرة حتى اللحظة على الأقل».

س: «ماذا بشأن أداء قوات الطوارىء الدولية طيلة هذه الأحداث»؟

أشكنازي: «لقد تحدثت ليلة أمس مع قائد قوات الطوارىء بعد عودته وهناك تنسيق كامل معه، كما يجدر أن نقول بأن قوات الطوارىء لا تستخدم السلاح ضد المدنيين وأنه بذلت جهوداً للصمود أمام أمواج السكان، لكنَّ المدنيين بكل بساطة اقتحموا الأماكن راجلين ومارسوا ضغوطاً، لذا أقول بأن هذا كان وضعاً إشكالياً بالنسبة لقوات الطوارىء، وأن المواجهة الرئيسية لها كانت مع المدنيين».

هذا في الشق الميداني والعسكري... أما من الناحية السياسية فقد كان للمراسلين السياسيين في القناتين الأولى والثانية التقارير التالية.

تقرير المراسل السياسي للقناة الثانية عمانوئيل روزين:

«يجري رئيس الحكومة هذه الساعة مشاورات مع جهات أمنية وبعد حوالي ساعة ونصف سينعقد المجلس الوزاري المصغر، والعنوان قبل كل شيء أنه اليوم سيتخذ قرار بالنسبة لموعد الانسحاب، حتى اليوم كان كل شيء عام والقول بحلول شهر تموز، واليوم سيتخذون قرار الموعد ومثلما قالوا لنا في وزارة الدفاع أنه بالتأكيد سيكون الحديث عن انسحاب مستعجل وبسرعة كبيرة، ومن الممكن أن يكون خلال أيام معدودة. وزراء في طريقهم إلى هنا

(وزارة الدفاع) قالوا لنا أموراً قاسية ونحن سنقتبس عنهم، أحد الوزراء تحدث عن هرج ومرج، إن جيش لحد انهار كبرج من صناديق الكرتون، والسكان في المستوطنات الشمالية مرعوبة، وبلهجة لاذعة قال لنا وزير آخر أن الذي فضل تيري لارسن على أبناء الشيعة في جيش لبنان الجنوبي عليه أن يتلقى كل شيء بوجهه (أي يتحمل المسؤولية). هذه أقوال صعبة وجلسة غير سهلة وهي مرتقبة هنا (في وزارة الدفاع) قرارات صعبة».

ورغم أن رئيس حكومة العدو باراك كان الأحرص على إظهار أنه ينسحب ضمن خطته الموعودة للإنسحاب، غير أنه ومن خلال إجابته على أسئلة الصحافيين الصهاينة لدى وصوله إلى مبنى وزارة الحرب ليرأس المجلس الوزاري المصغر وكذلك بعد مغادرته لم تخلُ بعض إجاباته من الدلالات الكثيرة على أن ما حصل كان اندحاراً لم يتحسب له باراك.

تقرير المراسلة السياسية للقناة الأولى كيرين نويباخ:

«لقد أجرينا مقابلة قصيرة جداً مع رئيس الحكومة باراك، وهو لم يكن معنياً بالإجابة على معظم الأسئلة المفصلة التي أردنا عرضها عليه، وهكذا فإن الشعور في وزارة الدفاع حيث كنا هناك قبل قليل وفي الأوساط السياسية هو أن المجلس الوزاري السياسي الأمني الذي سينعقد بعد قليل سيكون مجلساً حاسماً وهاماً جداً حيث يقوم باراك بإجراء مناقشات عسكرية سياسية منذ ساعات الظهر إزاء ما يمكن فعله الآن في ظل الواقع الجديد الحاصل داخل المنطقة الأمنية، وهذا القرار ينبغي المصادقة عليه من قبل المجلس الوزاري، من جانب آخر إذا كنا تحدثنا ظهراً بشأن

إمكانية الانسحاب وفق القرار ٤٢٥ بالتنسيق مع الأمم المتحدة وبشكل منظم، فإن هذه الصورة بلا شك لم يعد لها وجود.

باراك: نحن الآن في مرحلة حاسمة ولقد قدرنا مسبقاً من أن حزب الله سوف يضاعف من نشاطه وهذا ما يحدث فعلاً... وأنا رئيس الحكومة ووزير الدفاع وسوف أقرر الوقت المناسب (للخروج) ولأسباب واضحة لا أعلن مسبقاً عن الموعد المحدد.

كيرين: هل تعتقد بأن قرار إخلاء موقع الطيبة كان خطأ وهو الذي أدى إلى ما حصل؟

باراك: أنا لا أنظر إلى الخلف إنما إلى الأمام...

كيرين: ألا نزال نعتقد بوجوب الانسحاب وفق معطيات القرار ٤٢٥، أم أن الأحداث الأخيرة تحول دون انسحابنا وفق التخطيط السابق والدقيق، أي إخلاء المنطقة وإفساح المجال أمام قوات الأمم المتحدة للدخول بشكل منظم؟

باراك: أولاً نحن ننسحب قبل كل شيء وفقاً لاعتباراتنا الأمنية المتعلقة بقرى الشمال والجيش، لكننا أيضاً سننفذ الأمر بطريقة تتناسب قدر الإمكان مع روح القرار ٤٢٥».

وبعد طول انتظار انتهت جلسة المجلس الوزاري المصغر والتي عقدت على عجل ليل ذلك اليوم وقد أفاد مراسل الإذاعة الإسرائيلية عند الواحدة فجر يوم الثلاثاء بالتالي:

«هذا المساء فوض المجلس الوزاري رئيس الحكومة اتخاذ قرار بتحديد موعد معين للإنسحاب من لبنان، وعلى أي حال فإن الأمر يدور حول تقديم موعد الإنسحاب.

وأفاد مراسلنا بأن المجتمعين توافقوا على أنه برز وضع جديد في لبنان في ما يتعلق بتنفيذ القرار، وقال عدد من الوزراء أن سيطرة حزب الله على أجزاء كبيرة من المنطقة الأمنية أضاعت ثمار قرار مجلس الأمن».

وقد استطاعت القناة الثانية في تلك الليلة الصعبة سرقة بعض الوقت من باراك وأجرت معه مقابلة جاء في بعضها:

س: ماذا ستفعل الحكومة من أجل استقرار الأوضاع والتطورات ومنع وقوع اندلاع معارك؟

باراك: أولاً إني أقف إلى جانب صمود سكان الشمال المتواجدين داخل الملاجىء، إذ من المحتمل أن نواجه أياماً مقبلة عصيبة، لقد عملت الحكومة وتعمل على انسحاب جيش الدفاع من لبنان».

س: لقد سمعت من بعض الوزراء عن انهيار جيش لبنان الجنوبي والفوضى داخل المنطقة الأمنية ماذا تقول؟

باراك: لم نتوقع بأن يكون الانسحاب خالياً من أية مخاطر أو مواجهة حالات صعبة.

س: هل يمكن إنقاذ جيش الجنوبي وإعادة الإستقرار إليه، أم أنه في وضع أصبح خارجاً عن إطار السيطرة؟

باراك: هناك جهات في جيش الجنوبي تقف بصمود، وأخرى لم تصمد، وأنه من الصعب توقع تطور الأمور.

س: هل تعتقد بأن السكان في الشمال سيمكثون في الملاجىء بضعة أيام وأن الأمر لن ينتهي بيوم وليلة؟

باراك: لم تتوفر لدينا المعلومات التي تمكننا من إخراجهم اليوم أو غداً، ولكن علينا أن نعلم بأننا ندخل مرحلة من المجهول إلى حدٍ ما.

يوم الثلاثاء ٢٣/٥/٢٠٠٠

اليوم الثالث للإندحار الصهيوني عن لبنان، إنه يوم حافل أيضاً، حزب الله أكمل سيطرته على القاطع الغربي، والقاطع الشرقي بدأ بالانهيار، فيما الأهالي يقومون وبمبادرة شجاعة بتحرير المعتقلين من سجن الخيام بعد أن فرَّ منه حراسه، والمؤسسة العسكرية الصهيونية واقعة تحت ضغط انتشار حزب الله في القطاعين الأوسط والغربي من جهة، ونيران المقاومة في القطاع الشرقي من جهة أخرى، ولم يعد لديها سوى هم وحيد وهو إخراج ما تبقى من الجنود بدون إصابات... وبات الجميع في الكيان على قناعة بأن لا مفر من الإعتراف بالهزيمة...

المراسل العسكري للقناة الأولى ألون بن ديفيد كان أول المبادرين إلى الإعلان عن سقوط المنطقة بأيدي حزب الله.

تقرير ألون بن ديفيد: «إن الوضع هنا صعب جداً إذ لا تزال عملية إنهيار المنطقة الأمنية مستمرة وأن حزب الله حالياً يسيطر على ثلثي تلك المنطقة، القاطع الأوسط والقاطع الغربي بأسره، إن المشكلة الأساسية التي يواجهها جيش الدفاع الآن هي مشكلة موقع كركوم (بلاط) الذي يحيط به أفراد حزب الله، وتدور المعارك هناك وهو الموقع الأخير المتبقي لنا في القطاع الغربي، أما في القاطع الشرقي فهناك ثمانية مواقع منتشرة لجيش الدفاع، غير إنَّ هذا القاطع بدأ بالسقوط إذ إنَّ الكتيبة العاشرة في جيش الجنوبي

والكتيبة الدرزية في حاصبيا تفككتا قبل الظهر وغادر الأفراد مواقعهم ثم وصل أفراد حزب الله إلى قريتي الخيام وكفركلا القريبتين من المطلة، ويقوم أفراد الحزب بإطلاق سراح السجناء من معتقل الخيام بعد فرار الحراس، أي أنَّ الصورة الآن تقول بأن ثلثي المنطقة الأمنية هي بيد أفراد حزب الله.

أما هنا في القاطع الشرقي فتوجد حوادث إطلاق نار كثيفة بين حزب الله وجيش الدفاع إلى درجة أن السكان في كريات شمونة يسمعون إطلاق النار بشكل واضح، هذا ويقوم حزب الله ضمن إجراء آخر بإطلاق النار بهدف العمل على انهيار القاطع الشرقي».

غاب ألون فترة وجيزة ثم عاد في نهاية النشرة الإخبارية بالتقرير التالي:

س: ماذا يحدث الآن؟

ألون: «الوضع الآن هادىء بعد ساعات طويلة من القتال، غير أن الصورة صعبة جداً إذ إنَّ جيش الجنوبي قد انهار تماماً عند الساعة الواحدة والنصف ظهراً، كما أن القاطع الشرقي والكتيبة الدرزية أيضاً والمسيحيين تراجعوا وفروا من مواقعهم، وأن حزب الله الآن يسيطر تقريباً على جميع المنطقة الأمنية وأنه لا توجد أية وحدة تابعة لجيش الجنوبي تعمل، من جانب آخر لا تزال هناك ثمانية مواقع لنا داخل المنطقة الأمنية (في القطاع الشرقي) وهي محاصرة إلى حد ما من أفراد حزب الله الذين يطلقون النار من على التلال المحيطة، أي أنه يتوجب على جيش الدفاع التفكير هذه الليلة بالإسراع في إخراجهم قدر الإمكان.

من جانب آخر أيضاً فإن مئات السكان اللبنانيين لا سيما

المسيحيين يتوجهون هاربين من القاطع الشرقي إلى بوابة فاطمة بالقرب من المطلة بهدف الحصول على لجوء داخل «إسرائيل»، وقد تركوا سياراتهم فارين وهم يحملون حقائبهم فقط بهدف الدخول إلى «إسرائيل» إلا أنهم يدققون في مسألة الإجراءات الأمنية ويفحصون كل فرد بعينه خشية ألا يتسلل أحد أفراد حزب الله».

س: جرَّاء ما نراه من مشاهد صعبة فإن القلق يساورنا إزاء وضع الجنود الذين لا يزالون داخل مواقع يحاصرها حزب الله داخل المنطقة الأمنية.

ألون: «هذا هو السؤال الصعب فعلاً، لذا أعتقد بأن جيش الدفاع لن ينتظر طويلاً إذ إنَّ لا جدوى في الحقيقة من بقاء جنودنا داخل المواقع الثمانية في الوقت الذي يسيطر فيه حزب الله فعلاً على جميع المنطقة الأمنية، إذ إن عملية انتظار جيش الدفاع تصعب عليه عملية الانسحاب وتفتح المجال أمام أفراد حزب الله بوضع العبوات على المحاور والطرقات التي يستخدمها جيش الدفاع في العودة إلى البلاد».

س: ما هي التقديرات في المؤسسة العسكرية بخصوص نهج حزب الله في المستقبل؟

ألون: «لقد سمعنا بيانات كثيرة عن أنهم كانوا جاهزين(المؤسسة العسكرية) لعدة سيناريوهات وقد أخذوها بالحسبان ولا أعتقد بأن هناك أحداً قد أخذ ما يجري منذ يومين في جنوب لبنان بالحسبان؟؟».

ولإكمال الصورة من جميع جوانبها قامت القناة الأولى بتقديم هذا التحليل من مراسلتها للشؤون السياسية كيرين نويباخ.

س: سيعقد مجلس الأمن هذا الأسبوع جلسة من أجل المصادقة على قضية انسحاب جيش الدفاع من لبنان أليس كذلك؟

كيرين: «لقد استمعنا إلى رئيس الحكومة وقد كان هناك تنسيق بين «إسرائيل» والأمم المتحدة حيث وصل المبعوث لارسن خلال هذا الشهر مرات عديدة وتجول في المنطقة وتم التوصل إلى اتفاقات بالنسبة لإسرائيل جيدة جداً بحيث تقف الأمم المتحدة وتدعم هذه الاتفاقات التي تم التوصل إليها، ويعتبرها انسحاباً من قبل «إسرائيل» وفق القرار ٤٢٥، ومن المتوقع أن يقدم لارسن تقريره اليوم ومن ثم المصادقة عليه خلال أسبوع من قبل مجلس الأمن، والذي سيحدث هو أن قوات الطوارىء المكونة من ٤٥٠٠ شخص سيتم تعزيزها كجزء من قرار مجلس الأمن إلى أن يصل العدد إلى نحو ٨ آلاف شخص لملء الفراغ الذي تخلفه «إسرائيل». أما السؤال العسكري والسياسي فيقول: هل بإمكانهم تنفيذ الأمر خلال هذه المرحلة؟ هذا ما ستضطر كلّ من «إسرائيل» ومجلس الأمن إلى إبداء رأيها حيال الموضوع خلال الأيام القريبة، كما تحدث باراك مع أنان يوم السبت والذي من المقرر أن يصل إلى المنطقة استعداداً للإنسحاب».

س: ماذا تقول؟

إيهود يعري: «يمكن نسيان مسألة الانسحاب بشكل منظَّم من لبنان، وأن كل من اعتقد ذلك لقي اليوم جواباً مختلفاً... حزب الله الآن منتشر على امتداد السياج الحدودي معنا وألون تحدث عن كفركلا والعديسة، لكن كفركلا تتواجد على بعد متر واحد، لا أبالغ أبداً على بعد متر واحد، فهل من المعقول أن يقوم ابن عمي

برشها بالمبيدات وفلاحتها أثناء الليل؟ هذا هو معنى دخول حزب الله عبر قوافله إلى هذه المنطقة، إجمالاً أقول بأن سكان المناطق الشمالية أصبحوا على مرمى الأسلحة الخفيفة التابعة لحزب الله. . . من جهة أخرى فإن الأفكار التي تتحدث عنها بعض الدول مثل الدانمارك عن إرسال قوات إلى أماكن هي الآن خاضعة لسيطرة حزب الله من أجل المخاطرة بوضع يشبه ما جرى في سيراليون، فإن الأمر يثير استفهامات كبرى».

أما صحيفة هآرتس فقد أوردت مقالة مفصلة لشارون غيل في ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٠ تتحدث بإسهاب عن صورة الاندحار الإسرائيلي على مستوى الجيش ولا سيما جيش لبنان الجنوبي الذي انتهت قصته بحسب تعبير الكاتب، ومما جاء في المقال: «أما عند المعبر الحدودي (بوابة فاطمة) فكانت هناك مفاجأة تامة برؤية الأعداد الغفيرة من اللاجئين (من عناصر جيش لحد وعائلاتهم) وقد وقف أحد ضباط وحدة الارتباط الكبار مذهولاً وقال: «إن من يقول بأن هذا هو السيناريو المتوقع فإنه كاذب»، وإن الأمر الأسوأ الذي كان من الممكن أن يحدث ها هو يحدث فعلاً وأن أصدقاءنا القدامى تراهم مكتظين على بعضهم فاقدين كل شيء ويحاولون النجاة بأنفسهم فقط، ونحن لم نكن مستعدين لهذا».

الأربعاء ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٠

كان اليوم الرابع لاندحار الجيش الصهيوني من لبنان، إنه يوم الفرار، إنه اليوم الذي أملاه حزب الله على الجيش الإسرائيلي للخروج من لبنان. . .

هكذا قدم الإعلام الإسرائيلي ذلك اليوم إلى جمهوره. . .

والبداية مع ألون بن ديفيد عبر التلفزيون الإسرائيلي ـ القناة الأولى.

«الحقيقة أن هذا الانسحاب انتهى من دون وقوع إصابات، هذا هو الملخص الأهم، حيث كان هناك الكثير من المخاوف والقلق، وقد حصل ذلك خلال عملية استمرت عدة ساعات تحت نيران مكثفة وسعي من قبل حزب الله لإلحاق الضرر بجنود جيش الدفاع، ولكن ذلك انتهى دون إصابات.

عناصر حزب الله وضعوا العبوات وأطلقوا الصواريخ الموجهة باتجاه القوافل المنسحبة وكذلك قذائف الهاون، لكن أغلب عملية الإخلاء تم تنفيذها كما ترون بالدبابات من المواقع وبعدها تم تفجير المواقع الإسرائيلية، وفي الساعة الأخيرة أيضاً تم إخلاء مركز القيادة الرئيسية للجيش الإسرائيلي الواقع في مرجعيون (وحدة الارتباط في لبنان) وبعدها أصبح الجنود خارج لبنان».

س: هل أن حزب الله هو الذي أملى علينا جدول مواعيد الانسحاب من لبنان؟

ألون: «سمعنا جواب رئيس الأركان بالأمس، وقد كان جوابه محاولة لإيجاد ستار من الدخان، فقد كان واضحاً لنا جميعاً بالأمس عندما انهارت المنطقة الأمنية نهائياً بأن جيش الدفاع لن يستطيع البقاء هناك لفترة طويلة، نعم حزب الله أملى علينا الجدول الزمني لهذا الانسحاب...

وهذا الصباح باكراً (حوالي السادسة صباحاً) دخلت آخر قوة إسرائيلية من أرض لبنان إلى داخل الأراضي الإسرائيلية، وينبغي أن نشير إلى أن جيش الدفاع حتى الآن غير منتشر على الحدود الدولية، أي أن الجيش لم ينه بعد إقامة السياج الحدودي الجديد،

ولم ينه بناء المواقع الجديدة وفقاً لما كان مخططاً له في عملية الانتشار على طول الحدود والعودة (الانسحاب) الآن هي إلى الحدود القائمة حالياً، وقد وصلت قوات كبيرة أثناء الليل من أجل الانتشار على طول الحدود كجزء من الانتشار الجديد».

وبعد الإعلان عن خروج آخر جندي إسرائيلي من لبنان جاء دور التعليقات والتحليلات.. فكان هذا التحليل للمتخصص في الشؤون العربية في القناة الأولى أيهود يعري:

س: ها نحن نرى النتائج الناجمة عن الانسحاب السريع لقوات جيش الدفاع، أي إنَّنا لا نرى الجيش اللبناني يسيطر على الوضع في الجنوب، بل الانسحاب نقل السيطرة الكاملة ليد حزب الله؟.

يعري: «أقول أكثر من ذلك إن قرار سوريا بمنع الجيش اللبناني من التوجه جنوباً هو الذي أنشأ هذا الفراغ الذي مكن حزب الله من جعل المنطقة الأمنية خاضعة له، من الخيام وحتى البحر، والسيناريو الحاصل الآن هو الأقل أفضلية بالنسبة لنا».

س: ولكن ماذا يعني هذا كله بالنسبة لنا؟

يعري: «هذا يقول بأن المنطقة الأمنية كلها انتقلت لسيطرة حزب الله... وأنا أسأل نفسي إذا ما كان حزب الله داخل القرى فقط أمْ أنَّه يسيطر على تلال مشرفة وذات أهمية استراتيجية تجعله قادراً على مراقبة مستوطناتنا وذلك مثل جبل بلاط ومارون الرأس مقابل مسكاف عام والمطلة، وفي حال أنه استولى عليها فهل سيكون نزوله يا ترى احتراماً للأمم المتحدة؟

هلم بنا نشاهد الصورة المعبرة... هنا نشاهد منزل لحد في

مرجعيون حيث قامت مجموعات من حزب الله باقتحامه، وهذه البدلة لن يرتديها بعد اليوم، وسيطروا على جميع حاجاته ووثائقه وجلسوا مكانه، كما نرى تمثال سعد حداد مؤسس المنطقة الأمنية يقومون بتحطيمه... وهنا نشاهد كيفية اقتحام معتقل الخيام لإطلاق السجناء... وهنا نشاهد مئات من أفراد لحد يسلمون أنفسهم بأهون الطرق عن طريق حزب الله ومنظمات أخرى، من هنا لست أدري إذا كانت هناك إمكانية لدخول قوات الأمم المتحدة؛ من جانب آخر أشار ألون بن ديفيد إلى وجود كميات هائلة من الأسلحة والذخائر التي خلفها الجيش الجنوبي، إنها بالفعل كميات كبيرة تقوم المليشيات بتقاسمها، وباختصار أقول بأن المنطقة الأمنية لم تنقل لسيطرة جيش لبنان والأمم المتحدة، وإنما لحزب الله، وسياسة الحزب الآن تقضي بابتلاع المنطقة واستيعابها والعمل والتأثير على السكان ومن ثم يتم اتخاذ قرار بشأن كيفية العمل والتحرك».

واستدراكاً لما يمكن أن يحصل من آثار سلبية نتيجة الطريقة المذلة لانسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان، سارع أيهود باراك بالهرولة نحو الشمال من أجل لملمة ما يمكن أن يلملم، وألقى كلمة في مستوطنة زرعيت أمام جمع من جنوده حيث كان وصل المستوطنة عبر طريق التفافي لا يظهر للحدود اللبنانية، وكانت الكلمة مليئة بالتهديد والوعيد لمن يحاول المس بحدود «إسرائيل» جنوداً ومستوطنات بعد هذا الانسحاب السريع وغير المدروس من لبنان وحتى قبل استكمال بناء السياج والمواقع الحدودية المخطط لها مسبقاً، وبعد عودته من الشمال عقد باراك مؤتمراً صحافياً مساء يوم الأربعاء ٢٤/٥/٢٠٠٠ ومن أبرز ما جاء فيه:

«بعد ١٨ عاماً من عملية جيش الدفاع في جنوب لبنان، خرج الجنود من هذه المأساة اللبنانية التي استمرت ١٨ عاماً وحصدت ثمناً باهظاً، لقد جاء هذا اليوم إلى نهايته... وهنا لا يمكن إلا أن نتذكر الألم الذي أصابنا خلال الفترة الماضية والذين ثكلوا بأبنائهم..».

س: أريد أن أعيدك إلى الوراء عدة أيام أو أشهر، «فإسرائيل» هي التي ستحدد موعد الانسحاب، وهذا ما سنحدده مع الأمم المتحدة؛ كيف حدث هذا الوضع أن «إسرائيل» وجدت نفسها تقوم بالانسحاب وفقاً لجدول لم تضعه هي بنفسها، تترك جيش لبنان الجنوبي وبعض الفراغات التي لا يمكن سدها؟

باراك: خلال أشهر كثيرة سألتموني إذا كنا سننسحب في شهر تموز وقلت حتى شهر تموز سنقوم بالانسحاب ونحن سنحدد الوقت المناسب لانسحابنا، وبشكل طبيعي كنا نريد الوصول إلى هذا الوضع، ولما وجدنا أنه لا يمكن التوصل إلى اتفاق مع سوريا، وحاولنا ذلك مراراً وتكراراً وفقاً لتنفيذ القرار ٤٢٥، لكن في الحالة الأولى وفي الحالة الثانية هذه الأمور ليست متعلقة بنا، لذا قررنا أن نعد الخطط اللازمة لتنفيذ الانسحاب إذا كانت هناك ظروف تحتم ذلك، وهذا ما قمنا به.

لقد قال لي رئيس الأركان موفاز أنه في الأسبوع الأخير من شهر أيار سنكون على أتم الاستعداد لبدء عملية الانسحاب إذا كانت هناك حالة من التوتر، ولذلك قررنا أن نفعل ذلك، الخروج من لبنان كان مغايراً للسيناريوهات التي وضعت».

س: وجدنا جنوداً مسرورين بخروجهم من لبنان، وأريد أن

أسألك عن جندي يجلس إلى جانبك وهو رئيس الأركان، هل هو مسرور أيضاً؟ هل تعتقد أنه فعل ما فعل، أنت كسياسي وجدت نفسك تفرض على قيادة الجيش ما تريد؟

باراك: «بالنسبة للجنود إذا كانوا مسرورين أنت تستطيع أن تسألهم، أما بالنسبة لقيادة جيش الدفاع فهي تعلم أهمية اللحظة التاريخية هذه، عندما نقوم بالخروج والانفصال عن لبنان، هذا هو قرار حكومة «إسرائيل».

س: هناك نقد من بعض الوزراء، حول وجوب تشكيل لجنة تحقيق حول تنفيذ عملية الانسحاب، هل بالفعل ستقوم بتنفيذ ذلك في نطاق وزارة الدفاع في أعقاب هذا النقد؟

باراك: «إني أحترم جميع الوزراء وحرية النقد.. وقد أوضحت للوزراء بأن تنفيذ عملية عسكرية ليس جلسة وزراء أو مؤتمر صحفي، هذه العملية العسكرية تحتاج للكثير من التخطيط والإعداد، وأن نأخذ بعين الاعتبار الكثير من العوامل التي لا يمكن توقعها».

الزلزال في اعترافات المسؤولين الصهاينة

كما أسلفنا سابقاً فإنه ما خلا أصوات ناشزة في لبنان، وتصريحات باراك وجنرالاته المتكبرة التي حاولت بفشل أن تخفي الهزيمة المرة للإندحار الصهيوني من لبنان، فلقد أجمع الرأي العام العالمي والمحلي وحتى الإسرائيلي على أن ما حصل في أيار ٢٠٠٠ كان اندحاراً وتقهقراً وفراراً غير منظم للإسرائيليين من لبنان، وفي هذا المقطع نورد مقتطفات من تصريحات أو مقالات لبعض المسؤولين الإسرائيليين والشخصيات المختلفة في المجتمع الإسرائيلي حول موضوع الاندحار.

* إسحاق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق: «لم يخطر ببالي أن أحيا لهذا اليوم الذي تُرغم فيه دولة «إسرائيل» وجيشها الذي وصفه أعداؤنا وأصدقاؤنا بأنه الجيش الذي لا يقهر على الفرار أمام طرف عربي، ما الذي حدث؟ كيف تجري الأمور على هذا النحو؟ بضع مئات من مقاتلي حزب الله يجبرون الدولة الأقوى في الشرق الأوسط على الظهور بهذا الشكل الإنهزامي... لقد أثبتنا للعرب دوماً أنه يجدر بهم ألا يحاولوا إرغامنا على تقديم تنازل لهم بالقوة لأنهم في النهاية هم الطرف الذي سيقدم تنازلاً، لكن حزب الله أثبت أن هناك، عرباً من نوع آخر.. أنا بطبعي

لست من أولئك الذين يكيلون المديح لأحد ومع ذلك فإنني من أولئك الذين يكنون الاحترام والإعجاب لشخص زعيم -حزب الله (السيد) حسن نصر الله الذي أدار المعركة ضدنا بأسلوب يرقى إلى مستوى التحدي الذي فرضه الصراع مع دولتنا»[١].

* الشاعر الإسرائيلي (اليميني) موشى شامير:

«لم أتمالك نفسي، فقد بكيت بحرارة عندما رأيت القرويين اللبنانيين وهم يحملون بعفوية واعتزاز كبير أعلام حزب الله، لقد رأيت في عيون العجائز اللبنانيات وهن يعبّرن عن الشعور بالفرح لما حققه حزب الله من نصر ولما حل بنا من هزيمة نكراء، رأيت في عيونهم نهاية مرحلة كنا فيها نحن السادة الذين لا يرد أمرنا... لقد كنت من جلساء كل من ديفيد بن غوريون ومناحيم بيغن وغولدا مائير وليف أشكول، وكنت أعرف أن هؤلاء الأربعة الذين تبؤوا رئاسة الوزراء كانوا يؤمنون أن السلام مع العرب لا يستحق أن نبدي لهم نحن أبناء الشعب اليهودي العائد بقوة إلى وطنه أي تنازل، لأنهم آمنوا أنه لا يوجد لدى العرب ما يمكن أن يهددوا به دولة «إسرائيل»، لكني أنا على ثقة أن هؤلاء الأربعة لو نظروا من قبورهم لما صدقوا ما تراه أعينهم، إنني من جيل آمن أن دولة «إسرائيل» لا يليق بها في هذا الشرق الإسلامي أن تظهر معالم الضعف أمام أعدائها، لكن يبدو أننا تجاوزنا هذه المرحلة، وعلينا أن نهيىء أنفسنا لمزيد من هذه المظاهر»[٢].

* المفكّر الإسرائيلي رؤوفين بار: «باراك لقد أخطأت، فلو

---

(١) من تصريح لراديو المستوطنين «عروتس شيفع».
(٢) من مقابلة مع صحيفة هاتسوفيه الإسرائيلية.

تنازلت عن الأمتار التي تطالب بها سوريا لما حدث هذا، باراك أنت تتحمل المسؤولية الكاملة عن هذا الشعور القاسي بالعجز والدونية الذي أصاب قادة وجنود جيش الدفاع الإسرائيلي».

* رافي إيتان القائد السابق في الموساد:

«إنتصار حزب الله الكاسح على دولة إسرائيل يحمل في طياته عواقب وخيمة جداً على مستقبل إسرائيل وإمكانية بقائها بسلام في هذا الوسط المعادي، لقد أعطى حزب الله الدليل على أن اللغة الوحيدة التي تجبر «إسرائيل» على تقديم التنازل هي القوة والقوة فقط، هذا أمر خطير لأنه سيدفع المزيد من العرب إلى سلوك طريق حزب الله لا أريد أن أكون يائساً لكنني أعتقد جازماً بأنّ «إسرائيل» بعد انتصار حزب الله ليست هي «إسرائيل» التي عرفها العرب، إن إذعان «إسرائيل» لحزب الله يصيب الأنظمة العربية بالحرج الشديد فهذه الأنظمة تقول لشعوبها أنه لا سبيل للحصول على الحقوق إلاّ بالتفاوض لكن ما ثبت للعرب الآن أنَّ «إسرائيل» لا تقدم التنازل إلا لمن يضربها بشكل أقوى وأقسى».

* العميل الإسرائيلي انطوان لحد: «قلتم لنا دائماً أننا حلفاؤكم لكنني فجأة أدركت أن «إسرائيل» لا تبحث إلا عن نفسها، سافرت إلى باريس قبل أسبوعين وقلت مسبقاً كم من الوقت سأغيب، كنت أريد متابعة قضية رجالي وموضوع قوات الطوارىء الدولية مع اقتراب موعد الانسحاب، وكنت أتصل كل بضع ساعات وكانوا يردون: الأمور تحت السيطرة وكل شيء على ما يرام، ولدى مغادرتي باريس لم يكن لدي أي فكرة أن الجيش الإسرائيلي بدأ انسحابه حتى حين اتصلت من مطار باريس قالوا لي: كل شيء

على ما يرام، فقط عندما صعدتُ الطائرة فهمت أن كل شيء انهار. إن خبراءكم محرجون من انهيار «الجنوبي» سمعتهم يقولون أن «الجنوبي» يمكنه الصمود أكثر، إلا أن اتباعي ما أن بلغهم ـ وسط الدهشة ـ تفكيك المواقع، موقع إثر موقع، حتى بدأت شكوك كبيرة تنتشر، لم يكن هناك أي خطة منظمة، لم يتحدث معهم أحد، ولم يكلف أحد نفسه عناء إبلاغهم مسبقاً، وأنا كنتُ بعيداً وكان على كل واحد أن يتدبر أمر عائلته ونفسه، لا شيء عندي ضدهم، ماذا كنت تفعل لو كنت مكانهم، وأكتشفت أن ثمة من خان الوعد؟ لقد أحس جنودي أنهم لم يبق لهم من يتحدثوا معه فهربوا»

وتابع لحد قائلاً للصحافي الإسرائيلي: «إن حكومتك وجيشك ضدي، لقد تركتم الشريط الحدودي من دون وضعي في الأجواء وتركتمونا خلفكم مثل الحيوانات. وأصعب مشاهد انحفرت في ذهني منذ عودتي تلك التي رأيتها على تلفزيون لبناني عن أطفال يبكون على معبر الحدود، وعلى الفور سمعت وزراءكم ومسؤولي الجيش يقولون: إن ما حصل هو السيناريو الممكن، ويتفاخر باراك بقوله: إن الوضع كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير، فإذا كان الأمر كذلك لماذا لم تتحضروا؟ لقد سمعت رئيس وحدة الارتباط في جنوب لبنان يقول: إن الأمر كان بمثابة مأساة، وأفكر ماذا يمكنني القول لأتباعي عندما أزورهم؟ متى سيتم توزيع العائلات والأطفال على الفنادق؟ آسف عن أي فنادق أتحدث؟ أنكم أحضرتموهم إلى مخيمات». وقال لحد: قالوا لي أنني مذنب لمغادرتي إلى باريس من أجل الترفيه وأنني لم أستعجل العودة، أقول لك: هؤلاء الذين تحدثوا معي في باريس ـ ولن أذكر أسماء ـ وعدوني بأنَّه ما من تغيير سيحصل في خطة الانسحاب، وإن كل شيء تحت السيطرة

لقد خدعوني. الآن أنا غاضب ومصاب بخيبة أمل. كل شيء انتهى»[1].

* عوزي لانداو، (عضو الكنيست من الليكود) عن التلفزيون الإسرائيلي القناة الثانية: «إنه لأمر محزن ومحبط جداً، لا سيما في هذه الأيام التي تصادف أيام البطولة اليهودية، حيث نرى كل شيء من حولنا يحترق ونلوذ بالفرار. ومن يتواجد الآن في الملاجىء ليسوا سكان صور وصيدا وإنما سكان كريات شمونة... رئيس الحكومة الذي يقول بأنه ينظر إلى الأمام فقط عليه أن يستخلص العبر والدروس ويقوم بدراسة الأمور، ويفحص ما حوله كي لا نرتكب أخطاء أخرى مستقبلاً، وإن ما يحدث الآن والعبرة والدرس اللذين نتعلمهما هو وجود ٤٠٠ شخص يلحقون الهزيمة «بإسرائيل»، هكذا نفهم الأمر، وعندما يتعلق الأمر بجيش لبنان الجنوبي فإنّنا بلا شك نتخلى عنه، نخون حلفاء، هكذا تفسر الأمور، وهكذا سيفهم الأمر كل من اللبنانيين والفلسطينيين، وحينما أرى باراك الآن أقول بأنه يفقد المنطقة الشمالية ويلحق الخزي والعار بدولة «إسرائيل».

* حاييم رامون وزير إسرائيلي (نقلاً عن القناة الأولى في التلفزيون الإسرائيلي): «إن ما حصل مؤلم حقاً. إنها عملية جراحية صعبة تتمثل بالإنفصال عن لبنان، عن هذه الأرض العبثية، أقترح على الجميع أن لا ينسوها لحظة واحدة، فهي كلفتنا حتى الآن منذ عام ١٩٨٢ حوالي ١٢٠٠ قتيل، لقد حاولنا الصمود حتى اللحظة الأخيرة. باختصار الوضع صعب ومؤلم».

---

(١) جريدة الأنوار: ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٠.

* البروفسور يوسف بن شلومو ـ من جامعة تل أبيب ـ برنامج مشعال حام التلفزيون الإسرائيلي، القناة الثانية مباشرة من كريات شمونا: «المسألة تتعلق بالإنهيار الحقيقي هناك . . . لقد نشأت الصهيونية لكي تقيم دولة يهودية طبيعية وعادية، ولا أعتقد بأن دولة طبيعية ترد هكذا حيال فقدان القدرة أو الإستعداد على تلقي الضربة أو احتواء الخسائر من أجل حماية حدودها، أي أن انهيار الصهيونية ناجم ربما عن عدم قدرة اليهود على العيش في دولة طبيعية. . . الصمود ليس من جانب الجيش فقط وإنما لدى الجمهور. الآن يجب إخلاء كريات شمونة، وهذا بالطبع أمر لا نهاية له كما هو الحال داخل الضفة الغربية أيضاً، وإنه في المكان الذي يطلقون منه عليك النار تهرب، فإن الأمر صعب، وأقول بأن الانسحاب الذي يحظى بدعم أغلب الجمهور دلالة أولى على أن المشروع الصهيوني لإنشاء دولة طبيعية ينطوي على خلل لأنه لا يعقل أن يكون هكذا هو رد فعل دولة طبيعية إزاء ما يحدث هنا وفي الشمال، وإنه لمن المؤسف حقاً أن يكون هذا هو الوضع بحيث تكون الدولة عاجزة عن احتمال سقوط ٢٥ قتيلاً سنوياً من أجل الدفاع عن حدودها إذ إنَّ كل دولة طبيعية كانت تحتمل ذلك، أما نحن فلا».

* رفائيل إيتان (رئيس الأركان أثناء اجتياح لبنان عام ١٩٨٢) نفس البرنامج السابق: «نعم أنا أوافق على ما قاله البروفسور بن شلومو، وأعتقد بأن مناعتنا القومية تضررت، والقدرة على الصمود أصبحت أمراً مشكوكاً فيه. . وتعقيباً على ما قاله الوزير رامون من أنه بعد الانسحاب إذا تعرضنا لإعتداء يمكن الرد بقوة، إنه بذلك يكون منفصلاً عن الواقع، لأنه لو بقينا داخل المنطقة الأمنية لكان من السهل علينا أكثر توجيه الضربات في كل مكان ونحو كل هدف».

* سيلفان شالوم (عضو الكنيست من الليكود) نفس البرنامج المتقدم: «أعتقد بأن هذا اليوم عصيب جداً بالنسبة لنا، وسوف نتذكر أحداثه على مدى سنين طويلة، إذ إنَّ جيش الدفاع وللأسف الشديد لم ينهزم ويضرب بمثل هذه الصورة... الانسحاب الآحادي دليل على عدم مسؤولية وزعامة باراك، فقد استجاب لرغبة الجمهور والإستطلاعات، إذ إنَّ ٧٠٪ من الجمهور أراد انسحاباً آحادياً لأنه لم يعد قادراً على احتواء الخسائر ليس في صفوف المدنيين بل الجيش، من جانب آخر فإن القيادة العسكرية كلها عارضت بشكل واضح الانسحاب الآحادي الآن وفي الماضي، لكنهم هناك في ديوان رئيس الوزراء اتهموا قائلين وآسف على هذا التعبير (بتغطية القفا) حيث اعتقدوا بوجوب المسارعة والعمل عل تنفيذ الانسحاب واعدين إيانا بأن يكون الأمر ضمن اتفاق، فأي اتفاق؟ مع من؟ مع الأمم المتحدة؟ هل هذا السيناريو كان معروفاً مسبقاً، أي إنَّ هذا الفرار من كريات شمونا كان معروفاً مسبقاً وكذلك وصول أفراد حزب الله إلى السياج!!؟؟

* أرييل شارون (عضو الكنيست وزعيم حزب الليكود: (البرنامج السابق): «لقد اعتقدت إلى ما قبل مدة من الزمن وكذلك طالبت قبل إعادة الانتشار (الاندحار) على الحدود الدولية بأن تحدث «إسرائيل» شعوراً ردعياً، كما تقوم بإخراس نيران منظمات الإرهاب... لو فعلنا ما اقترحته في السابق لكان بالإمكان منع الخزي والعار الذي لازم بأراك وجيش الدفاع في ظل النار... لقد تحدثت مع باراك وطلبت منه العمل فوراً ضد أهداف بنيوية في لبنان وضد منشآت ومصالح سورية ولبنانية وعدم الانتظار... لكن ما يجري الآن هو حرب وليس شن حرب الآن، ومن يستطيع أصلاً

وقف نشاطات حزب الله ومنظمات الإرهاب الفلسطينية في لبنان الذين يتهيأون بتشجيع من سوريا من أجل التحرك فيما بعد».

والصحافة تشهد

لقد أظهرت المقالات والتحليلات الصحفية المحلية والعربية والإسرائيلية والعالمية بما لا يقبل الشك أنَّ ما حصل في أيار ٢٠٠٠ كان زلزالاً عنيفاً هز الكيان الإسرائيلي وسوف تكون له آثاره وارتداداته المستقبلية والتي ستشكل خطراً وجودياً على أصل الكيان ومشروعه الإستكباري في المنطقة، وروماً للإختصار نورد مقتطفات مختارة من بعض تلك الصحف والمطبوعات:

مجلة الكفاح العربي في عددها الصادر في ٢٠٠٠/٥/٢٤ أبرزت العناوين التالية: «الانسحاب الأكثر إذلالاً «لإسرائيل» في تاريخها» و«الهروب على وقع فرحة الجنود تحت جنح الظلام» و«باراك لجنوده: تخلصنا من مأساة عمرها ١٨ سنة»، ومما جاء في بعض التفاصيل: «أنزل الجنود الإسرائيليون علم «إسرائيل» ورددوا النشيد الإسرائيلي وانسحبوا من موقعهم في جنوب لبنان وعبروا إلى الداخل تحت جنح الظلام في الساعات الأولى من فجر أمس الأول. ١٢٠ جندياً تنفسوا الصعداء وشعروا بعودة الروح إليهم وهم يغادرون مهللين مصفقين مرددين مع رئيس حكومتهم «إنتهت المأساة التي عمرها ١٨ عاماً» وقال جندي إسرائيلي انسحب من جنوب لبنان: «في النهاية أنزلنا العلم على عجل ورددنا النشيد القومي الإسرائيلي حتى لا يراودنا شعور من ينسحب وهو ذليل»، وقال جندي آخر «نحن سعداء بالرحيل».

وفي عددها بتاريخ ٢٠٠٠/٦/٢ أوردت المجلة تقريراً خاصاً

من واشنطن حمل العناوين الرئيسية التالية: (عندما تغيب المصادر الإسرائيلية عن تقرير للمخابرات الأميركية) انسحاب «إسرائيل»: زلزال في تاريخها وتغير سيكولوجي... وتحول استراتيجي» ومن أبرز ما جاء في التفاصيل: «يصف تقرير مؤسسة «ستنافورد» هذه التطورات بأنها «حدث يزلزل الأرض في تاريخ «إسرائيل»، إنَّه بزوغ طبقة من الأعداء تشكل أخطاراً يمكن احتمالها لكن لا بد من التصدي لها في ميادين غير ميادين القتال التقليدية، وتحتم إعادة تحديد رؤية «إسرائيل» الأصولية لأمنها».

بل ذهب واضعو هذا التقرير إلى حد وصف التغيير الذي تتجه نحوه «إسرائيل» بأنَّه «تغيير في سيكولوجية البلد»، ويقول إنَّ انسحاب «إسرائيل» الفجائي من لبنان ليس مجرد حدث كبير في التاريخ الإسرائيلي بل إنه نقطة تحول. ولقد سبق وانسحبت «إسرائيل» عسكرياً من أراض كانت تحتلها، أما بسبب ضغوط دولية أو بعقد معاهدة أو لضرورة عسكرية. فالقوات الإسرائيلية انسحبت من خطوطها التي امتدت لأبعد مما ينبغي في منطقة بيروت بعد عملية سلامة الجليل، إلا أن الإنسحاب الأسبوع الماضي كان مختلفاً، لقد واجهت «إسرائيل» ـ شأن الدول القوية ـ حدود قوتها العسكرية وهي تبحث الآن عن خدع حربية أكثر براعة، فبالنسبة لدولة اعتبرت ـ منذ تأسيسها ـ الحل العسكري الطريق الأكثر أماناً وأمناً يشكل هذا تغيراً جذرياً ليس في السياسة وحدها إنما أيضاً في السيكولوجيا القومية»... ويخلص هذا التحليل إلى أن ما يفعله ايهود باراك منذ أن تولى الحكم هو تخفيض الذعر النفسي الذي فرضه حزب الله على الإسرائيليين، وبدلاً من أن يرى في هذه المقاومة النشطة جزءاً من سيناريو الكابوس، فإنه قرر أن يراها جماعة مثيرة للتوتر لكنها

ذات حد أدنى من القوة، مع ذلك فإن «إسرائيل» ـ حسب التقرير ـ «قد قامت بتحليل لحساب التكاليف لاحتلالها جزءً من لبنان وقررت أن الأمر لا يستحق حتى لو تعرضت «إسرائيل» نفسها لهجمات الآن».

فمن كان يتصور أن ترى عقول محللي المخابرات الأمريكيين أن انسحاب «إسرائيل» من جنوب لبنان وانهيار المليشيا الموالية لها يشكل «زلزالاً» في تاريخ «إسرائيل» و«تغييراً في سيكولوجية البلد»، وسيؤدي إلى التحول عن استراتيجية عاشت بها «إسرائيل» منذ تأسيسها وهي استراتيجية إعطاء الأولوية للحلول العسكرية؟.

جريدة العهد التابعة لحزب الله وفي عدد ٩ حزيران ٢٠٠٠ أوردت تقريراً يبين الهزيمة الإسرائيلية في الصحف الأوروبية، وممَّا جاء في العنوان الرئيسي: (الصحف الأوروبية، القوات الإسرائيلية فرت «على طريقة فيتنام»، وجنودها يعانون المهانة والعملاء خونة) ومما جاء في التفاصيل: «احتلت أنباء الجلاء الإسرائيلي المتسارع من جنوب لبنان مساحات واسعة في الصحف الأوروبية، وقد تركز الإهتمام على «حال الفوضى والهلع» التي طبعت انسحاب قوات الاحتلال من الجنوب، بينما تسببت مشاعر الخذلان التي اعترت المليشيا العميلة «لإسرائيل» نظراً لإهمال «تل أبيب» لها في «اللحظة الحرجة» في إثارة مساحات إضافية من التعليقات التي رصدت ذلك.

فتحت عنوان الفوضى في جنوب لبنان توقظ ذكريات فيتنام، اعتبرت صحيفة «بازلر تسايتونغ» في عددها الصادر في بازل الأربعاء ٣١/٥/٢٠٠٠ أن الساعات الماضية تعود بالأذهان إلى الساعات

الأخيرة من الجلاء الأميركي من فيتنام، وقالت عن موقف الاحتلال من عناصر انطوان لحد «إسرائيل خذلتهم في اللحظة الصعبة، فالمقاتلون البسطاء الذين خاطروا بحياتهم من أجل أمن «إسرائيل» يشعرون الآن بالخديعة».

وحول تداعيات الانسحاب الإسرائيلي المذل تتابع الصحيفة «صور الجنود الإسرائيليين الذين انسحبوا وهم خائرو القوى، وصور مقاتلي حزب الله الذين تقدموا إلى «الحدود الإسرائيلية» من دون قتال يذكر وهذه الصورة لن تخطىء مفعولها. ففي «إسرائيل» حيث تمتع الجيش حتى حينه بدرجة عالية من المصداقية يشعر الجميع وخصوصاً سكان الشمال بالخوف على أمنهم».

من جانبها لاحظت صحيفة «بوند» في عددها الصادر من بيرن الأربعاء ٣١/ ٥/ ٢٠٠٠ أن «القوات الإسرائيلية غادرت منطقة الحزام الأمني على عجلة فائقة، بدلاً من قيامها بالانسحاب المرحلي».

وعلقت الصحيفة السويسرية ذاتها على ما جرى بمقال حمل عنوان «انسحاب في حال الفوضى»، ورأى أن ما حدث «يرسم صورة من الفوضى ومن الفرار الطائش الذي يعيد إلى الأذهان انسحاب القوات الأميركية من فيتنام».

أما صحيفة «نويه زرخر» التي تعد واحدة من أبرز صحف العالم، فلقد رصدت ما يحدث بأنه «فوضى في جنوب لبنان» كما جاء في العنوان الذي حمل تعليقها في عدد الأربعاء ٣١/ ٥/ ٢٠٠٠ من زيورخ، وتلمست الصحيفة السويسرية المرموقة مشاعر الخذلان التي تجتاح فلول مليشيا العملاء في الجنوب من التصرف الإسرائيلي نحوهم، واعتبرت أن الصور التي تناقلتها وسائل الإعلام من

الجنوب اللبناني تدل بوضوح على «انسحاب إسرائيلي عشوائي وخارج عن السيطرة» على حد وصفها، و«أن المليشيا المؤيدة «لإسرائيل» قد انهارت بضربة واحدة».

وفي صحيفة «ستاندرو» الليبرالية استنتجت خبيرة شؤون الشرق الأوسط في عددها الصادر في فيينا الأربعاء ٣١/٥/ ٢٠٠٠ أن «إسرائيل» لم تبد اهتماماً يذكر «بمقاتلي جيش لبنان الجنوبي» حيث تجد هذه المليشيا ذاتها بين الشعور بخيانة «إسرائيل» لها في اللحظة الحرجة وتهمة «خونة لبنان» التي التصقت بأفرادها منذ زمن، ورصدت «ستاندرو» في تقرير لها من «تل أبيب» الأصداء التي ترددت في الشارع الإسرائيلي والصحافة الصهيونية من «الانسحاب المخزي» للقوات الإسرائيلية من جنوب لبنان. من جانبها علقت صحيفة «فيلت» الألمانية المعروفة بتأييدها «لإسرائيل» على الأحداث المفاجئة في جنوب لبنان، وكتبت تحت عنوان «ضعف إسرائيل» تقول: لقد قدر حزب الله الوضع بشكل صحيح تماماً، فلا أحد في «إسرائيل» يريد الحرب إذ إنَّ هذه هي أكبر حالة ضعف تنتاب السلطة العسكرية الأقوى في الشرق الأوسط حتى الآن».

وبالعودة إلى مجلة الكفاح العربي في عددها الصادر في ٧/ ٦/ ٢٠٠٠ فإنها تورد تحقيقاً خاصاً من واشنطن يحمل العناوين الرئيسية التالية: «إسرائيل أخذت بقاعدة «أهرب بجلدك» بعد انهيار خطتين لانسحابها»، وفي التفاصيل تقول الكفاح العربي: «ما أكثر من تحدثوا عن الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان من الإسرائيليين. . . من قادتهم العسكريين والمدنيين ومن دبلوماسييهم وأكاديمييهم. . . أمواج وراء أمواج من التصريحات تصب جميعاً في خانة تصوير ما حدث على أنه كان انعكاساً لما أرادته «إسرائيل»،

ربما منذ سنوات وربما منذ شهور. فبعضهم ذهب بالمغالطة إلى حد تصوير الانسحاب الإسرائيلي بأنه «ضربة معلم» نفذتها القيادة الإسرائيلية بنجاح... لماذا؟ لمجرد أن الانسحاب السريع وغير المنظم تم دون سقوط مزيد من القتلى من الجنود الإسرائيليين... وسط هذا كله يتميز حديث أجرته أسبوعية «جويش ويك» اليهودية والتي تصدر في نيويورك مع الآن بيكر.

الآن بيكر هو المستشار القانوني لوزارة الخارجية الإسرائيلية. وهو الذي أجرى لمدة أسبوعين في مقر الأمم المتحدة مفاوضات مع المسؤولين في المنظمة الدولية بشأن تفصيلات الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان.

وأهم من هذا أن الآن بيكر، البريطاني المولد الذي انتقل إلى «إسرائيل» عام ١٩٦٩ وعمل لسنوات طويلة محامياً للجيش الإسرائيلي ثم لوزارة الخارجية قبل أن يصبح مستشارها القانوني الأول، اشترك على مدى ١٥ عاماً في كل المفاوضات بين «إسرائيل» والعرب... تقول «جويش ويك» إنه يعرف أفضل كثيراً من غيره أن «الأشياء ليست دائماً كما تبدو على شاشة التلفزيون»، وواضح أن المقصود بهذا القول هو الانسحاب الإسرائيلي كما بدا على شاشات التلفزيون في أميركا والعالم.. بل وفي «إسرائيل».

فماذا يقول المستشار القانوني لوزارة الخارجية الإسرائيلية، قبل أن يغادر نيويورك عائداً إلى «إسرائيل» بعد أن عاش وقت الانسحاب الإسرائيلي داخل مكاتب الأمم المتحدة؟.

يقول بيكر: إنَّ المسؤولين في المنظمة الدولية قبلوا موقف «إسرائيل» حول الموضوعات كافة خلال مفاوضاته معهم، وإنَّ

إسرائيل أرادت أن تجري انسحابها من الجنوب اللبناني وفقاً لشرعية القانون الدولي. . . لا لأن القانون الدولي ملزم وواجب التنفيذ على الجميع، إنما «حتى تقع المسؤولية عن ما يحدث بعده على عاتق الأمم المتحدة لا على عاتق «إسرائيل»».

لم يخف بيكر دهشته إزاء قبول الأمم المتحدة لموقف «إسرائيل» حول كافة النقاط ويقول: «إنَّ السهولة التي جرت بها محادثاته مع المنظمة الدولية أخرجته من الجو الذي أشاعته الصور التلفزيونية المتعاقبة للكيفية التي جرى فيها الإنسحاب من جنوب لبنان وهو انسحاب لم يبدُ أنه تم وفقاً لخطة. وقال: «إنَّ «إسرائيل» كانت تأمل أن يجري الانسحاب على نحو مختلف، لكنها بنت ذلك على افتراض بأن الأمم المتحدة ستدخل ومعها الأمن اللبناني وإنَّ المسألة كلها ستتم بطريقة منظمة».

كما قال المستشار أنَّ «إسرائيل» فوجئت وأصابها الارتباك إزاء الانهيار الفجائي للمليشيات الموالية لها، كأنها بيت من ورق، وإزاء الطريقة التي ملأ بها حزب الله الفراغ الناجم عن هذا الانهيار وعن انسحاب القوات الإسرائيلية. لهذا اضطرت «إسرائيل» إلى الإفلات من الخطة «أ» والخطة «ب» وتحولت إلى الخطة «ج» للإنسحاب وهي اهربوا بجلدكم سريعاً.

لكن بيكر استطرد قائلاً: «إنَّ اللافتات تظهر الآن في جنوب لبنان وفي الضفة الغربية بأيدي عناصر حماس وعليها عبارة «اليوم لبنان وغداً فلسطين»».

وتحت عنوان «الهروب من لبنان . . . صباح الخير يا حزب الله» كتب سيفر بلوتسكر في صحيفة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية في

٢٣/ ٥/ ٢٠٠٠، ومما جاء في المقالة: «هذا حدث أيضاً في فيتنام، فمنذ ٢٥ عاماً انهار جيش الجنوب وسيطر جيش الشمال وانكمش الخبراء الأجانب في فزع وارتفعت طائرة الهليكوبتر الأخيرة المكدسة بالضباط واللاجئين الجنوبيين، في صورة شاهدها العالم كله من سطح بناية السفارة الأميركية وحلقت للمرة الأخيرة إلى أميركا.

حدث هذا أيضاً في جنوب لبنان، انهارت خطة الانسحاب التفصيلي، وتم التخلي عن رفاق السلاح من جيش الجنوب ليواجهوا مصيرهم، وتدافع اللاجئون على البوابات المغلقة. والجنرالات الذين خسروا الحرب ظلوا يقولون أن كل شيء على ما يرام.. المقارنات شيء مطلوب وكما أن الأميركيين لم يكن أمامهم خيار سوى الانسحاب من جنوب فيتنام، فإننا أيضاً لم يكن لدينا خيار إلا الانسحاب من جنوب لبنان.. لقد شكلت ورطة الانسحاب من «سايجون» الذاكرة الجماعية لجيل أميركي بأكمله. ومشاهد الانسحاب من موقع الطيبة لن تمحى بسهولة من وعي جيل إسرائيلي كامل بل إنها ستظل تطاردنا لسنوات... ولكن هناك فارق واحد، فلم يحدث أن هددت فيتنام الشمالية الولايات المتحدة ولم تدعو لمحوها من على ظهر الأرض مثلما يدعو حزب الله إلى إزالة الكيان الصهيوني، وكان هناك هدف استراتيجي لتعنت الولايات المتحدة في فيتنام وهو منع التوسع الشيوعي في آسيا وقد تحقق، وبالنسبة لعناد «إسرائيل» في لبنان من المستحيل أن نجد اليوم ـ بنظرة إلى الخلف ـ ولو مبرر واحد مقبول كان يمكن من الهروب هكذا من الحزام الأمني منذ نصف عام أو عام أو عامين أو ثلاثة أو خمسة أعوام.. ولا يمكن أن نقارن خروج جيش الدفاع من

جنوب لبنان بخروجه من غزة في إطار اتفاق أسلو، لقد خرجنا من غزة منتصرين بالمفهوم التاريخي للكلمة، وخرج جيش الدفاع من لبنان خالي الوفاض، بدون تفاهمات وبدون اتفاقات وبدون تسويات انسحب وكفى... إن الانسحاب اليوم وبهذا الشكل هو أمر مخزي. صباح الخير يا حزب الله أنت اليوم على حدودنا».

وتحت عنوان «لنخجل من أنفسنا نشرت صحيفة هتسوفيه الإسرائيلية في عددها بتاريخ ٢٤/٥/٢٠٠٠ مقالاً للكاتب حجا هوبرمان، ومما جاء فيه: «استيقظت دولة «إسرائيل» صباح أمس وخجلت من أن تنظر إلى نفسها في المرآة. لقد كانت السقطة في لبنان أحد المشاهد المخجلة جداً على مر تاريخ الدولة. منظومة كاملة بنيت على مر أكثر من عشرين عاماً تهاوت بسرعة البرق، سلسلة كاملة من المفاهيم والتي تحولت إلى جزء لا ينفصل من حياتنا، لدرجة التخيل أنها ستظل إلى الأبد جزءً من الواقع الإسرائيلي تبخرت واختفت. الحزام الأمني وجيش لبنان الجنوبي وقائده، ووحدة الاتصال بلبنان وموقع البوفور وكركوم وبرعشيت وبنت جبيل والقليعة ومرجعيون وسجن الخيام، كل هذه المسميات تتحول فجأة إلى مسميات تاريخية تنتمي إلى الماضي.

ويصعب على العقل الإسرائيلي هضم الواقع الجديد لرجال حزب الله الذين باتوا على مسافة أمتار معدودات من سور الحدود الشمالي، ومرة أخرى مثلما حدث في بداية الحكم الذاتي يطوي جيش الدفاع علمه ويهرب في جوف الليل، وعلى حد وصف أحد الجنود «وذيلنا بين قدمينا». من الذي سيصدق بعد تلك التصريحات الرنانة التي على غرار (سنضربهم ضربة قوية لو تجرأوا) عندما يرون جميعاً كيف يهرب أقوى جيش في العالم فزعاً ولاهثاً»؟

وفي تاريخ ٤/٦/٢٠٠٠ أوردت صحيفة حرمون (الإسرائيلية) مقالاً تحت عنوان «تقارير عن خلفيات الانسحاب «الإسرائيلي» من الجنوب، لماذا السرعة وترك الأسلحة».

ومما جاء في هذا المقال: «وتوضح التقارير في هذا الإطار أن «إسرائيل» بالمفهوم العسكري لم تكن مضطرة للقيام بما قامت به خصوصاً لناحية ما تم الاصطلاح عليه بالانسحاب غير المنظم الذي تسبب بانهيار جيش لبنان الجنوبي وبترك كميات كبيرة من الأسلحة في المناطق التي أخلتها «إسرائيل»، خصوصاً أنها لم تكن تحت ضغط عسكري استثنائي وكبير في شكل يمنعها من الاحتفاظ بمواقعها وفقاً لما يمكن أن يتم في الحروب التقليدية عندما تضطر جيوش للتقهقر السريع تحت وطأة هجومات شاملة برية وبحرية وجوية تحول دون التمكن من الاحتفاظ بالمواقع الدفاعية... وأشارت التقارير إلى أن الجيش الإسرائيلي كان قادراً بالمفهوم العسكري من خلال ظروف الوضع الميداني في الجنوب على تفكيك كل منشآته وسحب كل السلاح، غير أن ما حصل كان تنفيذاً لقرار سياسي وخطة عسكرية سعت «إسرائيل» من خلالها إلى تحقيق أهداف مباشرة لم تتحقق عملياً.

وبحسب المعلومات فإن الجانب الإسرائيلي كان يراهن على قيام أبناء عدد من قرى ومدن المنطقة الحدودية بحمل السلاح بعد انسحاب «إسرائيل» بحجة الدفاع عن مناطقهم في وجه حزب الله... ولذلك فقد تعمد الإسرائيليون ترك أسلحة ثقيلة ومتوسطة بعد خطة انسحاب مريبة... لكن ما فاجأ الإسرائيليين هو تدافع سكان تلك المنطقة في مواجهة الخطة الإسرائيلية نحو الشريط الحدودي للعبور نحو «إسرائيل» وهو ما سعى الجيش الإسرائيلي

لعرقلته على مدى يومين على أمل أن يرتد طالبو الدخول إلى «إسرائيل» نحو قراهم ومدنهم، وأن يستخدم هؤلاء في طريق عودتهم السلاح الذي تركه الجيش الإسرائيلي، غير أن إصرار هؤلاء على العبور(الفرار) إلى «إسرائيل» أسقط الخطة الإسرائيلية وأحرق ورقة كانت تل أبيب تسعى لاستخدامها في مرحلة ما بعد الانسحاب من لبنان».

وتحت عنوان: «هربنا... عندما قرر حزب الله أن نخرج» وفي مقالة للكاتب بوآف ليمور في صحيفة معاريف «الإسرائيلية» بتاريخ ٢٦/ ٥/ ٢٠٠٠ جاء ما يلي: «.. لم نخرج من لبنان وإنما هربنا. لم نخرج في الموعد الذي حددناه، وإنما خرجنا عندما قرر حزب الله بأن نخرج. لم نستكمل العملية مع الأمم المتحدة بل انسحبنا بشكل آحادي وبدون شيء ملموس باليد. خططنا واستعدينا لأن يحاول حزب الله طردنا في معركة، ولم نتصور أنه يهزمنا بالإعلام والصور والتلفزيون. كما أننا لم ننتصر في الحرب خلافاً لما يقوله رئيس الأركان لكن خسرنا خسارة ذريعة... كرة الثلج التي قادت أول أمس في السادسة والدقيقة الثالثة والأربعين صباحاً إلى خروج آخر جندي من لبنان بدأت دحرجتها يوم الأحد قبل ١٢ يوماً... في ذلك اليوم سلم جيش الدفاع موقع الطيبة إلى جيش لبنان الجنوبي... فقد توقعوا حينها أن جيش لبنان الجنوبي قوي وثابت، إنهياره محتمل صحيح، ولكنه ليس متوقعاً في الأيام القريبة القادمة، وما إن مر أسبوع حتى سقطت الطيبة، حصل هذا يوم الأحد بعد الظهر وبشكل مفاجىء وبدون علم مسبق، ففي التقرير الذي وصل من الميدان جاء أن عشرات المواطنين اللبنانيين داهموا بالسيارات وسيراً على الأقدام حواجز الكتيبة الفنلندية عند وادي السلوقي وأخذوا طريقهم في

الأناشيد والرقص إلى قرية القنطرة التي تم احتلالها خلال دقائق، وبينما جيش الدفاع محتار في ما يفعل واصل المواطنون وبينهم أعضاء حزب الله (المسلحون) طريقهم نحو قرية الطيبة.

هذه اللحظات الحاسمة كانت فاجأت رئيس الأركان وقائد المنطقة الشمالية معاً في مناورة كبيرة في هضبة الجولان، لقد احتاروا فيما هو مطلوب فعله من أجل إنقاذ القطاع الأوسط من المنطقة الأمنية. اقتراح قصف المدنيين المتظاهرين تمّ رفضه فوراً خوفاً من عشرات الإصابات بينهم وتصعيد الوضع، وبينما الحيرة مستمرة جاء تقرير يفيد أن جيش الجنوبي ترك موقع الطيبة، في تلك اللحظة يقول ضابط كبير، كان المطلوب القرار الجريء والشجاع، وفي مناقشات مكثفة أثيرت إمكانية إعادة قوات غولاني إلى الموقع، والتي كانت قد غادرته قبل أسبوع فقط، كيلا يتم التخلي عن القطاع. طلب آخر أثاره جيش الجنوبي أيضاً حيث توجه قائد الكتيبة ٧٠ روبين عبود إلى نظيره في جيش الدفاع وقال: «ادخلوا الطيبة وبعد ساعة سلمونا الموقع من جديد، جماعتي سيرون أنكم هنا وبأن كل شيء تحت السيطرة ولن يخافوا العودة».

في الكتيبة ١٢ في غولاني بدأوا بالإستعداد لتطبيق الفكرة، ولكن المراتب العليا رفضتها، في تلك اللحظات كان أمل موفاز واشكنازي بأن هذا حدث مفصلي وعابر، شيء ما مثل أحداث العام الماضي في أرنون والتي انتهت بدون أضرار، فأعطيت للقوات وللجنوبي تعليمات تكتيكية ولكن المؤسسة لم تتأثر حيث قال ضابط كبير بصوت عال «إن هذا قادم، ولكن صوته لم يسمع».

وتحت عنوان: «حزب الله أثبت أن قدرة الردع قضية ملفقة»

كتب داف غولد شتاين في صحيفة معاريف الإسرائيلية بتاريخ ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٠ ما يلي: «الأساس أن رئيس الحكومة أنجز وعده... أهمية هذا الانجاز تكبر في مقابل التعهدات السابقة التي خرقت بمرور السنين... إيهودا باراك تعهد، أيهودا باراك نفذ... كلمة رئيس الحكومة الإسرائيلية مصبوبة في الباطون المسلح...

بينما كانت «إسرائيل» تتوقع أن تنشر الأمم المتحدة قواتها في المناطق التي يخليها الجيش الإسرائيلي، بدأ حزب الله مسار نصره وسيطر بدون رصاصة واحدة على البلدات والقرى في القطاع الأوسط من الحزام الأمني، وبعد ذلك امتد إلى القطاعات الأخرى، بسط سيطرته على كل الحزام الأمني وتمركزت عناصره على السياج، ولم يكن ما حصل موجوداً في حسابات المجلس الوزاري الأمني المصغر (الإسرائيلي) كإمكانية معقولة، الذي أبدى أعضاؤه حماقة وبلادة... الأساس أنَّ رئيس الحكومة أنجز وعده... أنا أفكر للحظة ماذا كان سيكون مصيره لو لم ينفذ وعده؟ بالتأكيد ليس من المستحيل أن منظمة «الأمهات الأربعة» كانت ستوجه إصبع الإتهام له، ولكن الحظ يلاحق باراك فقد أنقذ نفسه من غضب الأمهات ودفع ثمناً معقولاً مقابل خضوعه.

ماذا يوجد؟ ماذا حصل؟ بالإجمال، فقد أثبت مقاتلو حزب الله الشجعان أن قدرة الردع للجيش الإسرائيلي ليست إلا حكاية ملفقة، وإن حكومة برئاسة قائد أركان سابق أفرغت من محتواها ووضعت للاستهزاء والسخرية».

وتحت عنوان «كان ينبغي تحويل جيش الجنوبي إلى مليشيات قروية»، كتب رافي نوي (عميد احتياط) في صحيفة معاريف ٢٤/

٥/ ٢٠٠٠ ما يلي: «إن انسحاب الجيش الإسرائيلي من الحزام الأمني كما يبدو اليوم هو أشبه باشتباك، لا بعملية مخططة بشكل جيد ومفصل، وعندما أسأل نفسي عما يجري هنا فليس لدي جواب آخر سوى أن رئيس الحكومة أيهود باراك وانطلاقاً من حماسه للتوصل إلى اتفاق مع الأسد افترض أن الاتفاق مع سوريا سيؤدي إلى سريان الهدوء على الحدود الشمالية «لإسرائيل»، وسيمنحه اقتراعاً إيجابياً في الاستفتاء الشعبي حول إعادة الجولان. لذلك أعتقد بأن التحضيرات الأمنية للانسحاب من الحزام الأمني لا حاجة لها. لكننا نرى اليوم إلى أي مدى كانت هذه الفرضية خاطئة.

لقد كانت نظرية خاطئة من أساسها، ففي اللحظة التي قرر فيها الجيش الإسرائيلي أن ينسحب بشكل آحادي الجانب من لبنان كان ينبغي أن يكون واضحاً له بأن جيش لبنان الجنوبي وأهدافه ستتبدل بعد الانسحاب، لقد كان واضحاً بأنه لن يواصل الدفاع عن الحدود الشمالية «لإسرائيل» لذلك ومنذ عدة أشهر عندما اتخذ قرار الانسحاب، كان يجب البدء بتغيير نظرية تنظيم القوة في جيش لبنان الجنوبي من ألوية وكتائب وسرايا تمكث في المواقع وتدافع عن منطقة الحزام الأمني، بحيث كان ينبغي تحويل هذا التنظيم باتجاه بنية مليشيات قروية.

فقد كان يجب تنظيم من بين ٦٠ إلى ٨٠ مقاتلاً في كل قرية، وإقامة مواقع لهم داخل القرى وتنظيم أنفسهم لحماية محيط القرى. لذلك من أعطى موقع الطيبة للكتيبة الشيعية في جيش لبنان الجنوبي كي تدافع من هناك عن المنارة ومسكاف عام، مع اعتقاده بأنها ستبذل نفسها لهذا الهدف، قد أخطأ».

وفي مقالة للكاتب ديفيد تنر في صحيفة هآرتس الصهيونية بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٢٤ تحت عنوان: «جيش الدفاع غادر على عجل» جاء فيها: «دبابة باتون» مغبرة كانت الآلية الأولى التي تدحرجت بتثاقل وراء بوابات الموقع، وفي برجها جنديان أحمرا العينين، ومباشرة بعد ذلك خرجت ناقلات جند مصفحة، فلاشات تبرق وكاميرات الفيديو تعمل، جنود سرية التخريب في لواء غولاني كرسوا أنفسهم للإعلام بسرور، جندي متحمس في محاذاة وجهه منظار رؤية ليلي صرخ «هذا ليس سليماً،كيف خرجنا من هنا، لكن أمي رجعت إلى البيت»، الطريق الترابية المعفرة تحول إلى منطقة يتعانق فيها عشرات الجنود بتأثر، أندري يراقب ما يجري بهدوء، قبل ست سنوات هاجر من روسيا إلى البلاد وسينهي الخدمة بعد ٥ أشهر، ويقول أن حزب الله انتصر... جيش الدفاع لم يخل موقع بنت جبيل بل تركه على عجل، حتى أن بعض الجنود قالوا: «أهرب»، كذلك قال لهم قائد اللواء قبل ذلك بلحظة «لم أرغب أن نخرج هكذا»، وعاد وقال: «مع كل هذا تذكروا أننا الجيش الوحيد الذي وقف جيداً أمام مقاتلي العصابات وسوف تصلكم إطراءات» جنود رووا أنهم اضطروا لترك التجهيزات وذخائر في الموقع من بينها آلات التصوير ومكيفات هواء وكراسي وطاولات، وفي مركز القيادة كان هناك أيضاً خزنة فيها آلاف الدولارات، أجور جيش لبنان الجنوبي، وحسب أقوال الجنود فقد تم تفجير الخزنة بسبب ضيق الوقت وأغلب النقود قد احترقت. يقول عيران (جندي آخر): «عندما احتلوا موقع جيش لبنان الجنوبي القريب علمنا أننا التالين» وهو ليس متأكداً ما إذا يؤيد الانسحاب ولكن رغم ذلك فإنه حالياً مسرور. جندي متعب أقفل البوابة ـ خلف أكثر المنسحبين وطاقم

التلفزيون ـ يلهث قام بتسجيل لحظات الانسحاب، اقترب من الطاقم وطلب «باسم التاريخ افتح ثم عد وأقفل».

وتحت عنوان «ترك الآليات العسكرية يحول الانسحاب إلى هزيمة» كتب أوري اليتسور في صحيفة يديعوت آحرنوت في عددها ٢٠٠٠/٦/٤ ما يلي: «أدرك أن المقارنة غير متزنة. ولكن طوال الأسبوع لم أستطع التخلص من الصورة التي انطبعت في ذهني منذ صغري، وهي صورة الأحذية في الرمال التي ترمز إلى هزيمة الجيش المصري. وحسب المزاج النفسي الإسرائيلي الراهن، فقد بدا فجأة أن الجنود المصريين حينذاك عملوا بمنطق، لقد توصلوا إلى استنتاج بأنه لم يعد ثمة فائدة من مواصلة القتال، وأعاقتهم الأحذية عن الركض، وكان الهدف هو الانسحاب بأقل قدر من الخسائر. ونحن في لبنان لم نترك أحذية بل أخطر من ذلك دبابات ونصف مجنزرات ومعدات عسكرية وأعلام وحلفاء تعرضوا للخيانة.

وأنا أعرف أنه من الممكن تعداد مئة فرق بين الهزيمتين: بالنسبة للمصريين فقد هرب قادة الجنود وغادروا المواقع في معمعة الحرب، حاول كل منهم أن ينجو بنفسه، فيما نحن نفذنا الانسحاب حسب الأوامر وبجدول زمني دقيق وأطر منظمة، ولكن كل هذه الفوارق الهامة هي خارجية، وأنا أخشى أن يكون الضرر الناجم على قوتنا الردعية ومكانتنا في المنطقة يفوق الضرر الذي لحق آنذاك بقوة الجيش المصري الردعية وقوة المساومة لدى الدولة المصرية المهزومة».

وأخيراً في هذا المجال ننقل ما أوردته صحيفة هآرتس ٦/١/

٢٠٠٠ للكاتب إسرائيل هارئيل تحت عنوان: «الجيش الإسرائيلي هو الذي انهار في الجنوب» ومما جاء فيها: «سارع رئيس الأركان شاؤول موفاز إلى إسناد وتطهير (تبرئة) نفسه وغيره من كبار القادة الآخرين. لم نترك جيش لبنان الجنوبي لمصيره، خرجنا بكرامة، لم يكن هناك هروب، لم تصب قدرة الردع للجيش الإسرائيلي بأذى، وبدأت وسائل الإعلام تتجند لإسداء الثناء والزهو ومدح الهروب الكبير الذي جرى «دون أي خدش»، ولم يفكر أحد منهم على اعتبار أن هذا ليس مهماً بالفعل، فأي خدوش معنوية ومادية أوقع الهروب والفزع والتسيب في نفوس الجنود والقيادات الذين ألزموا على التصرف خلافاً لكل معيار تربوا عليه...».

وما أن مرت أيام حتى أعلن (الشيخ) أحمد ياسين أن الكفاح الفلسطيني لا يمكنه أن ينجح إلا بوسائل حزب الله، حتى ياسر عرفات، فقد أعلن أمام جمهور محتفل أنه ثبت مرة أخرى أن الأراضي العربية يجب تحريرها «متراً بعد متر». عرب من «إسرائيل» هم سعداء أيضاً، حيث سافروا إلى الحدود اللبنانية ورفعوا أعلام حزب الله وأشاروا بعلامة النصر لإخوانهم خلف الجدار... فالهروب الفزع لم يجتزىء شيئاً من قدرة الردع، فقد ضاعت جميعها... ومن يعرف رئيس الأركان ويقدره كمقاتل يتساءل هل هذا هو شاؤول؟ هل يعقل أن يكون الثناء الذي تسديه له الأمهات الأربع قد أدار رأسه؟ لماذا؟ يتساءل كل من لا تزال عيناه في رأسه، لماذا تقرر تسليم الموقع الأساسي في الطيبة إلى أضعف حلقة في جيش الجنوبي، ولماذا عندما بات واضحاً أنه سيجري الجلاء عن المنطقة «توقعنا كل السيناريوهات»، ولم يجر الإعداد لجلاء منظم بما في ذلك الأمتعة والمعدات لكل الحلفاء الراغبين

في ذلك، يقول بعض المسؤولين عن النغمة الميدانية والأخلاقية لرفاقهم المندهشين والمرتبكين أن أياديهم كانت مكبلة ربما، ولكن بما أنهم توقعوا المستقبل «كانت لدينا سيناريوهات كهذه» فقد كان ينبغي لهم لو كانوا حقاً رجال حقيقة وكرامة أن يقوموا ويستقيلوا.. في الحقيقة إنَّ رئيس الوزراء هو المسؤول عن الآثار الإستراتيجية القاسية للإخفاقات التكتيكية، ولكنها لا تمنحهم شهادة إعفاء حتى ولو جزئية. على من المسؤولية؟ أي مسؤولية الجيش الإسرائيلي وعن الخزي والعار والإخفاقات الميدانية؟ بعمق يعرف قسم من المؤيدين الضالين أو المجندين الذين ينشرون إعلانات الثناء على باراك أن الجيش الإسرائيلي وليس جيش لبنان الجنوبي هو الذي انهار في لبنان».

الفصل الثالث

المقاومة استمرار وتجذر

تمهيد
جدل حول المقاومة
الخبر اليقين
الفاتحة أسرى
عودة الرعب
تواصل العمليات
خروقات وتصدي
حراسة الثغور
المقاومة خيار استراتيجي

تمهيد

لا شك ولا ريب أن استمرار المقاومة وتجذرها بعد تحرير **معظم الأراضي اللبنانية يوم ٢٥ أيار ٢٠٠٠ كان نتيجة لهذا** الانتصار الإلهي والتاريخي الخالد، إذ من الممكن القول أنه لو حصل الانسحاب بطريقة مختلفة كان يمكن أن يكون له آثار سلبية **ولعلها ثقيلة الوطأة على إمكانية استمرار المقاومة بعد التحرير.** فالأصوات الناشزة التي ارتفعت بعد هذا الفتح المبين لتطالب بإنهاء عمل المقاومة كان يمكن لها أن تجد أرضاً خصبة في أحوال ملتبسة كان يمكن أن تنتج عن بعض السيناريوهات التي كانت محتملة لانسحاب العدو الإسرائيلي من جنوب لبنان، كما مر بيانه في الفصل الثاني من الكتاب.

فالمقاومة أثبتت من خلال الانتصار الحضاري أنها جديرة بالاحترام ومنح الثقة، وتأكد للبنانيين جميعاً أن المقاومة تملك من الوعي والحكمة والاستقامة باتجاه الهدف ما يحصنها من الاغترار بقوتها فلا تتحول إلى منافس داخلي، كما تأكد بالتحرير أن المقاومة يمكنها أن تهزم الجيش الإسرائيلي والإرادة الإسرائيلية، وعليه فهي ليست أداة صالحة للتحرير فقط رغم أن الحاجة لا زالت ماسة إليها في تحرير ما تبقى من أرض لبنانية محتلة لا سيما في

مزارع شبعا، ولإطلاق ما تبقى من أسرى في سجون العدو، بل هي أداة لا غنى عنها لردع المعتدي من التفكير في أي اعتداء جديد باتجاه لبنان وهو العدو الذي لم يتخل يوماً عن طبيعته العدوانية وأهدافه الشريرة المبيّتة منها والمعلن؛ لذا كان لا بد للمقاومة أن تبقى سيفاً مسلطاً على العدو لكي يأمن لبنان وشعبه غدر هذا العدو الماكر.

جدل حول المقاومة

في بدايات عمل المقاومة في لبنان كان هناك لغط شديد حول جدوائية عمل المقاومة وقدرتها على هزيمة «إسرائيل» وبالتالي تحرير الأرض، هذا اللغط كانت تثيره جهات مرتبطة بشكل أو بآخر بالعدو الإسرائيلي، وكان يساعد على انتشاره المرجفون من ضعاف النفوس والخائنون من أصحاب المنافع الشخصية والرخيصة، ومع الأسف ورغم أن الانكفاء الإسرائيلي عن مناطق لبنانية واسعة إلى الشريط المحتل عام ١٩٨٥ كان نتيجة أكيدة للمقاومة الوطنية والإسلامية، غير أن ظروف الانسحاب والوضع السياسي السائد آنذاك لم يظهر هذه الحقيقة، وبدت الصورة للكثيرين أن الانسحاب كان فعلاً إسرائيلياً طبيعياً تمليه مصالح «إسرائيل» وليس بسبب المقاومة وفعاليتها. لذلك احتاجت المقاومة لفترة زمنية أطول لتبدد الجدل حول فعاليتها وقدرتها على تحقيق النصر، ولعل عام ١٩٩٣ كان بداية التحول الجدي في النظرة المتشائمة نحو جدوائية المقاومة حيث اعترفت «إسرائيل» صراحة بهزيمتها مقابل حزب الله، وذلك على لسان رئيس الوزراء حينها إسحاق رابين؛ وتوالت فصول الهزائم الإسرائيلية ليتضاعف معها أمل اللبنانيين بالانتصار بالمقاومة، فكانت حرب نيسان محطة مهمة أيضاً في هذا السياق

وكذلك المواجهات البطولية في الجبور وأنصارية وغيرها كقتل رؤوس العملاء كعقل هاشم وكبار ضباط الجيش الإسرائيلي كـ«غيرشتاين» وغيره. ومع إعلان باراك عن الهزيمة مغلفة بوعد الانسحاب في تموز ٢٠٠٠، بات اللبنانيون على يقين بقدرة المقاومة وجدوائيتها في تحقيق انتصار كبير على «إسرائيل» وتحرير الأرض. غير أن الجدال بدأ ينتقل من السؤال والنقاش حول جدوائية وضرورة بقاء المقاومة قبل التحرير إلى ضرورة بقاء المقاومة بعد التحرير، وقد كان السؤال الذي بح حناجر الصحافيين وشغل المراقبين خلال أشهر طويلة إن لم يكن سنوات هو: إذا انسحبت «إسرائيل» فهل ستبقى المقاومة؟ وهل يعود لها أي ضرورة؟ وما هو مصير حزب الله وسلاحه؟ وما شاكل من أسئلة منها ما هو بريء ومنها ما كان يبحث عن نوايا تحتاجها «إسرائيل» كي تطمئن على مستقبلها بعد الانسحاب، غير أن المقاومة وقيادتها كانتا حكيمتين في عدم إعطاء الجواب قبل الانسحاب ليبقى العدو في حالة الحيرة والتردد ولا يستفيد من تصريح لا لزوم له في تلك المرحلة.

الخبر اليقين

الجواب الشافي والقاطع لكل تلك الأسئلة عن بقاء أو عدم بقاء المقاومة بعد الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان جاء حاسماً من فوهات المدافع الثقيلة وسبطانات صواريخ الكاتيوشا للمقاومة الإسلامية، والتي انطلقت بعد الساعات الأولى لبداية عملية التحرير في ٢١ أيار لتقصف ولأول مرة المواقع الإسرائيلية في مزارع شبعا اللبنانية المحتلة، فقد «أعلن الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله أن مزارع شبعا أصبحت مسرحاً لعمليات

المقاومة الإسلامية شأنها شأن الأراضي اللبنانية المحتلة، وقال: إن من حقنا أن نفعل أي شيء لاستعادة وتحرير المعتقلين في سجن الخيام والسجون الصهيونية... وحتى لو خرج العدو من مزارع شبعا وبقي أبو علي الديراني والشيخ عبد الكريم عبيد وسمير القنطار وبقية الأخوة في السجون الإسرائيلية فهذا ليس انسحاباً كاملاً من لبنان»[1].

القصف الذي طال مزارع شبعا المحتلة لأول مرة وإعلان الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصرالله عن تحول المزارع إلى مسرح لعمليات المقاومة الإسلامية، جاء ليؤكد ما كانت المقاومة تعتقده وتخبؤه عن وسائل الإعلام وهو أن المقاومة ستستمر وإن سحب باراك جيشه من لبنان لأن الاعتقاد الذي كان سائداً لدى المقاومة وقيادتها هو أن «إسرائيل» ذات الطبيعة العدوانية لا يمكنها أن تحقق للبنان كامل شروطه والتي أعلنها مسبقاً كي يعتبر الانسحاب من لبنان كاملاً وهي شروط لا تقدر على الإيفاء بها بسبب الطبيعة العدوانية للكيان الصهيوني، ومن هذه الشروط الانسحاب الكامل من الأراضي اللبنانية، هذا الانسحاب الذي تعطل في مزارع شبعا وغيرها من الأراضي التي لا زالت محتلة، كذلك تعطل بالإبقاء على الأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية وبالعديد من المسائل الأخرى التي سوف نأتي على ذكرها لاحقاً.

لبنانية المزارع وأهميتها

باستهداف المواقع الإسرائيلية في مزارع شبعا المحتلة من قبل

---

(١) جريدة الأنوار: ٢٢/ ٥/ ٢٠٠٠.

المقاومة الإسلامية فُتح جدل واسع على المستوى الأقليمي والدولي والمحلي حول لبنانية أو عدم لبنانية مزارع شبعا. ومع الأسف فقد ساهمت منظمة الأمم المتحدة سلباً بهذا النقاش معتبرة أن موضوع المزارع لا يتعلق بالقرار ٤٢٥ بل بالقرارات الصادرة بخصوص الجبهة السورية الإسرائيلية وذلك استناداً إلى أن هذه المزارع قد احتلتها «إسرائيل» مع الجولان عام ١٩٧٦، وبذلك حاولت المنظمة الدولية بأن توحي أيضاً بأن المزارع هي أرض سورية وبالتالي لا يحق للبنان المطالبة بشمولها بتنفيذ القرار ٤٢٥، كما لا يحق بالتالي للمقاومة القيام بعمليات عسكرية ضد مواقع الاحتلال الإسرائيلي هناك.

لقد أثبتت الدولة اللبنانية تبعية المزارع لها وذلك عبر الوثائق التي قدمت للأمم المتحدة ومنها سندات الأراضي والملكية العائدة للبنانيين ومؤسسات لبنانية دينية مسيحية وإسلامية تؤكد لبنانية مزارع شبعا، كما طبع ونشر العديد من الكتب والأبحاث حول لبنانية هذه المزراع، في الوقت الذي لزمت سوريا الصمت ولم تدع سوريا ملكية تلك المزارع في ما يفيد الرضى عن الدعوى اللبنانية في هذا المجال، فلو كانت المزارع أرضاً سورية للزم على السلطات السورية أن تبين وجهة نظرها في حقها ـ لو كان ـ لا سيما في ظل الجدل الإقليمي والدولي القائم، رغم أن الدولة السورية أرسلت وثائق إلى الأمم المتحدة تثبت بطريق أو بآخر لبنانية المزارع، ولعل نقطة الالتباس الحاصلة مردها إلى عدم وجود اتفاقية دولية تنظم الحدود السورية اللبنانية، «إذ إن الترسيم طال الحدود الدولية بين سوريا ولبنان وفلسطين، ولم يتم ترسيم الحدود بين لبنان وسوريا في ذلك الوقت (أثناء الانتداب الفرنسي الإنكليزي) لأن فرنسا كانت

منتدبة على لبنان وسوريا ومن غير المنطقي أن تقسم مع نفسها مناطق نفوذها»[1].

الموقع والأهمية

«تقع مزارع شبعا على السفح الجنوبي الغربي لجبل الشيخ، المشرف على سهل الحولة، بطول يبلغ ٢٠ كلم من بركة النقار حتى مغر شبعا، وبعرض يتراوح بين ١٣ كلم من كفرشوبا حتى جبل جباتة، بحيث تصل مساحتها إلى ٢٠٠ ألف دونم أو ٢٥٠ كلم مربعاً. يحدها من الشمال كفرشوبا، ومن الجنوب بلدات: بانيسا، جباتة ومجدل شمس السورية، ومن الشرق بلدتا حضر وبيت حتى السوريتان، ومن الغرب بلدتا دير حجاب والمجيدية اللبنانيتان، ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر ما بين ١٠٠٠ و١٦٠٠م وتبعد عن بيروت ١٤٥ كلم.

يذكر أن مزارع شبعا هي مسكن دائم لألف ومئتي عائلة، ومنطقة إشتاء لستمئة عائلة، ومنطقة ملكية لألف عائلة أخرى، وفيها أملاك وقفية شاسعة تعود إلى الأوقاف الإسلامية والكنيسة الأرثوذوكسية، مع الإشارة إلى وجود مزار ديني يدعى «مشهد الطير» خاص بالنبي إبراهيم عليه السلام... وتتميز هذه المزارع بأنها تحوي كميات هائلة من المياه الجوفية، إذ فيها ما يكفي لمساحات شاسعة رياً وسقياً. ومن أجل ذلك تكثر بساتين الزيتون والأراضي الزراعية فيها. تصل حدود مزارع شبعا إلى خراج حدود قرية الزرقا (على قمة جبل الشيخ ويبلغ ارتفاعها قرابة ٢٠٠٠م) ومن الممكن

---

(١) العهد: ١ ك١، ٢٠٠٠.

للأبراج التي أقامها العدو هناك أن تكشف منطقة الجولان، درعا ودمشق في سوريا وصولاً إلى الحدود الأردنية وقسماً من سهل البقاع والجزء الجنوبي من سلسلة لبنان الغربية وجبل عامل حتى البحر ومنطقة الجليل الأعلى، ومن الناحية الاقتصادية تحتوي على غابات الزيتون المعمرة، وعلى مساحات كبيرة اعتمدت لزراعة الحبوب والفواكه والخضر إلى جانب مساحات شاسعة من غابات السنديان والملول، إضافة إلى غنى القسم الشمالي منها بالثروة المائية والثلجية الصالحة للتزلج، وغنى الجزء الجنوبي بالآثار والمعادن، ومن أجل ذلك كله تعد هذه المنطقة استراتيجية على المستويات الاقتصادية والجغرافية والعسكرية.

في حزيران عام ١٩٦٧ وبعد معارك جبل الشيخ أقدم العدو الاسرائيلي تطبيقاً لسياسة القضم التدريجي، على ضم ١٤ مزرعة من أراضي شبعا البالغة مساحتها حوالي ٧٥ كلم مربعاً، إضافة إلى مساحات واسعة من أراضي جبل الشيخ اللبنانية الجنوبية، وقد أقامت «إسرائيل» على هذه المناطق قواعد عسكرية ومرابض مدفعية بعيدة المدى تطال المنطقة المجاورة بأكملها»[١].

الحماقة أبقتهم

أمام الأهمية الاستراتيجية الهامة عسكرياً واقتصادياً لمزارع شبعا اللبنانية، أثير سؤال كبير إلى الأذهان عقيب الاندحار الإسرائيلي من لبنان، وهو لماذا لم تنسحب «إسرائيل» من مزارع شبعا أيضاً وهي تعرف بأنها أرض لبنانية؟ لماذا أبقت هذه الذريعة

(١) العهد: ٢٠٠٠/٥/١٢.

الهامة بيد لبنان لتستمر المقاومة؟ هذا كله في الوقت الذي تخلت «إسرائيل» فيه عن أراض لبنانية واسعة منها ما قد يكون مساوياً لأهمية مزارع شبعا عسكرياً وفي الوقت الذي فككت فيه «إسرائيل» مواقع مهمة كموقع العباد الإستراتيجي وتراجعت عن الأراضي اللبنانية من أجل سحب الذرائع وعدم إيجاد مشكلة مع حزب الله تؤجج الصراع بعد الانسحاب، وهل الجواب أن القيمة الأمنية أو العسكرية أو الإستراتيجية لمزارع شبعا أكثر أهمية؟ أم ماذا؟

في الحقيقة ومن خلال إعمال النظر والفكر والتأمل في جوانب هذه القضية ومحاولة تفسير الموقف الإسرائيلي بعدم الانسحاب من المزارع ـ وكذلك عدم إطلاق الأسرى ـ فإن المرء لا يجد تبريراً منطقياً لعدم الانسحاب الإسرائيلي من مزارع شبعا، بل إنّ خطوة الانسحاب من مزارع شبعا في الوقت نفسه الذي انسحب فيه الجيش الصهيوني من لبنان أو بعيد ذلك بقليل، كانت لو حصلت هي الخطوة المنطقية والمفهومة، وتبيّن أنه كان هناك بالفعل تفكير جدي من قبل القيادة الإسرائيلية بالانسحاب من المزارع بعيد الانسحاب من باقي المناطق الجنوبية المحتلة، وقد ظهر ذلك خلال بعض النقاشات التي طفت على السطح، وكذلك من خلال تدمير «إسرائيل» لمواقع عسكرية استراتيجية في مرتفعات مزارع شبعا المحتلة كمقدمة للانسحاب، غير أن أمراً معيناً مجهولاً بالنسبة لنا حصل وأدى إلى امتناع «إسرائيل» عن استتباع الانسحاب من جنوب لبنان بخطوة الإنكفاء من مزارع شبعا.

هذا الأمر قد يبقى مجهولاً وقد يعلم، غير أننا نستطيع التقدير بأن الحماقة هي السبب الذي يمكن ذكره لعدم أخذ هكذا قرار لا

يجد الانسان له تبريراً منطقياً صحيحاً، وإذا توجهنا إلى الحديث الشريف الذي يقول: «الحمد لله الذي جعل أعداءنا من الحمقى»، فيمكننا أن نضيف أيضاً بأن الله تعالى وبقدرته ولطفه ومكره أعمى عقول وقلوب قادة العدو فباتوا من الحمقى، ليبقوا في مزارع شبعا كي تكون حجة وسبباً لاستمرار المقاومة في وجه العدو الإسرائيلي حجة أمام الكثير من الرأي العام المحلي والعالمي، والذي قد يحتاج كي يقتنع ببقاء المقاومة إلى هذا النوع من الاسباب والحجج ليستدل على أن «إسرائيل» معتدية على أرضنا، وإن كنا نجد في كل يوم ألف سبب لنبقى على عقيدتنا بأن «إسرائيل» معتدية بالطبع والسليقة، وعدوانيتها هذه هي سبب كاف لبقاء المقاومة حتى لو لم يكن هناك اعتداء ظاهر على لبنان وهو أمر مستبعد أيضاً.

الفاتحة أسرى

صحيح أنَّ المقاومة أطلقت في اليوم الأول من أيام التحرير مجموعة من القذائف باتجاه المواقع العسكرية للاحتلال في مزارع شبعا، وكانت تلك القذائف بمثابة إعلان عملي ورسالة نارية لإظهار نيَّة المقاومة على مواصلة عملياتها ما لم تنسحب «إسرائيل» من تلك المزارع. غير أن المنطقة الحدودية بأسرها بين لبنان وفلسطين لم تشهد بعد اليوم الخامس والعشرين من أيار ٢٠٠٠ أية عمليات عسكرية تذكر بما في ذلك منطقة مزراع شبعا، وذلك لشهور عدة، بحيث ظن الكثيرون بأن المقاومة قد تخلت عن وعدها باستكمال التحرير عسكرياً وبالبندقية، غير أن يوم السابع من تشرين أول للعام ٢٠٠٠ كان الموعد الذي أبطل كل تلك الظنون وأكد للبنانيين والإسرائيليين وللعرب والمسلمين والعالم أن حزب الله هم قوم لا يتركون أسراهم في السجون وهم حاضرون لفعل أي شيء لإطلاق

سراحهم، كما تأكد أن المقاومة لا يمكن أن تتخلى عن عهدها وقسمها بدماء شهدائها في تحرير ما تبقى من أرض عزيزة وغالية، فكانت العملية البطولية للمقاومة الإسلامية في مزارع شبعا والتي أدت إلى أسر ثلاثة جنود صهاينة تمكنت المقاومة من نقلهم بسرعة إلى عمق الأراضي اللبنانية، حتى قبل أن يعلم الإسرائيليون بأصل حصول العملية العسكرية.

وفي بيان صادر عن المقاومة الإسلامية حمل «رقم ١ جاء ما يلي: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[١] صدق الله العلي العظيم، تنفيذاً لوعد حزب الله بتحرير كل أسير ومعتقل وكل شبر من أرضنا المحتلة، ومساندة للشعب الفلسطيني المجاهد العظيم في انتفاضته المباركة، هاجم مجاهدو المقاومة الإسلامية البواسل العديد من مواقع قوات الاحتلال الإسرائيلي في منطقة مزارع شبعا اللبنانية المحتلة، ونفذوا عملية نوعية أدت إلى أسر عدد من الجنود الصهاينة وتمكنوا من إخلائهم نهائياً من منطقة العمليات إلى مكان آمن»[٢].

كان وقع العملية شديداً ومزلزلاً للعدو ومفرحاً للأصدقاء، فالعملية كانت ذات استهدافات متعددة وتمت بإداء رائع، ففي الاستهدافات أعلنت العملية بالرصاص وبأسر الجنود الثلاثة ان المقاومة لن تتخلى عن أسراها، فالعملية هي عملية أسر وقعت في مزارع شبعا المحتلة، لتقول أيضاً للعدو أننا لن نتخلى عن أرضنا وسوف نبقى نقتل جنودكم أو نأسرهم ما داموا في أرضنا الغالية، كما كان

---

(١) سورة الروم، الآية ٦.

(٢) العهد: ١٣ ت١، ٢٠٠٠.

للعملية بعد ثالث وهو الدعم والتأييد للانتفاضة الفلسطينية البطلة، حيث تم إهداء العملية «إلى روح الشهيد المظلوم محمد الدرة وإلى كل شهداء إنتفاضة الأقصى، معاهدة على الوقوف إلى جانب هذا الشعب المضحي والشريف وألا تنسى المسجد الأقصى مهما بلغت التضحيات»[١].

في الجانب الصهيوني كان الإرباك بحجم الكارثة إذ «إنَّ قوات الاحتلال أدركت لاحقاً أن الجنود الصهاينة أسروا غير أن هذا الإدراك جاء متأخراً، فالجهد الذي بذلته القوات الاسرائيلية خلال ساعات بقصد شل كل حركة للسيارات في منطقة شبعا باء بالفشل، والسبب أن الإدراك الإسرائيلي لحقيقة ما جرى جاء متأخراً، وربما متأخراً جداً، وبعد ساعات طويلة أعلن الناطق الرسمي بلسان جيش العدو أن الجنود الثلاثة كانوا يقومون بنشاطات على السياج الحدودي في منطقة «جبل الشيخ» وأنهم اختطفوا على أيدي جهات لبنانية في حزب الله على ما يبدو»[٢].

وقد أُعلن التأهب في المستوطنات الشمالية وطلب من مجالس تلك المستوطنات فتح الملاجىء والاستعداد لمواجهة احتمالات مفتوحة، ورد حزب الله على تهديدات العدو ببيان جاء فيه: «لقد آن الأوان ليتعلم الصهاينة أن لبنان عصي على التهديد، وأنه مقبرة للغزاة وأنَّ المقاومة الإسلامية لا ترعبها أساطيل الأرض فضلاً عن التهويل والوعيد، إننا نعلن بوضوح أن الاعتداء على لبنان تحت أي ذريعة سيكون عملاً إسرائيلياً أحمقاً وسيقابل بشدة وشمولية،

---

(١) العهد: من بيان للمقاومة الإسلامية، رقم ١، ١٣ ت١، ٢٠٠٠.
(٢) العهد: مصادر صهيونية ١٣/ت١/ ٢٠٠٠.

وسيكون الصهاينة جميعاً من جنود ومستوطنين هدفاً لضربات مجاهدينا البواسل»[1].

أسرانا وأمل العودة

عملية الأسر الموفقة والنادرة في مزارع شبعا للجنود الإسرائيليين الثلاثة فتحت باب الأمل لأسرى المقاومة ولبنان في السجون الإسرائيلية، كما فتحت الباب عينه لآلاف الأسرى الفلسطينيين والعرب في السجون الإسرائيلية بالانتقال إلى الحرية، ويقارب عدد أسرانا اللبنانيين في السجون الإسرائيلية عشرين أسيراً ومعتقلاً، في مقدمتهم:

الشيخ عبد الكريم عبيد.

الحاج مصطفى الديراني.

وقد دخلت الفرحة بيوت أهالي وذوي هؤلاء الأسرى من خلال العملية الشجاعة والأمل القريب بإطلاق أحبتهم. كما حركت العملية البطولية التي نفذها مجاهدو المقاومة الإسلامية ضد العدو الصهيوني، قضية الأسرى والمعتقلين العرب والفلسطينيين داخل السجون الإسرائيلية، وقد تلقى الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله عدة رسائل من أهالي المعتقلين الفلسطينيين والأردنيين تأمل من حزب الله أن تشمل عملية التبادل التي من المفترض أن تتم هؤلاء المعتقلين، وممَّا جاء في رسالة للمجاهدين العرب في سجون العدو الإسرائيلي: «نحن الأسرى الفلسطينيون والعرب استقبلنا نبأ العملية البطولية التي قام بها مجاهدو حزب الله

---

(١) العهد: ١٣ ت١، ٢٠٠٠.

في مزارع شبعا بكل الفخر والإعتزاز، وقد أثلج صدورنا هذا العمل البطولي، وهذا التمريغ لأنف الاحتلال الغاشم في الوحل... وإنَّنا من سجون الاحتلال نتوجه لأخوتنا الأبطال الذين نفذوا هذه العملية الجهادية الجريئة، وللعقول المخططة والمدبرة بأسمى آيات التقدير والإعجاب.

ونقول بوركت العقول والسواعد والإرادات الصلبة... نتابع بدقة تطورات خطف الجنود الثلاثة، ونتطلع إليكم بأمل كبير في أن تشمل صفقة التبادل في حال حصولها الأسرى اللبنانيين والفلسطينيين والعرب في سجون «إسرائيل» أو على الأقل الفئة التي وصفها الاحتلال بأن أيديها ملطخة بدم الإسرائيليين، لأن من شأن ذلك أن يكون تتويجاً لوحدة الدم ووحدة اللقاء على أرض المواجهة للعدو الصهيوني»[١].

ثلاثة + ١

لم يمضِ أكثر من أسبوع على عملية الأسرى الثلاثة الصهاينة في مزارع شبعا حتى أضافت المقاومة الإسلامية إلى سجلها النوعي عملية جديدة حيث «اخترقت المقاومة الإسلامية (العصب) الذي يحرك الكيان الصهيوني ووجهت ضربة قاسية إلى منظومة الأمن التي تقوم عليها قوة هذا الكيان، وذلك من خلال أسر الضابط الصهيوني العامل في جهاز الموساد «الهانان تانينباوم» على الأرض اللبنانية بعد استدراجه في عملية أمنية منسقة»[٢].

---

(١) العهد: ١٣ ت١، ٢٠٠٠.

(٢) العهد: ٢٠ ت١، ٢٠٠٠.

لقد تركت عملية الأسر الثانية خلال أسبوع إرباكاً كبيراً في الوسط الإسرائيلي الأمني والعسكري والإعلامي والسياسي فالجيش الإسرائيلي لم يسجل أي عملية عسكرية على الحدود اللبنانية، ولم يبلغ عن أية حالة فقد لعسكري أو حتى مدني هناك، ومع ذلك فقد أجرى الجيش الصهيوني عملية تعداد شاملة لعديده للتأكد من عدم حصول هكذا عملية، ولكن وبعد مضي ساعات أخذت الأنظار تتوجه إلى احتمال أن تكون العملية أمنية وحتى في الخارج، وهذا ما تم الإعلان عنه لاحقاً من مصادر العدو الإسرائيلي حيث «أعلنت «وكالة إسرائيل واير» ومن على موقعها على شبكة الانترنت أن الضابط الأسير هو برتبة عقيد احتياط ويدعى «الحنان تنينباوم» وهو رجل أعمال ويعمل لمصلحة جهاز الاستخبارات الإسرائيلية الموساد»[1].

وفي مؤتمر صحفي عقده سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله «كشف عن تفاصيل الفخ الأمني الذي أدى لأسر العقيد الصهيوني، مؤكداً أن عملية الأسر حصلت في لبنان بعد عملية استدراج مثيرة. وإذا أراد العدو أن يحولها إلى معركة على مستوى العالم فنحن جاهزون»[2].

هذه العملية النوعية أكدت على الاستهدافات الثلاثة لعملية أسر الجنود الإسرائيليين الثلاثة، وهي تحرير أسرانا وأرضنا ودعم الانتفاضة في فلسطين، وجعلت الأمل يزداد في قلوب الأسرى وذويهم بقرب الإفراج عنهم، غير أن التطورات السياسية والعسكرية

---

(١) العهد: ٢٠ ت١، ٢٠٠٠.

(٢) العهد: ٢٠ ت١، ٢٠٠٠.

التي تسارعت في فلسطين المحتلة عبر تصعيد الانتفاضة ومجيء أرييل شارون إلى رئاسة الحكومة الصهيونية دفع إلى تباطؤ عملية التفاوض حول مصير الأسرى عبر الوسطاء المتعددين، كما أن تعنت المفاوض الإسرائيلي وتمسكه بعدم إطلاق المزيد من الأسرى الفلسطنيين والعرب في السجون الصهيونية ساهم في تأخير عملية التبادل والتي لم تحصل حتى لحظة طباعة هذا الكتاب، ويسجل هنا الموقف المشرف والإنساني والإسلامي الرائع لأهالي الأسرى اللبنانيين الذين أصروا إلى جنب قيادة حزب الله أن تشمل عملية التبادل العدد المناسب من الأسرى العرب في السجون الصهيونية، وتحملوا من أجل ذلك المزيد من الصبر والتحمل لألم الفراق والبعد عن الأحبة الذين كانوا من الممكن أن يكونوا في أحضانهم لولا الموقف المشرف لقيادة حزب الله وحتى الموقف المحتسب للأسرى اللبنانيين أنفسهم بعدم القبول لأي تبادل لا يشمل عدداً لائقاً من الأسرى العرب. ولقد كشف سماحة الأمين العام مؤخراً عن أن المفاوضات في السابق توصلت إلى أن تطلق «إسرائيل» إضافة إلى الأسرى اللبنانيين حوالي مائتي أسير فلسطيني في سجونها فقط وتقوم هي باختيارهم، رغم أن عدد السجناء الفلسطينيين في تلك الفترة كان يناهز الثمانية آلاف أسير فلسطيني، لذلك تم رفض هذا العرض من قبل قيادة حزب الله، وبقي حزب الله على عهده ووعده لأسرانا وأهلنا جميعاً على الإصرار على الحق حتى الحصول عليه بشكل لائق ومناسب.

وهكذا تكون المقاومة قد أثبتت حضورا في الساحتين اللبنانية والعربية وأكدت على أن بقاءها قوية ضرورة للبنان والعرب جميعاً، الذين بدورهم أكدوا ومن خلال مسيرات التأييد والبيانات والمواقف

المختلفة على «مقدار التعاطف والتأييد والدعم للمقاومة الإسلامية وقائدها السيد حسن نصر الله الذي وصف «بخميني العرب» و«صلاح الدين» و«الإمام» في دلالة واضحة على تبني الأمة العربية والإسلامية خيار الجهاد والمقاومة ضد العدو الإسرائيلي، وعن مدى التعلق بالأراضي والمقدسات»(١).

الانتفاضة كانت حاضرة

يجب الاعتراف بأن الانتفاضة في فلسطين كانت حاضرة في قلب عملية الأسر للجنود الثلاثة إضافة إلى الرابع وهو الضابط المستدرج، وحتى أنها كانت حاضرة في عمليات المقاومة الإسلامية **التالية في مزارع شبعا، فلقد شكلت الانتفاضة مظلة واقية لعمليات المقاومة الإسلامية وتداومها، ومنعت «إسرائيل» من التفكير في** ارتكاب أية حماقة بحق لبنان كردة فعل كانت أكثر من منتظرة لولا تفجر الانتفاضة في الثامن والعشرين من أيلول عام ٢٠٠٠، لأن السؤال الافتراضي الذي يمكن طرحه هو لو أن المقاومة الإسلامية كانت قد قامت بعملياتها في الجنوب اللبناني بعد التحرير سواء تلك التي استهدفت أسر الجنود، أم تلك التي استهدفت لاحقاً المواقع والآليات العسكرية الإسرائيلية في مزارع شبعا، والانتفاضة لم تكن قائمة؟ فهل أنَّ رد الفعل الإسرائيلي كان هو نفس ما حصل؟ أي الموقف العاجز عن فعل أي شيء!؟ بنظرنا الجواب على الأغلب لا... وهذا الجواب لا يعني بأن المقاومة ما كانت لتقوم بهذه العمليات لولا انطلاق الانتفاضة، وكذلك لا يعني أن المقاومة في لبنان كانت ستبدو عاجزة عن الرد على أي عدوان عسكري

---

(١) العهد: ٢٧ ت١، ٢٠٠٠.

إسرائيلي واسع على الأرض اللبنانية، لا هذا ولا ذاك مطلقاً، غير أن ما أردنا الإشارة إليه هو أن تفجر الانتفاضة المباركة في فلسطين كان عاملاً مساعداً جداً في استئناف المقاومة الإسلامية في لبنان لعملها ضد جنود العدو مع قدر أكبر من الأمان من ردة فعل قد تؤدي إلى نتائج غير محسوبة، ونحن نقول هذا الكلام لنؤكد على التفاعل والتكامل في الدور بين المقاومة الإسلامية في لبنان وشقيقتها الانتفاضة في فلسطين، وهذا ما سنشير إليه بوضوح في الفصل القادم إنشاء الله.

عودة الرعب

لم تدم طويلاً فترة الهدوء النفسي الذي عاشه الجندي الإسرائيلي بفراره من الجحيم اللبناني، فبعد أربعة أشهر من انسحاب القوات الإسرائيلية مهزومة من معظم الأراضي اللبنانية والبقاء على احتلال مزارع شبعا اللبنانية، نفذت المقاومة الإسلامية تهديداتها ووجهت ضربة قاسية للعدو الإسرائيلي ظهر يوم ١٦ من شهر تشرين الثاني للعام ٢٠٠٠، وذلك عبر تفجير عبوة ناسفة شديدة القوة بآلية مدرعة إسرائيلية مما أدى إلى تدميرها وقتل أو جرح من كانوا بداخلها. ولقد أصدرت المقاومة الإسلامية لهذه المناسبة بياناً جاء فيه: **بسم الله الرحمن الرحيم**، ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ﴾[1]، صدق الله العلي العظيم، تأكيداً لقرار المقاومة الإسلامية في تحرير ما تبقى من أرض لبنانية محتلة واستمراراً في مواجهة العدو الصهيوني الذي يرتكب المجازر يومياً بحق أهلنا وشعبنا في فلسطين المحتلة، والذي يمعن في اعتداءاته

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩١.

اليومية على لبنان وانتهاكاته المستمرة براً وبحراً وجواً، قامت مجموعة شهداء انتفاضة الأقصى في المقاومة الإسلامية في الساعة الثالثة وعشرين دقيقة من بعد ظهر يوم الخميس ١٦/ ١١/ ٢٠٠٠، باستهداف قافلة صهيونية في منطقة مزارع شبعا وفجرت فيها عبوات ناسفة أصابتها إصابة مباشرة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم»[١].

«لقد استطاعت هذه العملية أن تسدد الرمية الأولى لقوات الاحتلال في مزارع شبعا بعيد عملية الأسرى الثلاثة من جنود العدو، وبكلمة أخرى فهي استطاعت أن تسقط الجدار السياسي والديبلوماسي الذي رسم سقفه العدو أولاً بتحذيراته المتواصلة من أن أي معاودة لنشاط المقاومة في هذه المنطقة ستجعل لبنان يدفع الثمن باهظاً، وكذلك الجدار الذي رفعته الولايات المتحدة الأميركية حيال هذه المسألة، وخاصة من خلال السفير الأميركي في بيروت الذي ظل يحذر من عودة «اللاإستقرار» إلى الجنوب من دون طائل أو من دون أن يتمكن من منع العدو من أن يشرب من هذا الكأس.. وكذلك الأمر بالنسبة إلى السقف الذي كان قد رسمه الأمين العام للأمم المتحدة في تقريره الأخير إلى مجلس الأمن حيال الوضع على الحدود اللبنانية الفلسطينية الذي حمَّل فيه المسؤولية للبنان إزاء ما يجري... بيد أن اللافت في أعقاب هذه العملية هو الموقف الصهيوني نفسه الذي حاول منذ البداية أن يمتص الحدث بالتخفيف من إيقاعاته الأمنية... ويبدو أن العدو اختار مرة أخرى أن يلجأ إلى هذا الأسلوب التخفيفي متناسياً

---

(١) العهد: ٢٤ ت٢، ٢٠٠٠.

تهديداته السابقة لجملة أسباب»[1]، يرتبط معظمها بقوة المقاومة الإسلامية وجهوزيتها للرد على أي عدوان وبالانتفاضة الفلسطينية وإلهاءها «إسرائيل» بأولوية الداخل المشتعل والمتفجر.

ولا بد من الإشارة إلى أن دقة اختيار المقاومة الإسلامية لعملياتها بالتوقيت والإستهدافات والتعاطي السياسي والإعلامي إضافة إلى التعاطف اللبناني والعربي الناتج عن تواصل فعل الانتفاضة في فلسطين، كل ذلك حقق تقدماً ملفتاً في ملف استمرار المقاومة الإسلامية وتجذرها وتحولها إلى مطلب جماهيري ورسمي لبناني وعربي بعد أن كان البعض يشكك بأصل شرعيتها في الاستمرار بعد التحرير.

تواصل العمليات

رغم أن العدو الإسرائيلي قد عزز قواته في مزارع شبعا وزج بقوات النخبة لديه في تلك المنطقة وعلى رأسهم وحدة ايغوز التي حطم سمعتها المقاومون في انصارية، ورغم الاستنفار المتواصل للجيش وأفراده والحذر الشديد من تكرار العمليات في المزارع، فلقد وجهت المقاومة الإسلامية ضربة قاسية جديدة للعدو عبر تفجير عبوة ناسفة شديدة القوة بآلية مدرعة إسرائيلية ما أدى إلى تدميرها ومقتل وجرح طاقمها باعتراف العدو.

هذه العملية الناجحة في الأداء والتوقيت والنتائج، وكونها العملية العسكرية الثانية في المزارع بعد عملية الأسرى الثلاثة، استطاعت أن ترسم عدة معطيات أهمها «تأكيد الخيار العسكري

---

(١) العهد: ٢٤ ت٢، ٢٠٠٠.

كخيار استراتيجي في مواجهة العدو الإسرائيلي لا سيما في إطار استرجاع الحقوق، وهذا التأكيد يستبطن في داخله ـ كما هو واضح ـ تجاوزاً للإطار الديبلوماسي التفاوضي كوسيلة لاسترجاع الحقوق ويستمد هذا المنطق ديناميته وقوته النظرية والعملية معاً من جملة اعتبارات أساسية أبرزها نجاح تجربة المقاومة في تحرير الجنوب اللبناني من دون تقديم أي تنازل ولو كان بسيطاً للعدو الإسرائيلي. هذا النجاح الذي لم يدع مجالاً للشك في أن المنطق الوحيد الذي يفهمه العدو الإسرائيلي هو منطق القوة، وأن الخيار الديبلوماسي ـ التفاوضي لن يكون إلا لمصحلة العدو الإسرائيلي لا سيما في ظل الخلل الفادح في موازين القوة العسكرية والسياسية لمصلحة هذا الكيان. . . والحقيقة إنَّ هذا المنطق يكاد يكون من البديهيات في أيامنا هذه، إلا أن البعض يصر على إدارة الظهر له، والتشكيك فيه لأغراض فئوية وطائفية لا تخفى على أحد، وإن كانت تحاول أن تتوسل حجة لها بالمخاوف من حدوث ردود فعل إسرائيلية انتقامية بحق لبنان. . . ويمكن إدراك مأزومية هذا الخطاب الذي يحاول البعض فرضه على الساحة اللبنانية، هذا الخطاب الذي يبدو شاذاً في توقيته ومناخه ومضمونه السياسي، حيث يبدو أشبه ما يكون بطائر يغرد خارج السرب»[(١)].

لقد باتت المقاومة أكثر رسوخاً في ضمير الشعب اللبناني ومعه أبناء الأمة العربية والإسلامية، وما كان بالأمس أمراً صعباً أصبح اليوم حقيقة ساطعة تشرف كل لبناني وعربي. فالمقاومة أكدت أنها درع لبنان وسياجه وتاج العرب وشرفهم. لقد قلبت العمليات في

---

(١) العهد: ١ ك١، ٢٠٠٠.

مزارع شبعا الطاولة على رأس العدو ومن يقف خلفه، فالإسرائيليون الذين خرجوا من لبنان بذلّ الهزيمة وعار الفرار من أجل أن يخلصوا جنودهم والأمهات من مطاردة الرعب الزاحف من لبنان، وجدوا أنفسهم بعد أشهر قليلة أمام الحائط نفسه إذ «إن قواعد اللعبة لم تتغير، فالقتال مستمر في المنطقة التي حددها حزب الله ساحة قتال منذ الانسحاب من لبنان في العام الماضي، وما زالت المبادرة في أيديهم وهم يعملون على هواهم»[1].

«هذا القول هو لضابط كبير في جيش الاحتلال الصهيوني تعليقاً على إحدى عمليات المقاومة الإسلامية التي استهدفت جيش الاحتلال في مزارع شبعا اللبنانية المحتلة، حيث لا يزال العدو يجد نفسه في موقع المستنزف، وإنَّ المنطقة التي أحاطها بأعلى مستوى من التحصينات والأجهزة الإلكترونية للرصد والمراقبة، حولتها المقاومة إلى ميدان مصغر لعملياتها ونموذج يعيد إلى حسابات العدو سنوات الألم والمرارة، وجنوده لا زالوا في مواقع الرعب والخوف نفسها التي كانوا يهربون منها»[2].

العمليات البطولية للمقاومة الإسلامية في مزارع شبعا والتي بلغت في العام ٢٠٠١ سبع عشرة عملية نجم عنها قتيلان وستة جرحى وتدمير عدة آليات ومواقع، أرخت بثقلها على الكيان الإسرائيلي من جديد خاصة في ظل تزايد ضغط الانتفاضة من الداخل، فالرد الموجع على هذه العمليات قد يورط «إسرائيل» في حرب مع المقاومة هو بغنى عنها في هذه الظروف، فالإسرائيليون باتوا يتعاطون مع الحدود

---

(١) هآرتس: أيار ٢٠٠١.

(٢) الانتقاد: ٢٠٠١/١٢/٢٨.

اللبنانية الفلسطينية المحتلة ـ لا سيما في منطقة مزارع شبعا ـ بحذر شديد «فالجنود يمشون على رؤوس أصابعهم» في عبارة صهيونية كناية عن الحذر الشديد في التعاطي مع ما يسمى بالجبهة الشمالية ـ لا سيما عمليات المقاومة في مزارع شبعا ـ لذلك يمكن القول أن ردود الفعل العسكرية الإسرائيلية على عمليات المقاومة في مزارع شبعا كانت جد موضعية ومحدودة قد لا تصل إلى تلك الردود التي كانت قبل الانسحاب محكومة بتفاهم نيسان الذي يحيد المدنيين في هذا الصراع.

هذا الوضع الإسرائيلي المأزوم الناتج عن بقاء إحتلالهم للمزارع وبالمقابل استمرار المقاومة في تلك الناحية من الجنوب، دفع القيادة الإسرائيلية إلى التفكير الجدي والبحث في الانسحاب من مزارع شبعا، وهذا ما كشفت عنه الإجراءات الميدانية من خلال إنشاء تحصينات دفاعية وطرق حدودية جديدة وسياج شائك على الحدود اللبنانية السورية المحتلة في تلك المنطقة، إضافة إلى إشارات مختلفة، وقد أكد هذا الاحتمال سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله بقوله: «إن فكرة الانسحاب الصهيوني من مزارع شبعا باتت تبحث بشكل جدي لدى قادة الكيان الصهيوني، وإن هذا الأمر يدور حوله نقاش جدي أيضاً داخل أروقة الأمم المتحدة والعواصم الأوروبية.. إن مزارع شبعا ليست وحدها التي لا تزال تحت الاحتلال، فهناك تلال كفرشوبا وبعض أراضي قرى العباسية وميس الجبل وغيرها من القرى... إن المقاومة الإسلامية ستواصل عملياتها الجهادية حتى تحرير آخر شبر من الأراضي المحتلة»[1].

---

(١) الانتقاد: ٧/ ١٢/ ٢٠٠١.

خروقات وتصدي

كما كان متوقعاً فإن الإسرائيليين لم يستطيعوا كبح شهوتهم المنطلقة من الطبيعة العدوانية للكيان في الاعتداء والتطاول على الأجواء والمياه والأراضي اللبنانية بعد انسحابهم المذل، فرغم التحذيرات الدولية «لإسرائيل» من مغبة خرقها للخط الأزرق، ورغم اعتبار لبنان والمقاومة أنَّ ذلك ينافي الانسحاب الكامل من لبنان ويشكل اعتداءً سافراً يستوجب الرد من المقاومة، فقد استأنفت «إسرائيل» إعتداءاتها على الأجواء والمياه الإقليمية اللبنانية فضلاً عن العديد من الخروقات البرية والتي تمثلت بإطلاق النار المتكرر على أفراد لبنانيين وعرباً على السياج الحدودي وإرداء بعضهم قتلى من دون أي ذنب أو حتى مع عدم وجود أي توتر عسكري وفي مناطق بعيدة عن مسرح العمليات في مزارع شبعا.

فقد كان متوقعاً استئناف الإعتداءات الجوية عبر طلعات الاستكشاف والتجسس كسبيل شبه وحيد لاستقاء المعلومات المخابراتية حول ما يجري على الأرض اللبنانية، وذلك بعد أن ضربت المجموعات الأمنية العميلة «لإسرائيل» داخل لبنان والتي كانت تشكل فيما مضى مصدراً هاماً للمعلومات بالنسبة للإسرائيليين، ويذكر أن الطلعات الجوية الصهيونية فوق لبنان توقفت تقريباً بعد التحرير مباشرة، غير أن النقص في المعطيات الإستخبارية على ما يبدو كان السبب الأبرز في إعادة هذه الطلعات بعد فترة قليلة من وقفها، ولقد ورد «عبر الأنترنت التابع لوكالة «إسرائيل واير» أن «هناك عملاً لإعادة بناء وحدات الاستخبارات وتطوير وحدات جديدة لسد النقص الناجم عن وقف الطلعات الجوية والوسائل

الأخرى للحصول على المعلومات، من خلال الحركة في الأجواء اللبنانية»[1].

كما مثل وجود ملايين الألغام الخطرة والتي خلفها الجيش الإسرائيلي خلف انسحابه، قذائف موقوتة واعتداءً متواصلاً من قبل «إسرائيل» على لبنان، وقد طلبت المقاومة عبر الحكومة اللبنانية ووسطاء دوليين تسلم خرائط الألغام الإسرائيلية، وأضافت ذلك كشرط لاعتبار الانسحاب الإسرائيلي تاماً من لبنان، غير أن هذا الشرط لم ينفذ أيضاً، وبقيت تلك الألغام تمثل خطراً كبيراً واعتداءً سافراً ومتواصلاً من قبل العدو الإسرائيلي.

ولقد سجلت المصادر الأمنية والإعلامية في المقاومة الإسلامية ٤٨٠ خرقاً جوياً وبرياً إسرائيلياً في العام الأول بعد التحرير، هذه الخروقات نجم عنها سقوط خمسة عشر شهيداً لبنانياً، أربعة عشر منهم من ضحايا الألغام وثلاثة شهداء فلسطينيين ومئة وعشرة جرحى لبنانيين من بينهم ٨٠ جريحاً هم ضحايا الألغام وأربعة وعشرون جريحاً فلسطينياً وعربياً، فضلاً عن الأضرار في الممتلكات، كما سجل تنفيذ الطائرات الحربية الإسرائيلية والتجسسية المعادية ثلاثمائة وعشرين انتهاكاً للأجواء اللبنانية.

وبعد تمادي «إسرائيل» في انتهاكاتها المتكررة وعدم انصياعها للتنبيهات الدولية الخجولة ولتحذيرات قادة المقاومة، كان الموعد مع المقاومة يوم الثاني عشر من شهر حزيران عام ٢٠٠١ «حيث لم يكن مفاجئاً للمتابعين قيام المقاومة الإسلامية بالتصدي للطائرات

---

(١) العهد: ١٦ حزيران ٢٠٠٠.

الصهيونية التي كانت تخرق الأجواء اللبنانية في الجنوب. فهي ليست المرة الأولى التي تتصدى فيها المقاومة الإسلامية للطائرات المعادية، إلا أنها المرة الأولى بعد دحر العدو من جنوب لبنان في أيار ٢٠٠٠، وهذا شكل مفاجأة للعدو، وأشار إلى تطور جديد في مسار المواجهة مع الاحتلال الصهيوني.

المقاومة الإسلامية أعلنت في بيان أصدرته، أن وحدة الدفاع الجوي قامت بالتصدي لطائرات العدو بعد خرقها الأجواء اللبنانية وتحليقها فوق منطقة بنت جبيل ومحيطها، وبعد نحو أربعين دقيقة عاودت هذه الطائرات خرقها للأجواء اللبنانية فوق زبقين وجوارها فتصدت لها مجدداً وحدة الدفاع الجوي.

مسؤول منطقة الجنوب في حزب الله الشيخ نبيل قاووق أكد في حديث «للإنتقاد» أن المقاومة لا يمكن أن تسمح للعدو بتكريس معادلة جواز الانتهاكات من دون ردود، ولفت إلى أن العدو عمل منذ فترة على زيادة وتيرة الانتهاكات براً وجواً وبحراً محاولاً تكريس معادلة جديدة تعوض عن الفشل والإفلاس العسكري بعد انكشاف هشاشة الأمن الإسرائيلي وعجز جيشه عن تأمين الحماية لاحتلاله مزارع شبعا وفشل كل الضغوط لإيقاف المقاومة.

وقال أنه يسجل في هذا السياق استهداف المدنيين باستمرار واختراق الأجواء اللبنانية وزيادة وتيرة القصف على المناطق المحاذية لمزارع شبعا، مشيراً إلى أن لبنان أعطى الفرصة الكافية للتحرك في الأمم المتحدة والمنظمات الدولية المختلفة لإيقاف انتهاكات العدو، وأكد أن استهداف المدنيين وأي خرق للأجواء اللبنانية وأي قصف للمناطق المحررة هي خطوط حمراء غير

مسموح للعدو تجاوزها، وأن المقاومة ستضع بنفسها حداً لكل تجاوزات العدو، وأي توسيع لمساحة الخروق يعني توسيعاً لمساحة الرد»[١].

ومع مرور الوقت «أصبحت الخروق الصهيونية للحدود والأجواء اللبنانية مسألة شبه عادية، تمر من دون أن يلحظها الكثيرون، ولا سيما في عصر التطورات الكبرى التي يعيشها العالم والمنطقة في هذه المرحلة، إلا أن الحقيقة تقول أن هناك من يرصد هذه الخروق بدقة ويسجلها ويحصيها كي تكون وثيقة رسمية عندما «يحين الحساب»، وفي زمن الصمت الدولي على الخروق الصهيونية والتهاء الأمم المتحدة عن تسجيل خروق الخط الأزرق، يتابع الإعلام الحربي في المقاومة الإسلامية مهمة إحصاء أنفاس العدو ورصد تحركاته بدقة، وفي هذا المجال سجل الإعلام الحربي خلال أسبوع واحد أربعة وثلاثين خرقاً معادياً للسيادة اللبنانية توزعت على الشكل التالي: ثلاثون خرقاً لطائرات العدو الحربية والإستطلاعية والمروحية فوق الأجواء اللبنانية، خرقان لنشاط العدو البري، خرقان لنشاط العدو البحري[٢].

هذه الخروقات المتتالية والمتصاعدة والتي كانت ترصد من قبل الإعلام الحربي للمقاومة الإسلامية وكان يرد على كثيرٍ منها بالأسلحة المضادة للجوّ، لم تردع الإسرائيليين من التمادي في الاعتداءات في ظل صمت دولي أو اعتراض خجول.

المقاومة الإسلامية وهي القوة المعتمدة من الشعب اللبناني

(١) الانتقاد: ٢٠٠١/٦/١٥.
(٢) الانتقاد: ٢٠٠١/٩/٢١.

للدفاع عن الأمن والسيادة والمأمول منها إيجاد أساليب مناسبة للرد وقادرة على إيجاد التوازن، قامت بتوسيع دائرة إطلاقها للقذائف المضادة للطيران، وذلك لمطاولة أجواء شمال فلسطين لا سيما المحاذية للبنان كعمل احترازي وتمهيداً للتعامل مع طلعات الطيران الصهيوني، وكان لهذه التوسعة في الرد أثر طيب خاصة أن إطلاق القذائف المضادة وانفجارها في أجواء المستوطنات الإسرائيلية القريبة من الحدود أحدث هلعاً في صفوف المستوطنين مما شكل ضغطاً على الجيش الإسرائيلي الذي بادر في البداية إلى التخفيف من حجم طلعاته الجوية فوق لبنان.

ويبدو أن العدو المصرّ على إقلاع طائراته لا سيما التجسسية منها فوق لبنان، وجد نفسه خاسراً في معادلة المقاومة الجديدة هذه، فصعَّد من طلعاته الجوية وكثفها على علو منخفض بالتزامن مع كسر حاجز الصوت مما أثار رعباً لدى الأطفال اللبنانيين محاولاً بذلك العودة إلى ما قبل المعادلة الجديدة، وهي إرعاب المستوطنين مقابل الطلعات الجوية فوق لبنان ليقول أن إرعاب المستوطنين يساوي إرعاب اللبنانيين، غير أن التهديدات الشجاعة والجدية التي أطلقها قائد المقاومة سماحة السيد حسن نصر الله بأن المقاومة جادة في البحث عن أساليب ناجحة للرد على هذه الإعتداءات الجديدة إن لم يكفّ العدو عنها، هذه التصريحات والتهديدات على ما يبدو جعلت العدو ينكفىء إلى مواقعه السابقة ويرضى بالوضع القائم.

المقاومة الإسلامية لم تكن المتصدي للخروقات الجوية فقط، بل إنها تصدت للعديد من الخروقات البرية والتي تمثلت باعتداءات على أرواح وأمن المواطنين اللبنانيين والعرب عند السياج

الحدودي، وكان هذا التصدي بوسائل وطرق فهمها العدو الصهيوني تماماً، وهكذا بالنسبة لبعض الاعتداءات الأمنية التي طاولت أفراداً ذات صلة بالمقاومة، فالمقاومة ما كانت لتترك تلك الخروقات بلا ردود مناسبة وكافية لكي تردع العدو وتفهمه أن لبنان لم يعد «مكسر عصى» وليس هو البلد الذي يعتدى عليه من غير أن يكون قادراً على الدفاع عن نفسه، فهو يملك مقاومة من النوع الذي لا يرضى الاستكانة والضيم، مقاومة تحولت إلى قناعة راسخة لدى اللبنانيين، بل صارت تمثل لهم الحاضر والمستقبل والأمل باستمرار العزة والكرامة.

حراسة الثغور

لقد مثل لبنان وخلال عقود طويلة النقطة الضعيفة مقابل وجود الكيان العنصري المعتدي والمحتل لفلسطين، وكانت الحدود اللبنانية الفلسطينية تمثل للإسرائيليين خطأً وهمياً لا اعتبار له، فهي قادرة على اختراقه ـ وقد فعلت ـ عندما تشاء وكيفما تشاء وفي أي وقت ولأتفه الأسباب، هذا الواقع جعل لبنان واللبنانيين بشكل عام والجنوبيين بشكل خاص يعيشون حالة اللاأمن في كل لحظاتهم، فهم في معرض القصف أو الخطف أو أي نوع من أنواع الاعتداء الإسرائيلي، غير أن القضية تبدلت بالكامل بعد التحرير، حيث قامت المقاومة الإسلامية بانتشار واسع على طول الحدود مع العدو وأقامت مراكز رصد ومراقبة ونقاط حراسة، وهي تقوم على مدار الساعة بأعمال المراقبة والدوريات بقصد حماية القرى والبلدات اللبنانية المحررة من أية محاولة اعتداء إسرائيلي، سواء كان عسكرياً أم أمنياً أم عمليات قضم للأراضي أو اختطاف للأفراد وما شاكل ذلك، فكل المواقع العسكرية والأمنية الإسرائيلية وعلى طول

الحدود هي تحت نظر ومراقبة مجاهدي المقاومة وعلى مدار الوقت، ويتم التبليغ عن أية حركة مشبوهة، كما أن كل الطرق والبوابات الحدودية بل والوديان والمسارب التي تصل بين فلسطين ولبنان سواء كانت برية أم مائية أم جوية هي تحت النظر والسيطرة ولا يمكن للعدو إذا ما فكر بأي اعتداء أن ينفذ إلى الجنوب اللبناني من أي من هذه المنافذ.

هذه الحراسة للثغور مضافاً إلى ما مرَّ الحديث عنه من قدرات المقاومة في فرض التوازن الاستراتيجي مع قوات العدو الإسرائيلي وهب للجنوبيين الأمن والأمان الذي افتقدوه خلال عقود من الزمن فالقرى اللبنانية المحاذية لفلسطين اليوم هي أماكن تنعم بالأمن والاطمئنان والسكينة بفضل جهاد أبطال المقاومة الإسلامية، الذين يحرسون الحدود في وجه اعتداءات «إسرائيل» وبفضل القوى الأمنية اللبنانية التي تحمي أمن المواطنين الداخلي في تلك القرى العزيزة.

المقاومة الخيار الاستراتيجي

بالنظر إلى طبيعة الكيان الإسرائيلي العدوانية والتي لا يمكن أن تنفك عن الاعتداء والغدر، وما يشكله هذا الكيان من خطر على لبنان حتى لو أكمل العدو انسحابه منه، فضلاً عن مخاطره على فلسطين وسوريا ومصر والأردن وباقي الأمة العربية والإسلامية، وبالنظر أيضاً إلى الإيديولوجية والفكر والعقيدة التي يحملها حزب الله ومقاومته الإسلامية تجاه الظلم والاعتداء بشكل عام وتجاه «إسرائيل الغدة السرطانية» بشكل خاص، ومع النظر للتجربة الطويلة للصراع العربي الإسرائيلي بما في ذلك محاولات فرض التسوية والتطبيع

المذلين، يمكن القول أن وجود المقاومة الإسلامية في لبنان لم يعد وجوداً مرحلياً أو مؤقتاً يتعلق بجزء أو مرحلة من مراحل الصراع مع هذا العدو، بل أضحى وجوداً استراتيجياً له أهميته التي يُعمل لها حساب من قبل العدو والصديق معاً، وهذه النقطة بحمد الله أصبحت مورداً لتسالم معظم اللبنانيين ـ إن لم نقل جميعهم ـ سوى من شذَّ وغرد خارج السرب ممن لا يحسب له حساب أو قيمة، وقد ساهم في تطور الموقف الشعبي والرسمي اللبناني، بالإضافة لمصداقية المقاومة قبل التحرير وبعده، المواقف الشجاعة والحكيمة للرئيس اللبناني العماد أميل لحود الذي يُشهد له سعة أفقه ورؤيته الشاملة فضلاً عن شجاعته النادرة في الدفاع عن المقاومة والحق الذي تمثله، ومواقف الرئيس لحود أكثر من أن تحصى في هذا المجال المختصر، ويكفي أنه وفي لحظات الضغط الأميركي الشديد على حزب الله والمطالبة بضرورة أن ينكفىء هذا الحزب عن أي دعم للإنتفاضة، وأن يحصر وجوده في القضية اللبنانية، ومن أجل ذلك اتهم حزب الله من قبل أميركا بالإرهاب الدولي وما شاكل، فما كان من الرئيس لحود إلا أن أشاد بحزب الله نافياً كونه حزباً إرهابياً وأن له امتدادات دولية معتبراً أن وجود حزب الله مرتبط بالصراع العربي الإسرائيلي، ولم يقل اللبناني الإسرائيلي ليشمل النشاط الشرعي للحزب كل دعم يبديه الحزب للأخوة الفلسطينيين أو السوريين أو غيرهم من العرب في صراعهم المشروع والمقدس مع العدو.

كما ساهم في ذلك المواقف الشجاعة والحكيمة للرئيس بشار الأسد بعد مواقف أبيه المرحوم حافظ الأسد والذي دعم بمواقفه الثابتة حق وجود المقاومة في لبنان، ليس فقط دفاعاً عن لبنان بل

عن كل الحقوق العربية، ومما جاء في مقابلة لصحيفة الشرق الأوسط مع الرئيس بشار الأسد بعد انتصار لبنان ما يلي:

س: «ها هي المعركة في جنوب لبنان قد انتهت، هل سيتم تجريد حزب الله من سلاحه ويحوّل إلى حزب سياسي؟

ج: حزب الله في طليعة المقاومة وهو حزب سياسي لبناني أيضاً ولديه نواب في البرلمان اللبناني، ومن الطبيعي ممارسة دوره السياسي في هذا الإطار بعد إتمام الانسحاب الكامل، إلا أن ذلك لا يعني رمي السلاح، فالانسحاب حل لمشكلة، مشكلة الاحتلال الإسرائيلي للبنان، دون أن ينفي احتمال وجود خطر دائم على لبنان من قبل «إسرائيل». في ظل عدم الانتقال إلى المراحل الأساسية التالية في الصراع العربي الإسرائيلي وهي العملية السلمية وما تضمنته من مفاوضات والتسوية السلمية وما تشمله من حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين في لبنان وعودتهم إلى ديارهم، ومن ثم السلام العادل والشامل.. قاطعه الصحفي متسائلاً عن طبيعة مهمة حزب الله كما تطرح علانية في الساحة اللبنانية قال: حزب الله ليس ميليشيا وقد أعلنت قيادته أنه لن يكون بديلاً عن الدولة اللبنانية، أما عناصره فبينهم العامل والجامعي والطبيب والمهندس، وهؤلاء سيمارسون مهنهم مثلهم مثل أي لبناني مع إعلان الجهوزية الدائمة لمواجهة أي تهديد واعتداء إسرائيلي على لبنان، ولا بد من التنويه هنا بانضباطية رجال المقاومة ووعيهم الذي بدا جلياً في ساحة القتال وعند اندحار «إسرائيل» أمامهم»[١].

---

(١) الشرق الأوسط: ١٢/٦/٢٠٠٠.

ولتسليط الضوء أكثر على الخيار الاستراتيجي للمقاومة في لبنان بعد التحرير، نختم هذا الفصل بأجزاء من حوار مهم أجرته صحيفة السفير اللبنانية مع قائد المقاومة الإسلامية سماحة السيد حسن نصر الله بعد التحرير:

«منذ البداية كانت الفكرة الرئيسية في مشروع حزب الله هي فكرة مقاومة المشروع الصهيوني الذي كان واحداً من تمثلاته وتجسداته الاحتلال الإسرائيلي المباشر لأرضنا، وإذا زال هذا الاحتلال بشكل كامل فرضاً، فإن المشروع الصهيوني ومخاطره ما زالت قائمة وتفرض على الجميع أن يكون في موقع المقاومة.

منذ الأيام الأولى لنشأة حزب الله ومشروعه طرح في فكره وأدبياته مسألة حشد طاقات كل الأمة في مواجهة المشروع الصهيوني واستنهاض الأمة والسعي من أجل أن يكون الجميع، الحكومات والشعوب والأحزاب والقوى بمعزل عن اتجاهاتها الفكرية والعقائدية وخلافاتها السياسية التفصيلية، أن يكون الجميع في هذا الموقع، في هذا الخندق المواجه للمشروع الصهيوني.

وهذا بالتحديد كان طموحنا أيضاً على المستوى اللبناني، أن يكون جميع اللبنانيين مع المقاومة بل أن يكون جميع اللبنانيين مقاومة، أن يكون الجيش إلى جانب المقاومة وكذلك الدولة...

قلت في البداية أن فكرة ونشأة حزب الله هي مقاومة المشروع الصهيوني في المنطقة، حزب الله ما زال يحتفظ بهذه العقيدة، عندما زارني بعض الصحافيين المصريين بعد التحرير سألني أحدهم: هل إزالة «إسرائيل» من الوجود وتحرير فلسطين والقدس

هو هدف حزب الله؟ كان جوابي هو عقيدة حزب الله أي أقدس من الهدف»[1].

وختاماً لهذا الفصل أقول: إنَّ الانتصار إضافة إلى أنه حرر الأرض واستعاد الإرادة والقرار والمياه والإنسان إلى الوطن، فقد حقق الانتصار نتيجة هامة أيضاً وهو أنه حرر المقاومة من عقدة «المستأجرة»، ومن الجدل السقيم والمؤلم حول بقائها وعدمه وتجريدها من سلاحها أو حلها أو إدغامها في المجتمع، كأنَّ المقاومة مرضعة مستأجرة يُستغنى عنها بانتهاء عملها وقد تجد من يكرمها وقد لا تجد، لقد تخلصت المقاومة من هذه العقدة لتنطلق في الرحاب الفسيح لعقيدتها السياسية والدينية في الدفاع عن الحق والوجود والعزة والكرامة والأرض والإنسان، ولتتحول المقاومة ليس إلى عقيدة عند حزب الله فقط بل إلى عقيدة لدى اللبنانيين والعرب والفلسطينيين والمسلمين، وهذا نصر كبير يضاف إلى نصر المقاومة.

---

(١) السفير: ٢٠٠٠/٦/٢٨.

الفصل الرابع

فلسطين في خطى لبنان

تمهيد

من بيرزيت إلى بيروت

الانتصار في عيون الفلسطينيين

هذا النصر لكم

الانتفاضة تشتعل

نهج المقاومة الإسلامية يتكرر

الصمود الأسطوري

حزب الله لن يترككم

متاهة الطريق الأميركية

بالصبر فلسطين أكثر قرباً

تمهيد

أثناء الفرار الإسرائيلي مِنْ جنوب لبنان عام ٢٠٠٠، كان الأقرب ـ جغرافياً ونفسياً ـ لهذا الحدث التاريخي الذي يحصل والأشد توقاً لمتابعة نتائجه ودلالاته هم أبناء الشعب الفلسطيني المتضطهد والمظلوم لا سيما فلسطينيو الداخل ـ كما يسمون ـ وهم الذين واكبوا فعل المقاومة في لبنان بعقولهم والقلوب، بل وتفاعلوا مع هذه المقاومة كما لم يتفاعل معها شعب عربي آخر، ولا زالت جامعة بيرزيت تشهد على ما اختزنته تلك القلوب التواقة لمحاكاة الفعل اللبناني المقاوم، من نصرة عظيمة تجلت بتصديهم لذلك المسؤول الفرنسي الوقح الذي حاول أن يمس حزب الله القدوة والمثال.

وشاءت الأقدار الإلٰهية أن تهب لبنان المقاوم نصراً عزيزاً يُحرر الأرض مع الكرامة من غير مفاوضات ومن دون أن يُعطي العدو أية مكتسبات، وشاءت الأقدار أيضاً بأن يكون توقيت التحرير على أعتاب مفاوضات مضنية بين سلطة أوسلو والعدو الإسرائيلي لا تنتج غير مزيد من اليقين بأن هذا العدو لا يفهم إلاَّ لغة القوة ولا يمكن أن يتخلى عن بعض الحق إلاَّ بالجهاد والمقاومة، وكانت المقارنة واضحة وسهلة وفي زمن متقارب بين شعب حصل على

أكثر حقوقه مع العزة والكرامة بفضل المقاومة والصبر عليها، وبين سلطة تفاوض باسم شعب بطل لم تحصل على أدنى الحقوق المعقولة عبر مفاوضات باتت تتطلب منها أن تقدم كل شيء وأهم ما فيه الاعتراف بحق العدو بالوجود القوي، وتخليها عن أدنى حقوقها الوطنية والسياسية والسيادية.

كان لهذا التزامن بين الحدثين فعل المعجزة في عقول وقلوب أبناء الشعب الفلسطيني الغيور، الذي شارك اللبنانيين فرحتهم بانتصار لا يمكن إلاَّ أن يكون للجميع، وانطلق ـ عفوياً ـ شعار «اليوم لبنان وغداً فلسطين» ليرتسم على كل لسان ولينتشر عبر كل وسيلة إعلام مكتوبة ومسموعة ومرئية في هذا العالم.

في هذه اللحظة فهم الجميع في لبنان وفلسطين والعالم العربي، وحتى الإسرائيليون أنفسهم فهموا أنَّ هزيمتهم في لبنان باتت تؤسس حتماً لتحول كبير بدأت معالمه تتضح في داخل فلسطين. تحوّل قد يطيح بالمفاوضات الجارية وحتى بأوسلو عينها وقد يعيد عقارب الساعة إلى زمن الانتفاضة الأولى والتي أقضَّت مضاجع الإسرائيليين لفترة من الزمن بل ودفعتهم للتفكير الجدي وأسيادهم بمشروع التسوية في مدريد وملحقاته؛ غير أنَّ أحداً على ما يبدو لم يكن ليعلم بأنَّ هذه التحولات ستحصل بالسرعة التي حصلت فيها، وأن تتدهور المفاوضات إلى الهاوية لتنطلق الانتفاضة الثانية بأسرع من أي تصور.

لقد جاءت انتفاضة ٢٨ أيلول ٢٠٠٠ الفلسطينية بعد انتصار ٢٥ أيار ٢٠٠٠ اللبناني، وبفاصل أشهر معدودة من العام ألفين نفسه، لتشكل الدليل القاطع على صحة وسلامة خيار المقاومة المنتصرة في

لبنان، وعلى أنَّ هذا الخيار يملك صلاحية الانتشار إلى فلسطين حيث التشابه والتطابق في القضايا والمخاطر والمصير والهدف، فالعدو هو هو الذي انهزم في لبنان، والمقاوم هو صُنو المقاوم الذي قاتل واستشهد وانتصر في لبنان، والزمن هو الزمن، والقضية هي القضية بل هي هنا أصل القضية، فلسطين كل فلسطين، ورمز القضية: القدس كل القدس.

هذا الفصل من الكتاب يسلط الضوء على انتفاضة الأقصى المباركة، والتي كانت نتيجة مباركة وطيبة لجهاد المقاومة الإسلامية في لبنان وانتصارها الإلهي العظيم.

من بيرزيت إلى بيروت

لم يكن الانتصار اللبناني الكبير في أيار ٢٠٠٠ بانعكاساته ونتائجه الكثيرة والكبيرة في المنطقة والعالم ولا سيما في فلسطين المحتلة، مجرد حدث فجائي أو عفوي، بل كان الحدث الذي استولد عظمته ونتائجه عن طريق النمو الطبيعي للتجربة في سياقها المحلي، وتفاعلها الإقليمي والدولي، عبر ما يقرب من عقدين من عمر المقاومة الإسلامية، فالانتصار التاريخي في أيار ما كان له أن يولد انتفاضة للشعب الفلسطيني البطل لو كان حدثاً مقطوع الصلة بسنوات الجهاد الطويل لأبطال حزب الله والمقاومة الإسلامية، وتفاعل هذا الجهاد في قلوب الشعب الفلسطيني لا سيما في الداخل يوماً بيوم بل ساعة بساعة.

ما حصل في جامعة بيرزيت في الضفة الغربية المحتلة قبل أشهر قليلة من الانتصار كان الدليل الواضح على هذا التفاعل وعلى مدى ما كان يكنه الشعب الفلسطيني من احترام وتقدير وإعجاب بتجربة المقاومة في لبنان عبر سنواتها الطويلة.

فلم يطق الشباب الفلسطيني الواعي في جامعة بيرزيت أن يستمع إلى رئيس حكومة فرنسا ليونيل جوسبان وهو يوجه الإهانة إلى حزب الله ومقاومته ويتهمها بالإرهاب، فما كان منهم إلاَّ أن

رشقوه بالحجارة، وفجروا بذلك موجة احتجاجات في أرجاء فلسطين ولبنان والعالم العربي ضد تلك التصريحات الجائرة وعبروا بذلك عن مدى تعاطفهم وقناعتهم بالمقاومة في لبنان، وضمناً هم كانوا يعبرون عن تطلعهم إلى مقاومة مشابهة في فلسطين المحتلة.

لقد كانت الشعارات التي هتف بها متظاهرو بيرزيت مليئة بالدلالات والعبر، فهي تؤكد على وحدة المسار والمصير والهدف بين لبنان وفلسطين. فالشعبان هما شعب واحد والشعب الواحد المتحد والقوي لا يمكن أن يموت «من بيرزيت لبيروت شعب واحد لا يموت». و«حزب الله يا عيوني دمر كريات شمونة» دعوة لحزب الله والمقاومة اللبنانية للمساعدة في القضاء على الكيان الصهيوني وتدميره حيث تعتبر كريات شمونة واحدة من مئات المستوطنات التي تجثم على الجسد الفلسطيني المثخن بالجراح.

لقد كانت حادثة بيرزيت نداءً للعالم باسم العرب والمسلمين وبلسانٍ فلسطيني عمَّا تختزنه الذاكرة العربية من الآلام بسبب الاعتداءات الإسرائيلية المتمادية على أمتنا، وصرخة دفاع عن مقاومة كانت تمثل الأمل الباقي في عتمة الليل الطويل للأمة، كل الأمة، لقد كانت انتفاضة الطلاب في بيرزيت التعبير العفوي والشجاع عن المدى الذي وصلت إليه العلاقة بحزب الله ومقاومته ومستوى الارتباط الذي ما عاد لينفك بعد أن تعمد بدم الشهداء الذين سقطوا في طريق تحرير فلسطين وبعد أن صار حزب الله ملاكاً ومقدساً وحلماً يحتل ضمير الشعب الفلسطيني ولا يفارقه ليل نهار.

ربما فاجأ هؤلاء الفتية في بيرزيت الجميع من الإسرائيليين إلى

السلطة الفلسطينية مروراً بالفرنسيين أنفسهم، وربَّما جعلوهم يتوجسون شراً ويبحثون عن الأسباب التي دفعت هؤلاء الفتية إلى الإقدام على ما فعلوا. . . وحسناً فعل الكاتب في صحيفة هآرتس الصهيونية الذي وفّر على هؤلاء جميعاً البحث عن حقيقة الأسباب الكامنة خلف هذا التصرف الاحتجاج، وهذا بعض ما جاء في مقالته: «فاجأت عاصفة الخواطر التي عمَّت الشارع الفلسطيني في أعقاب تصريحات رئيس حكومة فرنسا ليونيل جوسبان عن حزب الله، **القيادة الفلسطينية لأنَّها لا تتوقع مثل هذا الاحتجاج، فماذا فعل جوسبان الذي استحق عقوبة الرجم بالحجارة في بيرزيت والذي سبب حصول هيجان** وتظاهرات صاخبة في جميع جامعات الضفة الغربية.

إنَّ الخطأ الذي وقع فيه جوسبان ومضيفوه الفلسطينيون كان عدم تقديرهم الصحيح لمدى التعاطف والتأييد اللذين يحظى بهما حزب الله في العالم العربي عموماً ولدى الفلسطينيين خصوصاً، فالجملتان اللتان عرَّف بهما جوسبان حزب الله كإرهابي تبين أنَّهما ومن خلال إلقاء نظرة إلى الوراء مسَّ بالقيم المقدَّسة.

إنَّ الاحترام الذي يوليه الفلسطينيون لأعضاء حزب الله يظهر أنَّهم اليوم هم الوحيدون في العالم العربي الذين يتحدون «إسرائيل» ففي مقابل عالم عربي مهان، وعلى الرغم من الإذعان لأميركا، وفي المقابل سلطة فلسطينية عاجزة، فإنَّ المقاتلين في جنوب لبنان هم رمز الكرامة العربية، فهم قد أظهروا لكل العالم أنَّه عندما يكون هناك استعداد للتضحية والعزم والشجاعة والإيمان، يمكن إيجاد ردّ على كل الإخفاقات.

وهذا الأسبوع وصف مدير مدرسة متوسطة في رام الله خلال

محادثة خاصة، كيف يتكلم تلامذته عن مقاتلي حزب الله كما يتكلمون عن الملائكة، فبضع عشرات من المسلمين المؤمنين حولوا الجيش الإسرائيلي إلى أضحوكة وقاموا برفع راية الجهاد وهزموا الجيش الأقوى في الشرق الأوسط الذي يولول جنوده ويطلبون الهروب؛ وفي نظر الشارع الفلسطيني فإنَّ عناصر حزب الله يحافظون على مستوى أخلاقي عالٍ وعلى طهارة السلاح... أمَّا أعضاء البرلمان الفلسطيني فقد اتخذوا قراراً رفضوا فيه أقوال جوسبان، واعتبروا المقاومة اللبنانية للاحتلال عملاً مشروعاً.

كما أنَّ المتحدثين باسم حماس والمعارضة اليسارية الفلسطينية تحدثوا بلغة أكثر وضوحاً، حيث كتبوا في العريضة التي نشروها قبل أسبوعين: «إنَّنا نقول إنَّ طريق فلسطين وطريق تحرير لبنان والجولان هي طريق حزب الله، وطريق المقاومة».

من خلال دراسة الوضع في ضوء ما حدث يبدو أنَّه كان على عرفات ورجاله أن يعرفوا مدى قدر هيبة حزب الله وكرامته في أوساط الفلسطينيين بسبب نجاحاته الأخيرة ضد «إسرائيل»[(١)].

ما كان لبيرزيت أن تنتفض في وجه جوسبان، كما أنَّه ما كان للانتفاضة الثانية أن تنفجر في فلسطين لو أنَّ الخروج للجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان كان خروجاً «عادياً» وفي ظل الصفقات والاتفاقات والتطبيع.

ويمكن القول أيضاً أنَّه ما كان كل ذلك ليحدث أيضاً لو أنَّ المقاومة في لبنان كانت منقطعة الصلة عن القضية المركزية في

---

(١) داني روبنشتاين، هآرتس ٢/ ٣/ ٢٠٠٠.

فلسطين، فلماذا وكيف يمكن للشعب الفلسطيني في الداخل وهو الواعي والغيور أن لا يهفو قلبه لمقاومين لبنانيين حرروا كل شبر من أرضهم الجنوبية وهم يصرخون بشعار «حرباً حرباً حتى النصر زحفاً زحفاً نحو القدس»[1]؟

الانتصار في عيون الفلسطينيين

«فاجأ التعبير الفلسطيني في الداخل عن الابتهاج بالنصر الذي حققته المقاومة الإسلامية على العدو الصهيوني ودحره عن لبنان السياسيين والمراقبين، بعدما كان البعض منهم يعتقد أنَّه تم تدجين الشعب الفلسطيني وترويضه في عملية التسوية... وكانت المفاجأة أكثر في ما أظهره الفلسطينيون في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، والذين يسمون عرب «إسرائيل»، ويحملون الجنسية الإسرائيلية ويعتبرون من مواطنيها، من احتفال بارز على طريقتهم بهذا الانتصار الأول في عالم العرب والقضية الفلسطينية،... فكان أن تبين في غمرة الفرح بانتصار حزب الله أنَّ قيم وثقافة فلسطينيي ١٩٤٨ لا تزال هي هي... فاستعادت الصحف العربية الصادرة باسمهم كل الأدبيات والمصطلحات التي كان يعتقد أنَّ الزمن قد طواها مثل العدو الإسرائيلي والصهيوني والصهاينة، وكان حزب الله حاضراً في العناوين الرئيسية لهذه الصحف... مثل «اليوم لبنان وغداً فلسطين»، و«ينهي حزب الله عصر الانتصارات الإسرائيلية على العرب» و«عقبالك يا فلسطين»، كما امتلأت المقالات والموضوعات الداخلية بالعناوين الجياشة والمشاعر والحنين إلى تجربة مماثلة تعيد فلسطين إلى أهلها...

(١) شعار تردد بكثرة على ألسنة المقاومين وفي الاحتفالات الشعبية للمقاومة الإسلامية.

وقد كانت غزة مسرحاً للتعبير عن الفرح العارم، فخرج المواطنون إلى الشوارع من كل الفصائل الفلسطينية، ووزعوا الحلوى ابتهاجاً بالهزيمة الإسرائيلية على يد المقاومة الإسلامية، وذلك في الساعات الأولى بعد إنهاء الانسحاب أي يوم الأربعاء ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٠، كما تناقلت وكالات الأنباء العالمية أخبار وصور الفلسطينيين في غزة ونابلس ورام الله والخليل حيث سقط جريحان في اشتباك مع الجنود الصهاينة الذين أذهلهم رؤية أعلام حزب الله الصفراء ترفرف في وجوههم إلى جانب العلمين الفلسطيني واللبناني، حيث رفعت تلك الأعلام الثلاثة معاً في كل الاحتفالات التي شهدتها مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة إلى جانب لافتات كتب عليها: «شمس الحرية تشرق اليوم على لبنان وغداً على فلسطين» و«تحية إعزاز من فلسطين الشهداء إلى لبنان الصمود»، كما كانت أصوات المتظاهرين تعلو بهتافات التأييد لحزب الله ودعوة السلطة الفلسطينية إلى إلغاء الاتفاقيات والشروع في المقاومة اقتداءً بالنموذج اللبناني لتحرير الأرض واستعادتها من الصهاينة. وكان الشيخ أحمد ياسين على كرسيه يتقدم مسيرة غزة وتهتف الحشود وراءه، «يا يهود يا يهود... حزب الله على الحدود».

الفصائل الفلسطينية بمختلف اتجاهاتها السياسية والعقائدية رحبت وأشادت بهذا النصر، ودعت حركتا حماس والجهاد الإسلامي الشعب الفلسطيني إلى الاقتداء بالمقاومة الإسلامية حيث «انتصارات أهلنا الأبطال في لبنان تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك انَّ الحقوق تنتزع انتزاعاً بالجهاد ولا توهب ولا تستجدى استجداءً»، وفي رسالته إلى الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله اعتبر زعيم حركة حماس ومؤسسها الشيخ أحمد ياسين «ان

النصر المبين هو انتصار للإسلام والمسلمين في فلسطين وفي كل مكان من أرض الله وتمهيد لانتصار المقاومة على أرض فلسطين وتحرير المسجد الأقصى وإعادة الشعب الفلسطيني المشتت إلى أرضه ودياره». . . وحتى ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينية سارع إلى التهنئة «أوجه لهم التحية والإعجاب وإن شاء الله سوياً ومعاً حتى القدس»[١].

«أمين عام حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الدكتور رمضان عبد الله اعتبر أنَّ الهزيمة الساحقة التي مُني بها العدو الصهيوني على يد المقاومة الإسلامية لحزب الله قد وضعت حداً لفجور القوة الإسرائيلية في المنطقة، كما أسست لبداية أفول الحقبة الصهيونية الأميركية في المنطقة. . . كما أنَّ هذا النصر ليس نصراً للبنان وشعبه فقط وإنَّما هو نصر لفلسطين ولكل العرب والمسلمين. . . بالتأكيد سيكون لهذا النصر عظيم الأثر على معنويات شعبنا الفلسطيني وروحيته وإمكاناته الجهادية داخل فلسطين وخارجها.

الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة ـ الدكتور طلال ناجي أكد أنَّه لا يمكن لهذا الانتصار إلاَّ أن ينعكس بصورة إيجابية على الوضع في فلسطين المحتلة، وسيشكل رافعة جديدة معنوية ومادية لدفع الجهاد الوطني الفلسطيني نحو آفاق جديدة من المقاومة والانتفاضة.

رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل قال: ما أعظم النصر! وما أحلى طعمه! فكيف إذا جاء على عدو متغطرس أذاق الأمة هزائم عديدة، ففي مقام النصر العظيم نستحضر عظمة

---

(١) العهد: ٢ حزيران ٢٠٠٠.

الخالق سبحانه وتعالى، ودلالة النصر العظيم في جنوب لبنان انَّ المقاومة وحدها هي التي تجبر العدو على التراجع، وبالتالي هي خيار أمتنا لاسترداد الحقوق والأرض والمقدسات وما دون ذلك من خيارات التفاوض والاستجداء، فهو الذل والمهانة والسراب.

فشعبنا الفلسطيني المجاهد الذي قاوم الاحتلال منذ فجر هذا القرن، يدرك هذه الحقيقة تماماً، ويسير على هداها، وسوف تزيد تجربة النصر في لبنان من عزيمته وإصراره على خيار المقاومة»[١].

«وبعد مرور عام على تحرير الجنوب اللبناني من دنس الاحتلال الصهيوني لا يزال مشهد الاحتفال بالنصر الذي حققته المقاومة الإسلامية ماثلاً في ذاكرة آلاف الفلسطينيين وهو ما يشير إلى حجم الارتباط العميق بين المقاومة الإسلامية بقيادة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله وجماهير الشعب الفلسطيني الذي تجمع آلاف منهم وقتها في ميدان فلسطين يحتفلون بالنصر، وخرج المئات من أعضاء حماس والجهاد الإسلامي وحركة الشبيبة الفتحاوية يوزعون الحلوى احتفالاً بالنصر. وبعد عام على تحقيقه ـ ومع دخول الانتفاضة مراحل جديدة ـ لا يزال الفلسطينيون يعبرون عن مشاعر الاعتزاز والفخر بهزيمة الجيش الذي يذيق المواطنين الفلسطينيين ألواناً من العذاب».

جريدة «الانتقاد» طافت في شوارع غزة والتقت قادة العمل السياسي والمواطنين ورصدت آثار النصر في فلسطين...

«الشيخ أحمد ياسين الزعيم الروحي لحركة حماس ومؤسسها

(١) العهد: ٣ حزيران ٢٠٠٠.

قال: إنَّ حزب الله تمكن من تغيير معادلة الصراع في المنطقة وأثبت عبر مواقفه الجهادية أنَّ فلسطين ليست للفلسطينيين فقط وأن العرب والمسلمين مسؤولون عن تحريرها... إنَّ درس الانتصار في جنوب لبنان يؤكد أنَّ إمكانية هزيمة هذا العدو واردة، وأنَّه كما هزم في جنوب لبنان فيمكن أن يهزم في فلسطين.

الدكتور محمد الهندي أحد قادة الجهاد الإسلامي في فلسطين قال: إنَّ التجربة اللبنانية تركت آثاراً كبيرة على انتفاضة الأقصى وهي من أسباب صمودها بل من أسباب تفجرها... إنَّ الانتصار شكل حافزاً قوياً ودعماً معنوياً هائلاً لانتفاضة الأقصى واستمرارها بل أصبح نموذجاً وقدوة، وهذا ما نستطيع أن نؤكده من خلال حمل أبناء الجهاد الإسلامي لرايات حزب الله في كل المناسبات حتى بات اسم حزب الله يتردد في كل بيت فلسطيني وباتت كلمات السيد نصر الله تتردد على ألسنة فتية وشباب قطاع غزة وفلسطين، وهي تبعث الأمل في نفوسنا، وبات الجميع يحفظ عبارة السيد: بإمكانكم في الشدائد أن تراهنوا علينا وكفىٰ.

أحمد حلس أمين سر حركة فتح في قطاع غزة قال: إنَّ انتصار لبنان هو انتصار فلسطين، وانَّ تحرير جنوب لبنان هو مقدمة لتحرير فلسطين.

إنَّ التجربة اللبنانية بقيادة حزب الله أثبتت أنَّ الاحتلال لا يدوم، وأنَّه بالتصميم والمقاومة يزول الاحتلال المتغطرس عن أرضنا المحتلة، وأنَّ انتصار المقاومة في الجنوب أدخل الفرحة إلى قلوبنا وأعطانا الأمل بقرب الانتصار على هذا الاحتلال الذي يجثم على صدورنا.

واعتبر صالح زيدان عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية أنَّ انتصار المقاومة اللبنانية على الاحتلال الصهيوني هو انتصار للشعب الفلسطيني ولشلال الدم الموحد بين الشعبين اللبناني والفلسطيني ولقضية التحرير في منطقتنا ودفعة قوية لمسيرة شعبنا الفلسطيني نحو التحرر والخلاص.

أبو بلال زنون مسؤول لجان المقاومة الشعبية في قطاع غزة قال: إنَّه بلا شك هناك تأثير كبير للنصر الذي تحقق على يد حزب الله في لبنان حيث أدَّى النصر إلى حدوث تغيير نفسي لدى أبناء الشعب الفلسطيني بإمكانه تحقيق النصر على الجيش الذي لا يقهر»[١].

ويبقى أن أشير إلى حركة الزحف لأبناء الشعب الفلسطيني في فلسطين المحتلة ولبنان باتجاه الشريط الحدودي الشائك بين لبنان وفلسطين في الأيام التي تلت التحرير مباشرة، فقد كانت ترتسم هناك لوحة عاطفية تعبر عن الحنين والشوق إلى اللقاء والعودة إلى الأرض مهما طال الفراق والحرمان والتهجير وزمن الشتات، لقد أكد فلسطينيو الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ أنَّهم لا يزالون يحملون في قلوبهم كامل الحنين لفلسطين والعروبة والإسلام، حيث عبروا عن ذلك كله عبر الشريط الشائك وتحت نظر الجنود المهزومين لتقرأ عيونهم في انتصار لبنان أفق النصر الآتي من فجر فلسطين وربى القدس.

رعب لبنان أولاً

الابتهاج والفرحة التي سادت الشارع الفلسطيني لا سيما بين

---

(١) الانتقاد: ٢٥/٥/٢٠٠١.

فلسطينيي ١٩٤٨ فاجأت المراقبين الإسرائيليين وجعلتهم يقفون مشدوهين أمام ما يحصل ويتوجسون شراً، فطرح الانسحاب من لبنان كان يحمل معه للإسرائيليين قلقاً من احتمال انتقال النموذج اللبناني إلى فلسطين، فلماذا لا تكون فلسطين لبناناً آخراً؟ غير أنَّ هذا القلق كان مكبوتاً بسبب الألم الشديد الناشىء من صراخ وولولة الجنود الإسرائيليين المقتولين في جنوب لبنان ومعهم أمهاتهم ومن ورائهم معظم المجتمع الإسرائيلي هذا من جهة، وبسبب ضعف احتمال أن يتأثر الفلسطينيون لا سيما «الإسرائيليون العرب» بالانتصار اللبناني بهذه السرعة وبالدرجة التي شاهدها العالم، ولكن ما حصل فقد حصل وما كان احتمالاً صار حقيقة.

الأوساط السياسية والعسكرية والصحفية الإسرائيلية والتي ذهلت من درجة التعاطف والتفاعل لدى الشعب الفلسطيني مع انتصار حزب الله عبرت عن هواجسها عبر مجموعة مقالات وكتابات ومواقف نستعرض شيئاً منها في هذا المقطع من الفصل.

تحت عنوان «أعلام حزب الله الصفراء ترفرف فوق الضفة» كتب داني روبنشتاين في هآرتس مقالاً جاء فيه: «منذ فترة لم تسد مثل هذه الأجواء الحافلة بمشاعر الرضى والسرور في صفوف الجمهور الفلسطيني في الضفة وغزة. انتصار المقاومة اللبنانية الرائع كما أسمته وسائل الإعلام الفلسطينية، مقابل الانسحاب المخزي الذي نفذه جيش الدفاع الإسرائيلي»...

ولكن في الوقت الذي كان فيه الفرح في الشارع الفلسطيني حقيقياً، لمس في أوساط القيادة عند عرفات وأتباعه الارتباك الكبير في ظل المشاهد الآتية من لبنان، والسبب مفهوم، الجميع قارنوا بين

المقاومة التي خاضها حزب الله ونتائجها الناجحة وبين الإنجازات البائسة التي حققتها الدبلوماسية الفلسطينية، ليس هناك متحدث رسمي فلسطيني تقريباً لم يصرح في الأيام الأخيرة بأنَّ العبرة المستخلصة من لبنان هي أنَّ كل احتلال يجب أن ينتهي.

الطيب عبد الرحيم أمين عام الرئاسة الفلسطينية دعا أيهود باراك لاتخاذ قرار شجاع بالانسحاب من كل الأراضي الفلسطينية أيضاً. وكان هناك محللون من الصحف العربية كتبوا مشاركين الإسرائيليين عزاءهم: «أليس من الخسارة سقوط ألف قتيل وتبديد هذا الجهد العسكري الهائل خلال سنوات، من الطائرات والأسلحة الحديثة وخسارة مئات الملايين التي أهدرت هباءً لتحصدوا في آخر المطاف مثل هذا الخزي والعار؟...

ولكن الأصوات في الشارع الفلسطيني كانت ذات طابع مغاير، في كل زاوية تقريباً قال الفلسطينيون أنَّ عرفات قد فشل، اللبنانيون قاتلوا وحصلوا على أرضهم بكرامة وشرف، أمَّا عرفات فقد أجرى مفاوضات مخزية وفشل، وقال أحد أعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني في محادثة خاصة أنَّ الشك ساوره للمرة الأولى بأنَّ طريق أوسلو كان درباً خاطئاً، اللبنانيون اختاروا طريق الكفاح وحصلوا على كل شيء، أمَّا عرفات فقد سار في طريق اللاطريق والآن يتبين أنَّه أخطأ في مساره هذا»(١).

وكذلك فقد كتب روبنشتاين تحت عنوان «الإسلاميون الفلسطينيون يتطلعون إلى المقاومة اللبنانية» في جريدة هآرتس، وممَّا

---

(١) هآرتس: ٢٩/٥/٢٠٠٠.

جاء: «تأتي الأحداث الأخيرة في جنوب لبنان لتنفتح الروح من جديد عند الإسلاميين الفلسطينيين، هذه الأحداث أعطت لنشطاء حماس والجهاد فرصة للتوضيح لجمهورهم عن مزايا ومكاسب حركات المقاومة المماثلة لحزب الله بالمقارنة مع الوسائل الأخرى المتبعة، «قوة الإرادة والقرار الحازم قادران على التغلب على القوة العسكرية». هذا ما جاء في صحيفة «الرسالة» الناطقة بلسان حزب الخلاص الإسلامي في غزة، والذي يرتبط بالسلطة الفلسطينية ويعبر عن مواقف حماس رغم ذلك.

التفوق العسكري الإسرائيلي واضح للإسلاميين، والطريق الوحيد للتغلب عليه حسب اعتقادهم هو استخدام الوسائل التي لجأ إليها حزب الله في لبنان»[١].

وممَّا جاء في مقالة لأمير غيلات في صحيفة معاريف الصهيونية ما يلي: «في أحد جانبي الحدود الشمالية وقف في نهاية الأسبوع رجال حزب الله فرحين مبتهجين بانسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان؛ في حين وقف في الجانب الآخر العشرات من فلسطينيي عام ١٩٤٨ الذين جاؤوا لتقديم التهاني لهم على هذا الانتصار، ولولا وجود جدار حدودي يفصل بينهما لكانوا قد عانقوا بعضهم بعضاً.

على ضوء سلوك فلسطينيي ٤٨ في الآونة الأخيرة، والذي وصل إلى ذروته في المشاهد التي أعقبت الانسحاب، طرح سؤال واحد صعب وهو مع أي جانب يقفون حقاً؟ ثمة ريح سيئة تنشب داخل الجمهور العربي الإسرائيلي، فهم يعارضون بشدة إدخال

---

(١) هآرتس: ٣١/٥/٢٠٠٠.

أفراد جيش لبنان الجنوبي إلى قراهم ويتظاهرون دعماً لحزب الله الذي يعتبر أشد أعداء الدولة التي يعيشون فيها: «إسرائيل».

يقول يوسي بيليد قائد المنطقة الشمالية سابقاً والمسؤول عن عملية استيعاب أفراد جيش لبنان الجنوبي: «إنَّ هذه بصقة في الوجه».

في حين يقول النائب جدعون عيزرا (ليكود) ونائب رئيس الشاباك سابقاً: «لا أعجب لما يحدث اليوم وسط فلسطينيي ٤٨، لقد كانوا أول من هتف بوجوب الانسحاب من لبنان، واليوم ليسوا مستعدين لدفع الثمن، هذه مفارقة».

وفي مقالة تحت عنوان: «الهرب من الجنوب» كتب أهارون مفاد في يديعوت أحرنوت، وجاء ما يلي: «إنَّ هذه المشاهد لن تمحى من ذاكرتنا وذاكرة العالم وتنطوي على آثار بعيدة المدى، وهي تشكل علامة تاريخية مرة سنبدأ بعدها بعدّ السنين من جديد، وإذا شبهنا هذا الزمن بعشرات الآلاف من الأعلام الصفراء لحزب الله فإنَّ الأجدر أن نسميه الزمن الأصفر، ذلك لأنَّه من الآن فصاعداً وأمام أنفسنا وأمام ملايين العرب في الدول المحيطة وأمام الفلسطينيين في المناطق وأمام عرب «إسرائيل»، لم تعد دولة «إسرائيل» مثلما يجب أن تكون... لكنها ستعتبر الدولة التي تسمح للآخرين بعضّها وقطع أوصال من جسمها، وإذا لم يكن ذلك بهجوم عسكري فإنَّه عن طريق حرب العصابات والانتفاضة، وحزب الله هو المثال الأبرز للبطولة وعلى طريقته إمكانية أن يحقق العرب الانتصارات»[1].

---

(١) يديعوت أحرنوت: ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٠.

«في واشنطن عبَّر خبراء أميركيون عن قلقهم من أن يؤدي انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان الذي اعتبر انتصاراً للمقاومة العربية، إلى إضعاف السلطة الفلسطينية بزعامة ياسر عرفات، وإلى انعكاسات على عملية السلام بين سوريا و«إسرائيل»، وقال البروفسور مايكل ايزنستان من معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى أنَّ عملية السلام شهدت منعطفاً خطيراً مع هذا الانسحاب، ولا أحد يستطيع التكهن بما يمكن أن يحصل بعده... والسؤال المطروح يتعلق باحتمال الاقتداء بهذه السابقة في المنطقة.

ورأى الخبير في شؤون الإرهاب في معهد واشنطن رويفن باز أنَّ عرفات يتخوف من حركة في الأراضي الفلسطينية يمكن أن تخرج عن سيطرته وتضعف سلطته، وأضاف ان الضغط وبقوة السلاح لتسوية بعض الملفات الشائكة في مفاوضات الوضع النهائي للأراضي الفلسطينية والقدس أصبح يشكل خياراً مقبولاً لدى بعض شرائح الرأي العام الفلسطيني.

أمَّا ماري جين ديب من المعهد نفسه فقد قالت: إنَّه من الممكن أن يدفع هذا الانسحاب الحكومة الإسرائيلية برئاسة باراك وعرفات إلى التقدم بسرعة أكبر في مفاوضاتها، وأوضحت أنَّ انتصار حزب الله هو انتصار حماس، وعرفات يدرك أنَّ المتشددين سيمارسون ضغوطاً عليه للتوصل إلى انسحاب أسرع من جانب «إسرائيل» كما حدث في لبنان»[١].

هذا النصر لكم

كان من الطبيعي جداً للمقاومة المنتصرة في لبنان أن تُهدي

---

(١) جريدة الرأي العام: ٢٨/٥/٢٠٠٠.

انتصارها لفلسطين وشعبها وقدسها، وهي المقاومة التي يمثل تحرير القدس وفلسطين عقيدة بالنسبة إليها، ففلسطين لم تغب يوماً في عمر المقاومة اللبنانية الطويل حتى تغيب في يوم الانتصار، بل هي كانت في يوم الانتصار أشد حضوراً لا سيما في الخطاب التاريخي الذي ألقاه قائد المقاومة الإسلامية أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله في الاحتفال الحاشد الذي أقيم في مدينة بنت جبيل المحررة عقب التحرير مباشرة، ولقد تركت كلمة الأمين العام الموجهة للشعب الفلسطيني بالغ الأثر في قلوب أبناء ذلك الشعب المظلوم، وهي الكلمة التي دغدغت بصدق مشاعرهم وأثارت فيهم العزم الدفين وشحذت لديهم الإرادة الكامنة وأعطت الأمل بالنصر وممَّا قاله سماحة السيد: «هذا النصر نقدمه لشعبنا المظلوم في فلسطين المحتلة ولشعوب أمتنا العربية والإسلامية، ومن بنت جبيل المحررة أُخاطب شعب فلسطين المظلوم المعذب المضطهد، يا شعبنا في فلسطين، مصيرك بيدك، أرضك تستطيع أن تستعيدها بإرادتك... بخيار عز الدين القسام، بدماء فتحي الشقاقي ويحيى عياش، يمكنك أن تستعيد أرضك من دون أن يمنّ عليك هذا الصهيوني بزاروب هنا أو قرية هناك...

يمكنكم أن تعيدوا أهلكم إلى ديارهم بفخر واعتزاز من دون توسل لأحد، أنتم تستطيعون أن تستعيدوا أرضكم وحقوقكم المشروعة، حتى لو تخلى عنكم كل العالم... إنَّ طريق فلسطين يا شعب فلسطين، إنَّ طريقكم إلى الحرية هو طريق المقاومة والانتفاضة، المقاومة الجادة والانتفاضة الحقيقية، لا الانتفاضة في إطار أوسلو، ولا الانتفاضة في خدمة المفاوض المتنازل في أستوكهولم، الانتفاضة والمقاومة التي لا ترضى إلاَّ بالحق كاملاً

كما في لبنان، في لبنان كل لبنان يرفض أن يبقى جزء بسيط من أرضه تحت الاحتلال.

هذا النموذج اللبناني الراقي نقدمه لشعبنا في فلسطين، لتحرير أرضكم لستم بحاجة إلى دبابات ولا إلى توازن استراتيجي ولا إلى صواريخ ولا إلى طائرات ولا إلى مدافع... على طريقة الاستشهاديين الماضين الذين هزوا الكيان الصهيوني الغاصب وأرعبوه، يمكنكم أن تستعيدوا أرضكم.

أنتم أيها الفلسطينيون المظلومون والعزّل والمحاصرون يمكنكم أن تفرضوا على الغزاة الصهاينة أن يعودوا من حيث أتوا، فليذهب الفلاشا إلى أثيبوبيا، فليعد اليهود الروس إلى روسيا... الخيار عندكم، والنموذج ماثل أمام أعينكم، المقاومة الصادقة والجادة يمكنها أن تصنع لكم فجر الحرية، يا إخواننا وأحباءنا في فلسطين، أقول لكم، إنَّ إسرائيل هذه التي تملك أسلحة نووية وأقوى سلاح جو في المنطقة، والله هي أوهن من بيت العنكبوت، لكن إذا كنتم تريدون الاعتماد على الاتحاد السوفياتي كما كان في السابق فلن تصلوا إلى نتيجة، إذا كنتم تنتظرون المجتمع الدولي فلن تصلوا إلى نتيجة، إذا كنتم تراهنون على المعادلات فلن تصلوا إلى نتيجة، لكن يا شعب فلسطين إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، إن ينصركم الله فلا غالب لكم»(١).

دعوات للاقتداء

لقد حرك انتصار لبنان الأمل ليس لدى الفلسطينيين فحسب في

---

(١) العهد: ٢ حزيران ٢٠٠٠.

إمكانية تحرير فلسطين والقدس، بل لامس هذا الأمل عقول وقلوب مئات الملايين من العرب والمسلمين العاشقين لفلسطين وقضيتها، إذ أحسوا بفطرتهم وعقولهم أنَّ انتصار لبنان هو مقدمة لانتصار فلسطين، وأنَّ على الشعب الفلسطيني الغيور والذي ما عرف إلاَّ بالبطولة والتضحيات أن لا يفوت هذه الفرصة التاريخية التي قدمها النموذج اللبناني في مقارعة «إسرائيل» بالانتصار عليها.

إنَّ الدعوة للشعب الفلسطيني للاقتداء بالنموذج اللبناني والتي صدرت من قادة ومسؤولي ونخب ومثقفي العالمين العربي والإسلامي، كانت دعوة صادقة خرجت من قلب القلب في لحظة استخلاص العبر ممَّا حصل في جنوب لبنان، وهي دعوة تكشف عن مدى الحب والعشق والعلاقة التي تربط بين هؤلاء جميعاً وبين الشعب الفلسطيني المظلوم، وإن أكدت الوقائع وردود الفعل من قبل الشعب الفلسطيني على إثر الانتصار وما صدر عن قياداته ونخبه من مواقف داعية إلى الاقتداء بالنموذج اللبناني أنَّه على قدر عالٍ جداً من التنبه والمسؤولية والحضور في الساحة.

«سماحة ولي أمر المسلمين الإمام الخامنئي دام ظله وجه رسالة بارك فيها للشعب اللبناني والحكومة ولمجاهدي المقاومة الإسلامية الانتصار الكبير على الكيان الصهيوني، ووصف سماحته الانتصار بأنَّه ثمرة من ثمار المقاومة الإسلامية والبطولية للشباب اللبناني، واعتبره ظاهرة لا سابقة لها مليئة بالدروس والعبر، وأنَّ الانتصار المشرف الذي حققته المقاومة الإسلامية في لبنان يعلّم الجميع أنَّ الطريق القويم للتحرير والاستقلال يتحقق من خلال الشجاعة المستندة إلى الإيمان ووعي الشباب بعدالة قضيتهم، وأكد

ولي أمر المسلمين أنَّ الانتصار في لبنان مثّل انهياراً للمعادلات السياسية والحسابات المادية التي كان يرتكز عليها العدو ويظن أنَّه لا ينفحر، ولا شك في أنَّ هذه تجربة كبرى، حريٌ بالشبان الفلسطينيين والعرب الاستفادة منها»[١].

وفي خطبة ألقاها في الذكرى الحادية عشرة لرحيل الإمام الخميني العظيم قدس سره قال سماحة الإمام الخامنئي دام ظله: «إنَّ الإيمان والعزم والحركة الجماعية والتضحية هي التي تؤدي إلى التطورات التاريخية، وليس ما يوحي به الاستكبار العالمي من أنَّ عناصر القوة والمال والأعلام يمكن أن تكون مؤثرة في تطور التاريخ البشري... وأكد الإمام الخامنئي أنَّ الشعوب بدأت تؤمن كل الإيمان بفاعلية العنصر الإنساني في التغيير السياسي والاجتماعي، داعياً الفلسطينيين إلى الاقتداء بنهج المقاومة اللبنانية وحزب الله لتحرير فلسطين كاملة، حيث أنَّ الشعب الفلسطيني قادر على أن يكرر هذه التجربة القرآنية العظيمة على أرضه وأن يثبت خلافاً لما كان يروج له المحللون السياسيون، أنَّ فلسطين ستعود إلى أحضان أصحابها الحقيقيين مسلمين كانوا أم مسيحيين أم يهوداً»[٢].

المؤرخ والباحث اللبناني المسيحي ميشال إده وفي مقابلة مع مجلة الحوار وجه دعوة ضمنية للاقتداء بالنموذج اللبناني حيث قال: «إنَّ استمرار «إسرائيل» بسياستها العنصرية والقمعية والعدوانية سيؤدي عاجلاً أم آجلاً، وبالأحرى عاجلاً بنظري ليس إلى انتفاضة أطفال

---

(١) العهد: ٦، أيار ٢٠٠٠.

(٢) العهد: ٩ حزيران ٢٠٠٠.

الحجارة وحسب كما حصل في عام ١٩٨٧، بل إلى ثورة عارمة وجارفة تشتعل في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وذلك خصوصاً بعد الانتصار الكاسح الذي حققته المقاومة في لبنان والهزيمة المذلة التي لحقت بالجيش الإسرائيلي وبددت اسطورة الجبروت الإسرائيلي الذي لا يقهر»[١].

وكانت جريدة العهد التابعة لحزب الله استطلعت آراء نخبة من الأكاديميين وأساتذة الجامعات والشعراء المصريين وسألتهم عن رأيهم بالحدث التاريخي في لبنان، فكانت أن ركزت معظم إجاباتهم على الإشادة بالنصر التاريخي والفريد للمقاومة الإسلامية البطلة وأهمية اقتداء الشعب الفلسطيني المظلوم بهذه التجربة؛ وهذا بعض ما جاء في تلك المقابلات.

* حامد حمود (الأمين العام للحزب الناصري) قال: «أحيي لبنان المقاومة الإسلامية والشعب والحكومة لصمودهم أمام هذا الاحتلال الغاشم؛ وهذه الانتصارات التاريخية ستعيش في وجدان الشعب اللبناني والعربي لأنَّها أول مرة ينسحب فيها العدو الصهيوني من أراضٍ اغتصبها وهو يجر أذيال الخيبة والمهانة حتى قبل موعد الانسحاب، وأتمنى أن تكون هذه الخطوة على الطريق الصحيح لاسترداد الشعب الفلسطيني جميع حقوقه».

* د. أحمد يوسف (مدير معهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية) قال: «إنَّ الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان واحد من أعظم الإنجازات العربية في الصراع مع «إسرائيل»، وقد

---

(١) مجلة الحوار: ١٠/٦/٢٠٠٠.

أصبحت مسؤولية كل عربي أن يبني على هذا الإنجاز ويبذل مزيداً من النضال حتى نستعيد جميع أراضينا العربية المسلوبة».

* ممدوح الولي (عضو مجلس نقابة الصحفيين والكاتب بالأهرام) قال: «إنَّ صمود المقاومة اللبنانية أثبت بالبرهان أنَّ التمسك بالحق والنضال من أجله يؤدي إلى الحصول على جميع الحقوق المشروعة، فبرغم الوزن النسبي للقوة بين لبنان و«إسرائيل» فإنَّ النصر كان من نصيب لبنان لأنَّ الفيصل في هذه المعركة كان للصمود فجاء النصر، وهذه رسالة لجميع أطراف الصراع للاستفادة من هذه التجربة التي يجب أن نأخذ منها الدروس والعبر لاستعادة أي حق سلب أو اغتصب منَّا».

* يوسف شرارة (سفير سابق في أميركا) قال: «هذا الحدث رسالة موجهة لأنصار الحل السلمي غير المشروع والتطبيع غير المبرر، والذين يبنون رؤيتهم على مقولة واحدة مؤدَّاها أنَّ العالم تغير، ومن ثم استبعدوا كل النماذج التاريخية لنضال الشعوب ومقاومتها».

* عبد الخالق فاروق (باحث سياسي في جريدة الأهرام) قال: «ما جرى في جنوب لبنان سيعزز من قوى المعارضة الوطنية الفلسطينية لنهج أوسلو والتنازلات المستمرة للمفاوض الفلسطيني الرسمي، ومن ثم سيهيُىء الظروف لاندلاع انتفاضة وطنية فلسطينية جديدة تكون هي وسيلة الضغط الأساسية على «إسرائيل».

* د. أحمد الصاوي (أستاذ الآثار الإسلامية في جامعة القاهرة) قال: «إنَّ انسحاب «إسرائيل» المهين من جنوب لبنان معناه فشل كل إدعاءات مروجي مفهوم السلام مع «إسرائيل» مقابل

الأرض. . . فهذا الانسحاب هزيمة لنهج كامب ديفيد ـ عرفات، وهو النهج الاستسلامي، فالعبرة الرئيسية من هذا الحدث انَّ النضال والصمود هو الذي يعيد الحقوق لأصحابه».

وفي مجلة «كل العرب» ـ فلسطين كتب زهير اندراوس مقالاً تحت عنوان «نكسة إسرائيل ٢٠٠٠»، وممَّا جاء فيه: «إنَّ الانتصار التاريخي الساحق الذي حققته المقاومة اللبنانية التي طردت قوات الاحتلال سيؤثر على المسار الفلسطيني، وهناك علاقة مباشرة بين هذا الانتصار وانتفاضة الأسرى(*) التي يقودها الشعب العربي الفلسطيني، حتى إسرائيل تعترف بذلك وتعرف جيداً أنَّ جيشها سيقهر مرة أخرى عند اندلاع المواجهات مع أطفال الحجارة وشباب الانتفاضة»[1].

وتحت عنوان «ماذا أخذت «إسرائيل» وماذا أعطت»، كتب مازن حماد في صحيفة الوطن القطرية، وممَّا جاء: «لم تأخذ «إسرائيل» شيئاً، لكنَّها أعطت أشياء، أعطت برهاناً على أنَّ ما أخذ بالقوة لا يسترد بالمفاوضات. . . وأعطت الفلسطينيين الدافع للنضال بلا هوادة لإجبار الغزاة على الرحيل، وأعطت العربي بانسحابها شعوراً بالفخر لكنَّها في الوقت ذاته صغرت في عينه تماماً مثلما هي صغيرة في عيون أطفال الحجارة عندما يتحدون الخوذ والرشاشات».

وأخيراً في هذا المجال كتب أحمد عرابي في «البيان» الإماراتية تحت عنوان «لبنان والغد العربي»، وممَّا جاء: «والمأمول انَّ هذا

(*) انتفاضة الأسرى حصلت في بعض السجون الإسرائيلية قبيل انتفاضة الأقصى.

(١) كل العرب ـ فلسطين ١٩٤٨.

الانتصار اللبناني التاريخي الحاسم على «إسرائيل» يمثل حداً فارقاً في الشرق الأوسط بين أفول منهج وصعود نجم منهج آخر، فهل تتغير ملامح المشهد الفلسطيني بناءً على المثال اللبناني؟»[١].

أوسلو يترنح

باتفاق المراقبين فإنَّ الانتصار الكبير الذي حققه لبنان على «إسرائيل» حيث خرجت ذليلة من دون أية مكتسبات ومن غير مفاوضات، قد أحرج السلطة الفلسطينية التي وقّعت اتفاق أوسلو في ١٣ أيلول ١٩٩٣ مع العدو الإسرائيلي، وكانت تتهيأ لتوقيع اتفاق الحل الدائم أو الوضع النهائي في ١٣ أيلول ٢٠٠٠، فالشعب الفلسطيني الذي شاهد هذا النصر بأم العين ورأى نتائجه المشرفة من جهة، وراقب المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية خلال سنوات وعبر الأشهر الأخيرة في مفاوضات الوضع النهائي من جهة أخرى، وما صاحب هذه المفاوضات من تعنت إسرائيلي عبرت عنه لاءات باراك الأربعة، هذا الشعب كان حاضراً للاعتراض بل لرفض أي اتفاق لا يعبر عن الحد الأدنى من الحقوق الفلسطينية.

لقد كان باراك يعرف هذه الحقيقة تماماً، كما أنَّه كان يعرف حقيقة المواقف المتشددة داخل الكيان الصهيوني والتي فرضت عليه إطلاق لاءاته الأربعة، إن لم يكن هو مقتنعاً بها أيضاً. هذه اللاءات التي تمحورت حول رفض إعادة القدس أو بعض منها ورفض عودة اللاجئين الفلسطينيين في الشتات ورفض الاعتراف بحدود لدولة فلسطينية ورفض التخلي عن المستوطنات في أراضي الـ ٦٧.

---

(١) مجلة البيان الإماراتية.

في ظل هذا الوضع بدأت مفاوضات الوضع النهائي في «كامب ديفيد» حيث أخفق الرئيس الأميركي بيل كلينتون وعبر جلسات متعددة ومفاوضات صعبة جمعت إليه عرفات وباراك، أخفق في الوصول إلى الحد الأدنى من الاتفاق الذي يحفظ له ماء الوجه وينقذ المفاوضات من الفشل ما يؤثر على كل المسار التفاوضي بين الإسرائيليين والفلسطينيين والذي بدأ في أوسلو. وباراك الذي كان يعرف حساسية ودقة موقفه ومستقبله، قدم أقصى ما يمكنه تقديمه لعرفات، غير أنَّ ما قدمه لم يصل إلى الحد الأدنى الذي يمكن لعرفات قبوله خاصة في ظل الوضع المستجد في جنوب لبنان وجهوزية الشعب الفلسطيني لرفض أية اتفاقات لا تنسجم مع الحد الأدنى من حقوقه الثابتة؛ وقد عبر عن هذه الحقيقة محمد دحلان أحد المفاوضين الرئيسيين على مسار مفاوضات الحل المرحلي ورئيس جهاز الأمن الوقائي في قطاع غزة حينها حيث قال: «إنَّ الشعب الفلسطيني يعرف أنَّ انسحاب «إسرائيل» من لبنان تم بفضل المقاومة اللبنانية الباسلة، وفي مقدمتها حزب الله، ويرى بنفسه أنَّ خيار السلام الذي سارت فيه قيادة الشعب الفلسطيني يواجه بالفشل، فالحكومة الإسرائيلية برئاسة إيهود باراك مثل سابقتها برئاسة بنيامين نتنياهو، لا تتجاوب مع مستلزمات الحل السلمي الدائم، بل تتنكر لما وقعت عليه في المفاوضات حتى الآن وتعرقل تنفيذ الاتفاقيات، لذا فإنَّها بهذا الموقف المتعنت تدفع الفلسطينيين دفعاً إلى خيار المقاومة المسلحة»[١].

كانت المنطقة والعالم قبل أيلول ٢٠٠٠ في سباق محموم بين

---

(١) جريدة الشرق الأوسط: ٣/٧/٢٠٠٠.

دخول العصر الإسرائيلي عبر اتفاق على الوضع النهائي سيظلم الفلسطينيين حتماً ويسجنهم في إطار دولة بالاسم والبروتوكول، ولكنَّها لا تملك مقومات الدولة، بل هي كيان تابع للكيان الصهيوني الغاصب، وبين حدث مقاوم يقلب الطاولة على الجميع ويعيد رسم الطريق الصحيح باتجاه الحرية التي لا بدَّ وأن تأتي وإن طال الانتظار، وقد عبر عن هذا الواقع مدير المفاوضات في كامب ديفيد، الرئيس الأميركي كلينتون وطبعاً بطريقته حيث قال: «تدخل المنطقة في مرحلة جديدة، إمَّا التقدم باتجاه إنجاز تسوية، أو التراجع والعودة إلى الوراء أي الفوضى وتجدد الاضطرابات وربَّما حتى حدوث عنف أكثر»[١].

وبعد جولات من المفاوضات حرص كلينتون على مواكبتها شخصياً ورعايتها بكل قوة، نعى الرئيس الأميركي المفاوضات بقوله: «إنَّ الظروف غير ناضجة الآن لإنجاز التسوية بين طرفي الصراع»[٢].

ونحن نجد أنَّ عبارة الرئيس الأميركي هذه تنطوي على خلاصة مضغوطة جداً لحقيقة التحولات الكبيرة التي حصلت في المنطقة عشية مفاوضات الوضع النهائي، هذه التحولات لم تكن منتظرة من قبل الأميركي «راعي المفاوضات» حيث جعلت هذه التحولات الظروف تتبدل بما لا ينسجم مع أجواء المفاوضات المؤاتية والتي كان يأملها مهندسو اتفاق أوسلو بعد سبع سنوات على توقيعه، ولم يكن أحد في هذا العالم ليعلم أنَّ الشعب اللبناني

---

(١) العهد: ٧ تموز ٢٠٠٠.

(٢) العهد: ٢٨ تموز ٢٠٠٠.

المضحي والمقاوم الذي قدم عشرات الشهداء والجرحى في ١٣ أيلول ١٩٩٣ في شوارع بيروت اعتراضاً على اتفاق أوسلو، سوف يتمكن بعد سبع سنوات ومن خلال تأثير انتصاره المدوي عام ٢٠٠٠، أن يبدل الظروف في فلسطين والمنطقة بحيث تُفشل تلك الظروف قمة «كامب ديفيد»، والتي بفشلها حُكِم بالإعدام على اتفاق أوسلو بل على كل عملية التسوية المذلة في المنطقة.

حماقة شارون

حقاً الحمد لله الذي جعل أعداءنا من الحمقى... فالانتفاضة كانت متوقعة من الشعب الفلسطيني فيما لو تم توقيع اتفاق مجحف بحقهم في مفاوضات «كامب ديفيد» والتي لم تساعد الظروف الجديدة على إنجاحه بحسب تعبير كلينتون، ولعلَّ عدم الوصول إلى اتفاق في التوقيت المحدد في ١٣ أيلول ٢٠٠٠ كان تحاشياً لاندلاع انتفاضة من قبل الشعب الفلسطيني المتوثب لذلك. هذه الانتفاضة فجرها ارتكاب المجرم أرييل شارون لحماقته في قراره بتدنيس المسجد الأقصى عبر زيارته لما يسمونه جبل الهيكل.

لقد استهدف شارون بقراره هذا عدَّة أُمور أهمها فتح باب المعركة الانتخابية مع باراك للوصول إلى رئاسة الحكومة الصهيونية، هذا الحلم الأبله الذي عاش شارون طيلة حياته من أجله، حيث أراد شارون أن يؤكد للناخبين الصهاينة أنَّه يتمسك بالقدس بل بجبل الهيكل الذي يعتقد الصهاينة واهمين أنَّه يقع في نطاق أرض المسجد الأقصى المبارك، ومع أنَّ شارون كان يعلم انَّ هذه الخطوة بالغة الخطورة بسبب المشاعر الجياشة لأبناء الشعب الفلسطيني والمسلمين عامة تجاه حرمة المسجد الأقصى، وفي ظرف

سياسي حساس، مع ذلك أقدم على هذه الخطوة الإجرامية مستفيداً من حراسة الآف أفراد الشرطة الصهيونية وأصرَّ على فعلته ودخل إلى باحة الحرم القدسي، فاندلعت مواجهات عنيفة بين الفلسطينيين وجنود العدو الذين أطلقوا الرصاص المطاطي والقنابل المسيلة للدموع ما أدَّى إلى إصابة أكثر من عشرين فلسطينياً بجروح، فيما استخدم المحتجون كل الوسائل المتاحة من حجارة وكراسي وقطع حديد ورشقوا بها قوات الاحتلال وجرحوا أربعة وعشرين عسكرياً صهيونياً أحدهم بحال الخطر، وقد تمكن الفلسطينيون من منع شارون ومن معه من الاقتراب من المسجد والمصلى المرواني رغم محاولته الدخول إليه تحت حراسة مشددة، وامتدت المواجهات إلى خارج الحرم القدسي باتجاه شوارع المدينة المقدَّسة، كما شهدت البيرة ورام الله مواجهات مماثلة، كما اشتبكت قوات الاحتلال مع طلاب جامعة بيرزيت الذين تظاهروا ضد زيارة شارون الاستفزازية، وأصيب شابان بجراح برصاص العدو. شارون الذي خرج متسللاً بين جنوده قال في ختام الزيارة أنَّه جاء «يحمل رسالة سلام، وأنَّه يؤمن بالتعايش وإمكانية التقدم معاً»[1].

لقد كانت زيارة شارون الاستفزازية القشة التي قصمت ظهر البعير أو الصاعق الذي فجر برميل البارود الفلسطيني، كما أثارت هذه الزيارة الحمقاء ردود فعل عديدة في العالمين العربي والإسلامي، كان أبرزها في لبنان الشقيق الروحي والجهادي لفلسطين، وقد أصدر حزب الله بياناً إثر هذا الحادث وممَّا جاء فيه: «إنَّ إقدام الإرهابي المجرم شارون جزَّار صبرا وشاتيلا على

---

(١) العهد: ٢٩ أيلول ٢٠٠٠.

انتهاك حرمة المسجد الأقصى وسط حراسة مشددة وفرها له الآلاف من جنود الاحتلال الصهيوني يعتبر تدنيساً متعمداً للأماكن الإسلامية المقدَّسة في القدس الشريف وانتهاكاً صارخاً للمقدَّسات الإسلامية، وهو عمل إجرامي بحدِّ ذاته واستفزاز وقح لمشاعر وكرامات العرب والمسلمين في كل أنحاء الأرض... إنَّنا إذ نحيي أهلنا في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس الذين هبوا منذ صباح هذا اليوم للدفاع عن المسجد الأقصى وقبة الصخرة وكل الحرم القدسي، وواجهوا باللحم الحي والصدور العارية جنود العدو المدججين بالسلاح في ملحمة جددت أمجاد الانتفاضة الباسلة، ونشدّ على أياديهم ونقول لهم إنَّ كل الشرفاء المخلصين من أبناء أمتكم يقفون معكم ويشدّون أزركم، فأنتم طليعة هذه الأمة اليوم في مواجهة العدو الصهيوني الغاصب وأنتم المرابطون الصامدون على أرض فلسطين الذين تستحقون كل الدعم والتأييد، وأنتم المعبرون عن عزة وكرامة وشرف هذه الأمة، فسيروا ونحن معكم والله معكم»[١].

الانتفاضة تشتعل

لقد أكدت الأيام والأسابيع القليلة الأولى لانتفاضة الأقصى صحة التوقعات بأنَّ الشعب الفلسطيني بات مهيئاً على المستويات النفسية والفكرية والتعبوية لتحديد موقفه الفاصل فيما يخص المفاوضات وعقمها، والطريق المناسب والصحيح لكسب الحقوق واستعادة المستلبات، وهو ما رآه في مسيرة المقاومة الإسلامية في لبنان وانتصارها.

لقد شكلت الزيارة الاستفزازية لشارون إلى الحرم القدسي

---

(١) العهد: ٢٩ أيلول ٢٠٠٠.

صاعق الانفجار وفتيل البارود فقط، ولذلك فإنَّ المواجهات لم تقف عند حدود الدفاع عن انتهاك حرمة الأقصى، إذ لو كانت المشكلة فقط في نفس تلك الزيارة لاكتفى الشعب الفلسطيني بالتعبير بما يرد على هذه الإهانة ولتوقف الاحتجاج عند هذا الحد، غير أنَّ اضطرام الاحتجاجات والاعتراضات وتوسعها لتشمل كل فلسطين سواء ما احتل منها عام ١٩٦٧ أو المحتل عام ١٩٤٨، وتحول الاحتجاجات إلى معارك شوارع في مختلف القرى والمدن الفلسطينية، أكد أنَّ الشعب الفلسطيني قد أخذ قراره بنفسه واختار طريق الجهاد والكفاح ونبذ طريق المفاوضات والاستسلام، لقد حملت المواجهات رسائل عديدة بالغة الأهمية حرص كل طرف معني على توجيهها بدقة.

«فالفلسطينيون كشعب وجهوا رسالة قوية مفادها أنَّ أي تنازل عن حقوقهم لن يمر ببساطة، ولن يوافقوا عليه مطلقاً، وهم مستعدون للتضحية بأرواحهم للتمسك بآخر ما يرمز إليهم كشعب وهوية وهي القدس، وهذا ما ظهر جلياً في حجم المشاركة الشعبية الكبيرة جداً التي فاجأت قادة العدو وعرفات نفسه، وشمولها كل المناطق الفلسطينية المحتلة بدءاً من أراضي الـ ٤٨ إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس المحتلة وتلك الخاضعة للاحتلال مباشرة أو للحكم الذاتي... كما أنَّ اندفاع المتظاهرين إلى اقتحام مواقع إسرائيلية والسيطرة عليها ومهاجمة المستوطنات يظهر مدى الاستعداد للانتفاضة التي تطيح بكل ما تحقق على صعيد التسوية التي لم تحقق الحد الأدنى من الحقوق أبداً»[١].

---

(١) العهد: ٦ ت١، ٢٠٠٠.

واستحوذت المواجهات العنيفة التي اندلعت في المناطق الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨، وامتدت من الجليل في الشمال إلى يافا على البحر المتوسط، باهتمام استثنائي من قادة العدو، نظراً للدلالات الخطيرة التي تعبر عنها بالنسبة لمستقبل الدولة العبرية والعلاقة بين من يسمون بـ«عرب إسرائيل» ويهودها، خصوصاً في ظل التشكيك حول فعلية انتماء هؤلاء الفلسطينيين الأصليين إلى «إسرائيل» واعتبارها كيانهم السياسي الوحيد... فالأعلام الفلسطينية والإسلامية التي رفعت والشعارات التي أطلقت أكدت تمسك هؤلاء بقوميتهم وإصرارهم على إسلامية القدس واعتبارها عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة... وحتى أنَّ ممثلي فلسطينيي الـ ٤٨ في الكنيست الإسرائيلي كان لهم مواقف كافية للدلالة على معنى الحدث، فعلى سبيل المثال قال النائب في الكنيست محمد كنعان في مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية الرسمية «إنَّنا نشكل جزءاً لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني ولا يمكننا البقاء مكتوفي الأيدي أمام مقتل الأطفال، والفظائع الأخرى في الأراضي المحتلة» كما اعتبر النائب أحمد الطيبي «أنَّه من غير الإنساني مطالبتنا بالتزام الصمت ونحن نرى أطفالاً فلسطينيين يضربون بالرصاص ويقتلون على أيدي الجنود»[١].

كانت الأسابيع القليلة الأولى من عمر انتفاضة الأقصى حساسة وحاسمة ومعبرة، إن لجهة سرعة اشتعالها، أو لجهة شدة المواجهات وتنوعها وعنفها، أو لجهة توسعها لتطال كافة المناطق الفلسطينية، ومثلت تلك الفترة الزمنية الحدث الأهم والأبرز

---

(١) العهد: ٦ ت١، ٢٠٠٠.

للشعوب العربية والإسلامية ودفعتها إلى التفاعل مع ذلك الفعل الثوري العظيم، والترقب بكل رجاء وأمل بأن لا تنقضي تلك الساعات والأيام، بل أن تتواصل لتحقق للشعب العظيم النصر العظيم والحرية الكاملة، وفعلاً كانت الأيدي على القلوب خوفاً من أن يحصل ما قد يوقف هذه الثورة العارمة من مؤامرات قد تأتي من الأقربين قبل الأبعدين، غير أنَّ الأيام والأسابيع كانت تثبت تباعاً بأنَّ هذا الشعب قد عرف طريقه طريق الانتصار، طريق حزب الله في لبنان، وحزب الله في المقابل لم يقف بعيداً عن تلك الحركة الثورية المتوهجة، بل واكبها بالقلب والعقل والمسيرة والدعم والموقف والبيان وبكل ما تتطلبه الانتفاضة للاستمرار في طريق حريتها المقدَّسة، وقد أصدر حزب الله بياناً هاماً جاء في ختامه: «إنَّنا في حزب الله نشيد بهذه الوقفة البطلة لشعبنا الفلسطيني المجاهد ونشدّ على أياديه، ونعتبر أنَّ كل طاقاتنا مسخرة وجاهزة للوقوف إلى جانبه في جهاده المحق، ونعتبر أنَّ ما أنجزناه من تحرير كريم لأرضنا اللبنانية كان الخطوة الأولى والنموذج الأمثل لاستكمال مشروع التحرير وطرد العدو الصهيوني ذليلاً من جميع الأراضي المحتلة على أيدي المجاهدين والمناضلين من أبناء أمتنا، وخصوصاً أبناء الشعب الفلسطيني البطل ليستعيد حقوقه كاملة غير منقوصة، وإنَّنا واثقون كل الثقة بأنَّ هذا اليوم سيكون مشهوداً»(١).

كما أقام حزب الله مهرجاناً حاشداً دعماً للانتفاضة تحدث فيه قائد المقاومة السيد حسن نصر الله وممَّا جاء في كلامه: «نلتقي هنا لنعلن ونعبر عن تضامننا والتزامنا ووقوفنا إلى جانب الشعب

---

(١) العهد: ٦ ت١، ٢٠٠٠.

الفلسطيني المجاهد والعظيم لنبادله الوفاء بالوفاء، وهو الذي كان يحتشد ويصرخ عندما كانت تسفك دماؤنا، ولنبادله النصرة بالنصرة والحب بالحب ولنقول له كلمات من موقع الالتزام والإيمان والجهاد والشهادة. . . .

أقول لإخواني بل للأساتذة الكبار، أولاً يجب أن يكون إيماننا بالله كبيراً وعظيماً جداً وكذلك ثقتنا وتوكلنا على الله، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1]، لا تراهنوا على الشعوب والحكّام العرب وانسوا كل هؤلاء، لو توكلتم على الله سيكفيكم الله، الله حسبكم ونعم الوكيل، ويدافع عنكم، وعليكم أن تتوكلوا عليه بصدق وأن تثقوا بوعده للمؤمنين والمجاهدين بأنَّه سيهديهم سبله، وللناصرين بأنَّهم سيكونون الغالبين والمنتصرين.

ثانياً: أنتم جربتم ونحن نعرف أنَّ طريق الجهاد هو طريق التضحيات، ونحن بحاجة إلى الصبر، والخاتمة معروفة مسبقاً وهي العز والكرامة. . . الشعب الفلسطيني مثل أي شعب عربي يمكنه أن يتبع استراتيجية واحدة. نأتي لهذا العدو ونركز على نقطة ضعفه، كما كنّا نقول في المقاومة في لبنان. . . نقطة ضعف الإسرائيليين الأساسية دلنا عليها خالقه، في إنسانه، الإنسان اليهودي ليس حاضراً للموت بل يعشق الدنيا، وهذه نقطة ضعفهم الأساسية، وشعبنا في فلسطين كما في لبنان يملك نقطة القوة الأساسية وهي نقطة عشق الشهادة. . . الاستراتيجية تكون سلب الأمن منهم، فليخافوا وليقلقوا وليشعروا أنَّ هذه الأرض ليست أرض أمان وعندها سيفكرون بالرحيل ويرحلون. . . انَّ زوال إسرائيل هو مشروع واقعي

---

(١) سورة الطلاق، الآية ٣.

وحقيقة نراها في أم العين وهي ليست أحلام... نحن في حزب الله وفي المقاومة الإسلامية معكم ولن نترككم ولن نتخلى عنكم وسنكون إلى جانبكم ويمكنكم في الشدائد أن تراهنوا علينا».

وكان تحدث في الاحتفال عينه أمين عام حركة الجهاد في فلسطين الدكتور رمضان عبد الله الذي أكد الارتباط بين انطلاقة الانتفاضة وانتصار المقاومة في لبنان وممَّا قاله: «إنَّ الشعب الفلسطيني ليس وحده في الميدان، فهذه هي أمة حزب الله تصطف الآن في محراب الشهادة خلف قبضات السيد عباس الموسوي الذي يصلي في القدس الليلة... من عتمة المرحلة، ومن ظلمة الهزيمة والتردي تنبعث فلسطين من جديد، من صيحات الله أكبر، من حجارة الأطفال، من دماء الشهداء لتكتب بياناً جديداً وقانوناً للمرحلة، في لبنان هزم الدم العربي سيف الغدر الصهيوني، وهزم الدم المسلم سيف القهر اليهودي، نعم لقد انتصرنا في لبنان بالمقاومة... هزم الدم الطاهر هذا السلاح النجس، وهنا لكل عربي ولكل حر أنْ يسأل، أليس في فلسطين دم ليهزم ذلك السلاح وذاك السيف اليهودي في فلسطين، ويأتي الجواب، والجواب هو ما نرى لا ما نسمع، والجواب هو شلال الدم المنهمر اليوم في هذه الساعة في فلسطين من نهرها إلى بحرها، والجواب هنا هو الذي خطه محمد الدرة بدمه»(١).

لقد حرك دم محمد الدرة الغضب الفلسطيني لتترسخ المواجهة وتتجذر، واستفز دمه كل عربي ومسلم ليتحول الشارع العربي والمسلم إلى بحر من البشر يُندد بالمجرم ويبدي كل التعاطف

---

(١) العهد: ٦ ت١ ٢٠٠٠.

للشعب الفلسطيني المسلم المضحي كيما يستمر في كفاحه وجهاده حتى النصر.

نهج المقاومة الإسلامية يتكرر

كانت أيام الانتفاضة وأسابيعها تمضي رافعة معها عدد الشهداء والجرحى والمعتقلين من أبناء الشعب الفلسطيني الأعزل إلاَّ من الإيمان، فالمنتفضون الشجعان كان سلاحهم الحجارة والمقاليع والسكاكين واللحم العاري، والعدو كان يواجههم بالرصاص والقذائف والدبابات والطائرات، وكانت المواجهة أسطورية بل خيالية، على مدى أشهر كان الجزَّار الإسرائيلي يتعب من فعل القتل الذي يمارسه على مدار الساعة، وكان الفلسطينيون يسقطون بالمئات، معادلة مشرفة وبطولية للفلسطينيين، ولكنَّها معادلة لا يمكن لها أن تدوم، فالحجر لا يرده إلاَّ الحجر، ولا بد من إيجاد الوسيلة التي يدافع الفلسطينيون بها عن أنفسهم أمام فعل القتل اليومي بدم بارد من قبل الجيش المدجج بالسلاح، ولا بد أن يقيموا توازناً رادعاً يمكن أن يقتل العدو كما يقتلون وأن يؤلمه كما يألمون، وحتى يتاح للشعب الفلسطيني أن يستمر في مواجهته ويحصل على النصر.

كان لا بد من أن تنتج الانتفاضة مقاومة مسلحة تتوسّل كل ما تصل إليه اليد ويبتكره العقل من سلاح، إلى جنب الإيمان وفعل الاستشهاد، وهذا ما كان، فلقد شهدت الانتفاضة قفزات نوعية يمكن أن يعبر عنها بالانتقال من مرحلة إلى أخرى على مستوى الأداء والكيفية والنوعية، وكانت البداية مع العمليات الاستشهادية التي حولت الكيان إلى ساحة رعب حقيقية وحولت المواجهة الشعبية في الشوارع إلى حرب مفتوحة على كل الاحتمالات.

وإلى جنب العمليات الاستشهادية فاجأ الفلسطينيون الصهاينة باستخدام قذائف الهاون والصواريخ قصيرة المدى المُصنعة محلياً والتي أطلقت بداية من شمال قطاع غزة باتجاه المستوطنات والمدن الإسرائيلية والتي أثار إطلاقها رعباً وخوفاً من وصول تلك القذائف إلى يد فلسطينيي الضفة الغربية حيث تصبح القدس المحتلة حينذاك هدفاً لتلك القذائف فتفقد عاصمة الكيان أمنها.

وبعد أشهر من اندلاع الانتفاضة واستمرار العمليات العسكرية للفصائل الفلسطينية تعمق المأزق الأمني للاحتلال ووصل إلى نقطة الخطر بعد أن بدأت المجريات الميدانية تعكس يوماً بعد يوم تفاصيل السيناريوهات التي رسمتها المقاومة الإسلامية على مدى سني الاحتلال في لبنان، وكان آخرها تصوير العمليات وبثها بواسطة وسائل الإعلام العربية والعالمية... فضلاً عن تصوير الشهيد وهو يتلو وصيته... ولا يقتصر تطابق هذه التفاصيل التي ذكرناها مع النموذج اللبناني... بل تعداها إلى الكثير الكثير من العمليات والكمائن المزدوجة وتفجير دبابات الميركافا وقتل قادة الوحدات العسكرية والمسؤولين السياسيين، ممَّا يدلُّ على أنَّ الانتفاضة في فلسطين باتت تمتلك مقاومة منظمة ومدربة تستطيع أن تنزل أقسى الضربات بالعدو الإسرائيلي من خلال القيام بعمليات عسكرية تستند إلى معطيات أمنية دقيقة وخبرة عسكرية عالية، ومن أبرز تلك العمليات ما حصل في الخليل حيث قتلت كتائب شهداء الأقصى بتفجير عبوة ناسفة، نائب قائد وحدة «شمون» العسكرية النقيب «إنيشاي كوهن»، ما خلق صدمة في الأوساط العسكرية وأعاد إلى الأذهان العملية التي قتل فيها قائد قوات الاحتلال في جنوب لبنان الجنرال «إيرز غيرشتاين» في عبوة للمقاومة الإسلامية،

وقد لمح قائد قوات الاحتلال في الخليل إلى احتمال أن يكون لحزب الله ضلع في هذه العملية، مبرراً ذلك بالقول أنَّ التحقيقات الأولية أشارت إلى أنَّ مركبات العبوة الناسفة التي قتل فيها الضابط الصهيوني تشابه تماماً تلك التي استخدمت في جنوب لبنان من قبل حزب الله.

العملية الأخرى التي زرعت الخوف في أرجاء المجتمع الصهيوني وسلبت الأمن حتى من الوزراء والقادة والمسؤولين هي تلك العملية الأمنية والجريئة والبالغة الدقة والاحتراف، حيث تمكن المقاومون من اختراق منظومة الأمن الصهيوني والدخول إلى فندق مخصص لإقامة الشخصيات الهامة للعدو التي تضطر للمبيت في مدينة القدس المحتلة، بل والدخول إلى الطابق التاسع المخصص للشخصيات الهامة جداً وانتظار وزير السياحة الصهيوني رحبعام زائيفي ومعالجته بثلاث رصاصات أدت إلى مقتله والمغادرة بسلام!!!

وكذلك أقضّ مضاجع قادة الجيش الصهيوني تكرار عمليات تفجير دبابة الميركافا من الجيل الثالث المتطورة جداً والمصفحة بشكل يمنع اختراقها، فقد تمكن المقاومون الفلسطينيون من تفجير أكثر من دبابة من هذا النوع وقتل طواقمها بواسطة عبوات ناسفة متطورة جداً دفعت المحللين والخبراء العسكريين الصهاينة إلى الربط بينها وبين عبوات المقاومة الإسلامية التي طردتهم من لبنان وأذاقت طواقم دبابات الجيش الصهيوني لظى نيرانها الحارقة.

لقد أنجبت انتفاضة الأقصى في أيلول ٢٠٠٠ مقاومة فلسطينية بطلة باتت تخوض صراعاً يومياً مع وحدات الجيش الإسرائيلي

وقوات النخبة فيه، منزلة بهذا الجيش وأفراده الخسائر الفادحة ومذكرة بالأيام المجيدة للمقاومة في جنوب لبنان.

الصمود الأسطوري

المقاومة البطولية والجريئة المتواصلة بتصاعد لافت في فلسطين، صدّعت الكيان الصهيوني ووضعته أمام هواجس لا تنتهي، حيث استطاعت المقاومة الفلسطينية وفي أقل من سنة أن تسقط رئيس الحكومة الإسرائيلية باراك وتوجد تحولاً لدى أفراد المجتمع الصهيوني بحيث بات شخص كشارون ـ الجزّار المهووس الذي كان مستحيلاً عليه قبل الانتفاضة أن يصل إلى سدة رئاسة الحكومة الصهيونية ـ رئيساً للحكومة بل ملكاً على «إسرائيل» يهتف وراءه معظم أفراد المجتمع الصهيوني «الموت للعرب» و«اقتلوا العرب»، وهذا أمر طبيعي عندما يواجه الكيان الصهيوني مصيراً مظلماً، خطيراً على مستوى الوجود.

شارون الذي أطلق له الصهاينة العنان في مواجهة المقاومة الفلسطينية، استخدم كل الوسائل لإخماد المقاومة ومارس شتى أساليب الإرهاب والتصفيات الجسدية والاغتيالات والقمع بلا طائل، بل كانت المقاومة تزداد شدة وإصراراً على تلقين المجرم درساً لا ينساه.

لقد بدا شارون بعد مئة يوم من بداية حكمه ـ وهي المدة التي أعلنها لتصفية الانتفاضة ـ أشبه بالعاجز عن فعل ما يمكّنه من تحقيق ما يصبو إليه في رؤية المقاومة تخبو وتتوقف، وعلى ما يبدو بات شارون ومعه الصهاينة والأسياد في البيت الأبيض الأميركي مقتنعين بشن حرب شاملة لا هوادة فيها لإنجاز هذا العمل مهما

بلغت التكاليف المادية والنفسية، فالمواجهة مع الفلسطينيين لم تعد مجرد مواجهة عادية بل أصبحت حرباً شاملة يمكن لاستمرارها أن يضع أصل الكيان في مهب الريح.

وفي شهر نيسان من العام ٢٠٠٢ وبعد أقل من سنتين على اندلاع انتفاضة الأقصى بفعل حماقة شارون التاريخية، ونتيجة لتوحد الشعب الفلسطيني حول مقاومته وعدم قدرة الإسرائيليين ومعهم الأميركيين وبعض حكّام العرب على شق الصف الفلسطيني وإيجاد فتنة بين السلطة والمقاومة، كان أن تقدم شارون بعشرات الآلاف من جنوده مدعمة بالآليات المدرعة والطائرات الحربية ليقتحم الضفة الغربية بلدة بلدة، ومدينة مدينة، وحياً حياً بقصد القضاء على المقاومة الفلسطينية عبر قتل أو اعتقال المقاومين وجمع السلاح. لقد كانت حرباً شاملة وغير متكافئة أظهر فيها الشعب الفلسطيني قدراً عالياً من البأس والاستبسال، حيث تصدى مجاهدو المقاومة الفلسطينية بسلاحهم الخفيف وبما تيسر من عبوات ناسفة لآليات العدو الضخمة، وتمكن المجاهدون من تكبيد العدو حجماً كبيراً من الخسائر في المعدات والأرواح، كما استطاع الفلسطينيون أن يصمدوا ويوقفوا الزحف الإسرائيلي في العديد من المدن والمخيمات الفلسطينية المجاهدة.

مخيم جنين كان النموذج الأبرز لفعل الصمود والاستشهاد والإرادة وصنع المستقبل، لقد صمد مخيم جنين حتى الاستشهاد ليحقق بذلك ولادة أسطورية جديدة يستلهم الفلسطينيون منها في جهادهم ونضالهم من أجل الحرية والاستقلال، القوة والقدرة على الصمود والقتال والتصدي... وصار للفلسطينيين ملحمة باسمهم وبلون دمائهم الذكية وأجسادهم ونفوسهم المقاومة والمقاتلة حتى

آخر رمق... وترددت كثيراً الأحاديث عن عاشوراء الإمام الحسين بن علي عليه السلام في فلسطين اقتداءً بسيرته، وهو ما أعطى الفلسطينيون في مخيم جنين مثالاً جديداً عليه، وعلى المواجهة بين الدم والسيف التي انتهت بانتصار الأول، ودلت المواجهة «الملحمة» في مخيم جنين وكذلك في البلدة القديمة لنابلس وفي بيت لحم وفي المدن والمخيمات الأخرى في الضفة الغربية ان الفلسطينيين متشبثون بالبقاء في أرضهم أحياء أو شهداء، كما أكدت أنَّ المواجهات العسكرية مع الفلسطينيين لم تعد نزهة، وصار لزاماً على الإسرائيليين أن يعرفوا أنَّ كل شبر في فلسطين أصبح مقبرة جاهزة لهم، وأنَّ كل فلسطيني رجلاً أو امرأة كبيراً أو صغيراً قد يكون قنبلة بشرية قابلة للانفجار في أي وقت.

وإضافة إلى كل هذه الدلالات البليغة لما نجم عن هذا الغزو ومقاومته فإنَّه يمكن القول أنَّه لم يحقق أهدافه مطلقاً فمع إعلان أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله بأنَّ عملية استشهادية واحدة ستعني الفشل الذريع لحملة شارون، بدا أنَّ عملية حيفا الاستشهادية بعد يومين فقط على إعلانه وكأنَّها تراجيع صوت الفشل الذي يخنق حنجرة شارون الذي تصرف سريعاً بمنطق النصر ولعق سريعاً الخيبة بإصابته بانتكاستين، الأولى تمثلت في الصمود الأسطوري لمخيم جنين والثانية في عملية حيفا الاستشهادية التي لن تكون بالطبع الأخيرة.

لم ولن يستطيع الإسرائيليون بقيادة شارون أو غيره عبر اقتحام الضفة وعمليات «الطريق الحازم» أو «الباب الدوار»(*)، ولا عبر

(*) أسماء للعمليات العسكرية في الضفة الغربية.

«السور الواقي»(*) ولا عبر أي عملية أخرى عسكرية أم سياسية، أن يستفلوا من جبل الصمود الأسطوري للشعب الفلسطيني البطل أو أن يمنعوا هذا الصمود الأسطوري من التواصل حتى تحرير فلسطين كل فلسطين.

حزب الله لن يترككم

لبنان المنتصر بمقاومته وحزب الله النموذج والقدوة لم يكتف بما قدمه للفلسطينيين من مثال ونموذج، لم يقل حزب الله للفلسطينيين أنا ضحيت وصنعت تجربة بل مدرسة في المقاومة وانتصرت، وأنا أقدم لكم هذه التجربة وكفى، على قاعدة «أديت قسطك للعلى فنم»، بل كان حزب الله الحاضر الأكبر بعقله وفكره وقلبه وفعله في الانتفاضة الفلسطينية وفي كل مراحلها ساعة بساعة ولحظة بلحظة، لقد كان التفاعل عظيماً وكبيراً بين مقاومة لبنان ومقاومة فلسطين، تفاعل الأرواح المتآخية في الله وفي الوطن الكبير وعلى طريق القضية المقدَّسة.

صحيح أنَّ المقاومة الإسلامية في لبنان كانت قد أخذت قرارها باستمرار المقاومة في مزارع شبعا وفي العمل على إطلاق الأسرى، وهي كانت مصممة على ذلك سواء انطلقت الانتفاضة في أيلول ٢٠٠٠ أم لم تنطلق، غير أنَّه لمن المؤكد أن انطلاقة الانتفاضة جعلت لعمليات المقاومة الإسلامية في شبعا بعداً إضافياً كان ملحوظاً بقوة لدى قيادة المقاومة، وعبرت عنه البيانات العسكرية للمقاومة الإسلامية والتي كانت تُهدى لشهداء ومقاومي انتفاضة الأقصى المباركة.

(*) جدار يبنيه الإسرائيليون للفصل بين أراضي الحكم الذاتي والمناطق المحتلة عام ٤٨ بقصد منع تسلل الاستشهاديين.

لقد شكل الحضور القوي للمقاومة الإسلامية على طول الجبهة اللبنانية الفلسطينية المحتلة سيفاً مسلطاً على رقبة الإسرائيليين، وأوجد حالة من التوازن المطلوب بين المقاومة الفلسطينية، والعدو الإسرائيلي؛ هذا التوازن الذي افتقدته المقاومة الفلسطينية في بعض المراحل والذي ستحتاجه على الدوام، إذ أنَّ أحد أهم الإرباكات التي شكلت قلقاً دائماً للإسرائيليين في مواجهة الانتفاضة والمقاومة في فلسطين وفي كل مراحلهما كانت الحسابات التي يقيمها الإسرائيليون لما يسمونه بالجبهة الشمالية التي يمكن أن يفتحها حزب الله في أي وقت يجد أنَّ مستقبل المقاومة بات في خطر محقق، لقد كان سيف حزب الله المسلط على رقبة الإسرائيليين خطاً أحمر يمنع الإسرائيليين من تجاوزه.

لقد لامس شارون في اقتحامه للضفة الغربية وتدميره لمخيم جنين الخط الأحمر لكن صمود الفلسطينيين حوّل المخيم إلى أسطورة وإلى نصر كبير للمقاومة أدّى في نهاية المطاف إلى إفشال أهداف الحملة الشارونية، وهذا ما ساهم في تحقيق المقاومة في فلسطين لنصر كبير عبر صمودهم وثباتهم، فما حصل في الضفة لم يكسر ظهر المقاومة رغم التضحيات، «وكل ضربة لا تكسر الظهر تقويه» كما يقولون. . . وهذا بالفعل ما حصل بعد جنين حيث خرجت المقاومة أشد قوة وخرج شارون أكثر ضعفاً ممَّا كان يظن الكثيرون.

لقد ظنَّ البعض من خلال التأثر الشديد والعاطفة الجامحة أنَّ حزب الله قد تخلى عن وعده للفلسطينيين بأن يكون إلى جانبهم عند الشدائد، فأي شدة هي أصعب ممَّا حصل؟!

طبعاً هذا كلام عاطفي وأحياناً قد يصدر من مغرضين، ولكن

الحقيقة تقول أنَّ حزب الله أحسن في موقفه لأنَّ خدمة المقاومة الفلسطينية لا تكون بالتهور الذي قد يؤدي إلى القضاء عليها وعلى من ينصرها، بل يكون بالحكمة المعتمدة على الشجاعة والتي يعرف صاحبها متى يتدخل وكيف يتدخل. إنَّ القاعدة التي وضعها حزب الله لتدخله العسكري المباشر في المعركة الدائرة هي أنَّه يتدخل فقط حين تدعو الحاجة وتقضي المصلحة القصوى التي لا تتحقق إلاَّ بذلك، وقد أثبتت الأيام صحة ذلك وبقوة، وكان الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله قد أكد موقف حزب الله ووعده بالتدخل العسكري لنصرة الانتفاضة عند الضرورة وحيثما تقتضي المصلحة لا فرق في ذلك قبل ١١ أيلول أم بعد ١١ أيلول، وذلك في الذكرى السنوية الأولى للانتفاضة وممَّا قاله: «سوف نبقى ندعم المقاومة في فلسطين، وأيضاً على الاستعداد الدائم للتدخل العسكري المباشر من لبنان عندما تكون مصلحة المقاومة الفلسطينية حقيقية تقتضي اللجوء إلى هذا الخيار... لقد قلنا في السابق أنَّنا نمارس سياسة السيف المسلط على الحدود الشمالية على الكيان الإرهابي الإسرائيلي، لم تتغير السياسة، وعدنا في السابق بأنَّنا سنقف إلى جانب الشعب الفلسطيني في اللحظات المصيرية، ولم يتغير هذا الموقف، كل ما كنَّا نقوله قبل ١١ أيلول سوف نبقى نقوله بعد ١١ أيلول... قد يغير أميركا وقد يغير وجه العالم لكنَّه لن يغير مواقفنا ولن يبدل حقوقنا وطريقنا على الإطلاق، قد يتساءل بعض الإعلاميين متى سيفعل ذلك حزب الله؟ وأنا لا أتنكر لمشروعية هذا السؤال، لقد أجبنا سابقاً وأعيد: إنَّ اللجوء إلى هذا الخيار يعني اتخاذ قرار كبير سوف يحدد مستقبل المنطقة كلها خلال عقود من الزمن، لذلك عندما يبقى السيف مسلطاً يجب أن يتحرك

في اللحظة التي تقف فيها الانتفاضة في الموقف الذي تحتاج هي حقاً وبشكل مصيري إلى أن يتحرك هذا السيف، هنا نحن لا نريد أن نفرط بأي عنصر قوة يمكن أن يتدخل لمصلحة الانتفاضة في يوم من الأيام نتيجة حماسة أو قراءة خاطئة في المرحلة أو في الزمان أو المكان»[1].

وفي كلمة له في يوم القدس العالمي كشف قائد المقاومة الإسلامية عن أحد الأمور التي قد تدعو حزب الله إلى التدخل العسكري وهي ما بات يعرف بـ«الترنسفير» أو التهجير الجماعي للفلسطينيين من فلسطينيي الـ ٤٨ أو الـ ٦٧ إلى الأردن أو أي بلد آخر. وممَّا قاله: «أستغرب المقولة القائلة لماذا تدعمون الانتفاضة!؟ والسؤال للعالم كله لماذا لا تدعمون الانتفاضة؟! لسنا نحن الخطأ، نحن الصح، أنتم الخطأ، البعض يأتي ويقول من إشكالاتنا عليكم أنَّكم تهددون بالتدخل العسكري لمصلحة شعب فلسطين! أريد أن أسأل الشعوب والحكومات في العالم العربي وفي العالم الإسلامي والعالم الذي يسمي نفسه حراً والمجتمع الدولي، لو جاء شارون وارتكب المجازر العامة في شعب فلسطين وطرد شعب فلسطين إلى الأردن كما هو مشروع شارون الحقيقي الذي يقتنص من أجله الفرص، أنتم ماذا ستفعلون!؟

المدان هو الذي يسكت، المدان هو الذي يتفرج بعينيه دون أن يحرك ساكناً، أمَّا الشريف في هذه الأمة هو الذي لا يسمح لهذه المأساة التي حصلت في ٤٨ أو ٦٧ أن تتكرر ثانية».

---

(١) الانتقاد: ٥/١٠/٢٠٠١.

وختم سماحته بالقول «في يوم القدس نحن هنا في هذا الطقس الممطر وبين يدي مجاهدينا الأبرار نجدد إيماننا وخطنا وطريقنا ونقول: لن نترك أرضنا ولن نتخلى عن أسرانا ولن ننسى مقدساتنا وكراماتنا وسنفتديها بكل ما نملك... وأقول لكم أيها الصادقون في البيعة كونوا على جهوزية وأمسكوا بأسلحتكم وتهيأوا، فالأمة تخوض معركة كرامتها ووجودها ومقدساتها، كنتم في مقدمة المدافعين، بالدم.. وبالقبضات الحسينية.. بالصدور العارية، بالأبناء والأعزاء عن الكرامة والمقدَّسات والعزة، وعليكم أن تكونوا جاهزين أيضاً لتبقوا في طليعة المدافعين عن الأمة والكرامة والقدس»(١).

لم يكن الانتصار كنموذج هو كل ما قدمه حزب الله لفلسطين وانتفاضتها على أهمية ذلك النموذج، بل إنَّ حزب الله وقف وسوف يقف بكل قوة إلى جانب مقاومة الشعب الفلسطيني، ولن يترك هذا الشعب وحده حتى تحقيق النصر النهائي على «إسرائيل»، ولن يخيب حزب الله رجاء الشعب الفلسطيني الذي يأمل منه ذلك بحسب تعبير أحد الأبناء المجاهدين لهذا الشعب مطران القدس ايلاريون كبوجي والذي قال لقيادة حزب الله أثناء جولة له على المناطق اللبنانية المحررة بأنَّه «مطمئن لأنَّ الانتفاضة ستنتصر لا محالة ما دام حزب الله بجانبها»(٢).

متاهة الطرق الأميركية

خلال العقود والسنوات الماضية من عمر الصراع العربي

---

(١) الانتقاد: ٢١/١٢/٢٠٠١.

(٢) العهد: ٢٢ ك١ ٢٠٠٠.

الإسرائيلي، كانت الإدارات المتعاقبة للولايات المتحدة الأميركية تحاول أن تُظهر نفسها عبثاً أنَّها صديقة للعرب رغم صداقتها المميزة لـ«إسرائيل»، كما كانت تحاول أن تلعب دور الوسيط في هذا الصراع؛ غير أنَّ أحداث الانتفاضة والمقاومة في فلسطين، والتي شكلت ضغطاً بل خطراً على الكيان الصهيوني، دفعت الإدارة الأميركية للكشف عن وجهها الحقيقي والتخلي عن سياسة التستر وإعلان الوقوف السافر إلى جنب الجرائم الصهيونية التي كانت ترتكب يومياً بحق الشعب الفلسطيني المظلوم في الأراضي المحتلة.

فقد حرصت الإدارة الأميركية وكعادتها على عدم إدانة الجرائم الصهيونية، بل وحماية الصهاينة من أي إجراء أو قرار قد يصدر عن مجلس الأمن لا يرضى عنه الصهاينة كإرسال قوات فصل أو حتى مراقبين دوليين إلى فلسطين المحتلة، كما كانت في المقابل المبادرة إلى إدانة أي عمل فلسطيني دفاعي بأشد نعوت الإدانة، هذا فضلاً عن الحضور السياسي والإعلامي والديبلوماسي والأمني التام إلى جنب قادة الكيان الصهيوني، وساعة بساعة بقصد حمايته ودعمه.

وإلى جنب الدعم المادي اللامحدود في الدفاع عن «إسرائيل» كانت الإدارة الأميركية تلجأ إلى استخدام نفوذها السياسي وتسخّر كل مفاصل إدارتها الديبلوماسية والسياسية والأمنية لإنهاء الانتفاضة بلا أي أثمان تذكر ومن دون أن يحصل الشعب الفلسطيني على أي حق من حقوقه التي انتفض من أجلها.

كانت أميركا تريد أن تفهم الفلسطينيين أنَّ انتفاضتهم ومقاومتهم

لا طائل من ورائها وأنَّ عليهم أن لا يعولوا على تحصيل ما لم يحصلوا عليه بالمفاوضات عبر الانتفاضة، وكانت الإدارة بهذا تعبر في الحقيقة عن الموقف الإسرائيلي المتطرف بل وتزايد عليه.

لقد أثبتت الإدارة الأميركية أنَّها الحامي الأول للكيان الصهيوني الذي ما كان له أن يصمد إلى هذا الوقت لولا الحماية الأميركية المطلقة والوقحة، وقد عبرت عن هذه السياسة أيضاً الطروحات المشبوهة التي طرحتها الإدارة الأميركية لإجهاض الانتفاضة عبر وقف لإطلاق النار يليه تجريد الانتفاضة والمقاومة من أسلحتها، وذلك تحت عناوين متعددة بدأت بما عرف بتقرير ميتشل مروراً بخطة تينت(*) المتكئة بدورها على تقرير ميتشل معدلاً وصولاً إلى «خارطة الطريق»، والتي تدخل الرئيس الأميركي جورج بوش الابن شخصياً عبر قمتي شرم الشيخ والعقبة من أجل إنجاحها، وهي أيضاً عبارة عن استمرار لخطة تينت معدلة بالشروط الإسرائيلية.

والحقيقة فإنَّ ما تطرحه «خارطة الطريق» في النتيجة هو ليس إلاَّ إنهاءً للانتفاضة والعودة إلى وضع أسوأ ممَّا كان عليه الوضع قبل ٢٨ أيلول ٢٠٠٠ يوم انطلاق الانتفاضة، وضياع دماء آلاف الشهداء وتضحيات عشرات آلاف الجرحى والأسرى، بل وإيجاد فتنة فلسطينية داخلية بين السلطة وفصائل المقاومة، لا يعلم إلاَّ الله ضررها على مستقبل هذا الشعب المظلوم.

ويمكن القول بأنَّ الإدارة الأميركية قد لجأت ـ ومنذ انطلاقة

(*) مدير جهاز المخابرات الأميركية CIA.

الانتفاضة وإلى اليوم ـ إلى استخدام كل ما في جعبتها من قدرات شيطانية وأكاذيب وخدع، وكانت حاضرة في ما يجري بكل قوة على مدار الساعة، وكأنَّ لا شغل لديها في هذا العالم غير «إسرائيل» والدفاع عنها، حتى أنَّنا نجزم بأنَّ كل التحولات التي حدثت بعد ١١ أيلول من غزو أفغانستان والعراق إلى ما يحصل من ضغط وتهديد لكل من سوريا وإيران هو ليس بعيد الصلة عن حماية «إسرائيل» من الخطر الذي يتهددها بفضل المقاومتين الرائعتين في لبنان وفلسطين، وهذا ما سنتحدث عنه بإسهاب في الفصل السادس من الكتاب.

إنَّ «خارطة الطريق» الأميركية وما سبقها من خطط وطروحات وما قد يلحقها لا تعدو كونها متاهة للطريق لتضييع الشعب الفلسطيني وإلهائه وتحويله عن طريق الجهاد والمقاومة، هذه الطريق التي اقتربت به سريعاً من أهدافه المقدَّسة.

الوعي النادر

ونحن أمام هذه المتاهة الأميركية أو غيرها، لنا ثقة كبيرة بالوعي الكبير لقيادات وكوادر الفصائل الفلسطينية المجاهدة، بل الوعي النادر لأبناء هذا الشعب، كما كان لنا الثقة بشجاعتهم واستبسالهم، والحقيقة فإنّه عندما يستمع الواحد منَّا إلى منطق أبناء الشعب الفلسطيني وقادته والتي تعبر عنه التصريحات والنقاشات والمواقف والشعارات فضلاً عن استمرار العمليات الجهادية ـ وهي الأساس ـ فإنَّنا نلمح الكثير من الحكمة السياسية والجهادية ما يدفعنا إلى التعبير عن إعجابنا الشديد بهذا الشعب الفلسطيني البطل الذي أصبح عصياً على الخداع الناتج عن الألاعيب السياسية للاستكبار ووكلائه الصهاينة في فلسطين المحتلة.

إنَّنا في لبنان ورغم إشادة العالم بمقاومتنا ووعي شعبنا وانتصارنا وحكمة قيادتنا وهذه حقيقة جلية، غير أنَّنا أمام ما نراه من شجاعة وفعل استشهاد متواصل إلى جنب الحكمة والوعي والصبر والتحمل لدى الشعب الفلسطيني، لا يسعنا إلاَّ الانحناء بتواضع شديد أمام هذا الشعب البطل، ولنا ملء الثقة بأنَّ شعباً يحمل هذه الصفات الجليلة لا يمكن أن تهزمه الآلة العسكرية الإسرائيلية، ولا يمكن أيضاً أن تسقطه متاهة الطرق الأميركية وسوف يتمكن من التغلب على جميع المشاكل بصبرٍ وأناة.

وإنَّ شعباً لم تخفه آلة الرعب الصهيونية فنزل بأطفاله وشبابه يرشقها بالحجارة، ولم ترعبه الطائرات فخرج لتكريم الشهداء بالآلاف، ولم تقلق نساءه عمليات هدم البيوت لأهل الاستشهاديين فراحت الأم تحمس ابنها على فعل الشهادة ولا ترضى عن ذلك بديلاً، ولم تسقط قياداته عمليات الحصار والاغتيال والاعتقالات الرهيبة، ولم تفت في عضده عملية الحصار والتجويع المنظم، ولم تنطل عليه لعب الشياطين ومتاهاتهم، انَّ هذا الشعب حريّ بالتقدير والاحترام وأهل للانتصار.

حصاد الانتفاضة والمقاومة

إذا كانت المقاومة اللبنانية قد أخذت من الوقت ثمانية عشر عاماً من الجهاد والفعل المتواصل للقتال ضد العدو الإسرائيلي حتى تمكنت أخيراً من إنزال الهزيمة العسكرية بالعدو وإلحاق أفدح الأضرار السياسية والاستراتيجية بكيانه، فإنَّ المقاومة في فلسطين، تحصد مثل هذه النتائج في كل مرحلة من مراحل تطورها السريعة، وما كانت المقاومة اللبنانية تحققه في سنوات باتت المقاومة

الفلسطينية قادرة على تحقيقه في أشهر ولعلَّ في أيام وذلك تبعاً لخصوصية وجود المعركة في عقر دار الكيان الصهيوني حيث تمسك الانتفاضة بالسكين على رقبته وتقدر على طعنه في قلبه وليس في ذراعه فقط، لذلك بدا للمراقبين خاصة من الطرف الصهيوني أن الاستمرار في هذا الوضع يعني نتائج كارثية على مستقبل الكيان الصهيوني، ولقد استفاضت وسائل الإعلام الصهيونية والغربية بنشر المقالات والدراسات عن مستقبل «إسرائيل» في ظل التدهور الأمني والاقتصادي بسبب تواصل الانتفاضة في عامها الثالث، وممَّا جاء في تلك الكتابات ما نشرته مجلة نيوزويك في الثاني من نيسان للعام ٢٠٠٢ تحت عنوان «هل ستبقى إسرائيل» حيث جاء في المقالة: «الأسئلة تنطلق من أفواه الأطفال، وفيما يبدأ اليهود في «إسرائيل» وأنحاء العالم احتفالاتهم بعيد الفصح اليهودي هذا الأسبوع، فإنَّهم سيقرأون عن الهجرة من مصر(*) وسيأكلون على مائدة مثقلة بالرموز، البهارات المرة للعبودية، والخبز من دون خميرة وسيسأل أصغر الأطفال: لمَ هذه الليلة مختلفة عن جميع الليالي، والسبب هو أنَّ الكثير من اليهود يعتقدون أنَّ مستقبل «إسرائيل» بات مهدداً كما لم يكن لعدة أجيال، هل ستبقى الدولة اليهودية على قيد الحياة وبأي ثمن؟ يقول المؤرخ اليهودي «أموس أيلون»: إنني في حال يأس لأنني أخشى أن يكون الأمر قد فات، وقد قلت لكم مجرد نصف ما أخشاه». هل فات موعد أي حل نهائياً؟ من يعرف كيف يجب أن يُسأل هذا السؤال، ومن يعرف الإجابة عنه؟ مع ذلك فإنَّ هذا السؤال يحوم في هواء إسرائيل اليوم

(*) المقصود هجرة بني إسرائيل من مصر مع النبي موسى عليه السلام.

بشكل محسوس كما رائحة المتفجرات والجثث المحروقة بعد تفجير حافلة إلى قطع صغيرة... وحتى في الولايات المتحدة وهي أوثق حلفاء «إسرائيل» فإنَّ الثقة بإمكانية بقاء «إسرائيل» باتت ضعيفة جداً، ففي استطلاع لنيوزويك أعرب ٣٤ بالمائة فقط من البالغين الذين استطلعت آراؤهم عن اعتقادهم بأنَّ «إسرائيل» ستظل دولة يهودية حتى ٥٠ سنة من الآن، ونحو ٢٣ بالمائة قالوا إنَّهم يعتقدون أنَّ «إسرائيل» ستكون دولة مختلطة تكون فيها للفلسطينيين حصة أكبر من السلطة، فيما أعرب ١٨ بالمائة من أنَّها لن تكون موجودة»(١).

وأوردت مجلة روز اليوسف المصرية في عددها في ١/٣/٢٠٠٢ نصاً مترجماً لمقالة في صحيفة معاريف الإسرائيلية تحت عنوان «لا مستقبل لإسرائيل في المنطقة»، وجاء فيه: «تفيد المؤشرات أنَّ الشارع الإسرائيلي سيطرت عليه مشاعر الأمل مع وصول شارون للحكم لمعرفتهم السابقة به، في ما يتعلق بقمع الانتفاضة الفلسطينية. في الشهور الأولى من وصوله للحكم تم تغيير هذا الشعور إلى الرغبة في الانتقام وبالتالي تقوية الضربات العسكرية على الفلسطينيين مع بداية العمليات الفدائية القوية من جانب الفلسطينيين، ثم بدأت مرحلة ثالثة سيطر فيها الإحباط على الشارع الإسرائيلي لعدم تمكن شارون رغم وحشيته من قمع الانتفاضة كما كان متوقعاً؛ وتبلورت ظاهرة الهجرة خارج «إسرائيل» وشراء الأراضي في أوروبا والولايات المتحدة كملاذ احتياطي لهم.

يؤكد المحللون أنَّ المرحلة التي يعيشها الإسرائيليون حالياً لم يشعروا بها منذ فترة طويلة حيث يشككون بأنفسهم في قدرات

---

(١) مجلة نيوزويك: ٢/٤/٢٠٠٢.

جيشهم، ويعترفون بفقدانهم أمنهم الشخصي، خاصة بعد حادثة تدمير الدبابة الإسرائيلية «ميركافا» المتطورة جداً والتي قتل خلالها ثلاثة جنود وسط غزة مؤخراً واغتيال قائد وحدة «الدوفرفان» الإرهابية.

ومن أبرز سمات المرحلة الحالية ـ طبقاً للمحللين ـ طرح التساؤل الخاص باستمرار وجود «إسرائيل» للأبد «هل للإسرائيليين مستقبل في المنطقة»؟ والجميع في «إسرائيل» حالياً يحاولون إيجاد إجابة واضحة له»[1].

وتحت عنوان «أبناء الكبار بدأوا الهروب الكبير من إسرائيل» نقلت مجلة «آخر ساعة» عن صحيفة هآرتس الإسرائيلية تقريراً يبين حجم الهجرة المعاكسة من فلسطين نحو أوروبا وأميركا واستراليا وذلك بسبب اليأس الناجم من فعل الانتفاضة وممَّا جاء في المقالة: «إنَّ ٦٥٪ من الإسرائيليين يؤيدون فكرة الهجرة، وهناك أعداد كبيرة من الطلبة تذهب لاستكمال تعليمها في الخارج وفي نيتهم عدم العودة، وكشفت معظم الصحف الإسرائيلية أنَّ مغادرة «إسرائيل» لم تعد مقصورة على المهاجرين الجدد، وإنَّما بدأت تشمل الكثير ممَّن ولدوا ونشأوا في «إسرائيل»، كما كشفت أيضاً عن أنَّ كثيراً من أبناء كبار المسؤولين والسياسيين يعيشون الآن خارج «إسرائيل» خوفاً على حياتهم ويحظون بتشجيع أبائهم على ذلك، وقائمة أسماء هؤلاء تتضمن أفراداً من أسر رؤساء الوزراء السابقين مثل بن غوريون ومناحيم بيغن وإسحاق رابين»[2].

---

(١) روز اليوسف: ١/٣/٢٠٠٢.

(٢) مجلة آخر ساعة: ٦ آذار ٢٠٠٢.

الاقتصاد الإسرائيلي دق ناقوس الخطر، «حيث بلغت حالة الركود حداً من التدهور لم يسبق له مثيل منذ العام ١٩٥٣، وتجمع كل المؤشرات الاقتصادية على أنَّ الواقع الاقتصادي المتردي سيستمر في تراجعه إلى درجة الانكماش الحقيقي، وقد تراجعت نسبة النمو من ٦,٢٪ في العام ٢٠٠٠ إلى أقل من ٥٪ في العام ٢٠٠١ وما يقارب ٨٠٪ من رؤوس الأموال الأجنبية خارج السوق الإسرائيلية، كما كبدت الانتفاضة قطاع السياحة خسائر بمليارات الدولارات وأعلنت مئات الشركات إفلاسها وتم تسريح عشرات آلاف العمال»[١].

وتحت عنوان «أرقام ودلالات» نشرت الانتقاد لمناسبة دخول الانتفاضة عامها الرابع أرقاماً مخيفة تؤشر على فداحة الضرر اللاحق بالاقتصاد الصهيوني بسبب المقاومة والانتفاضة ومنها «خسائر مباشرة في مداخيل الكيان ٢٣ مليار دولار، كل عائلة صهيونية خسرت ١٤,٥ مليون دولار، العجز البنيوي للحكومة بلغ ١٠ مليارات شيكل سنوياً، انخفض مستوى المعيشة ١٢ في المئة نمو الاقتصاد ٠,٩٪ بعد أن كانت النسبة ٦,٤٪ عام ٢٠٠٠، ٢٨١,٠٠٠ عاطل عن العمل، توقع إغلاق ٦٠ ألف شركة تجارية حتى نهاية ٢٠٠٣»[٢]

وإذا كان الاقتصاد بالنسبة للإسرائيليين يشكل القلب، فإنَّ الأمن يمثل الرأس والدماغ، حيث تمكنت الانتفاضة والمقاومة من سلب الأمن من المجتمع الصهيوني أفراداً ومؤسسات ومستوطنات،

---

(١) الانتقاد: ٢٣/١١/٢٠٠١.

(٢) الانتقاد: ٢٦/٩/٢٠٠٣.

وتأكدت حالة سلب الأمن بعد يأس الإسرائيليين من إمكانية إعادة شارون الأمن إليهم بكل ما يمثل شارون عندهم من بطش وإرهاب.

«ينقل عاموس هرئل الكاتب في صحيفة هآرتس بتاريخ ١٩/١٢/٢٠٠١ اعترافاً لمسؤول أمني إسرائيلي رفيع المستوى يملك خبرة ٣٠ عاماً في مجال محاربة «الإرهاب» يشبه فيه كل عمليات القمع التي قامت بها الأجهزة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية في السنة الأخيرة بـ«محاولة إفراغ البحر بواسطة ملعقة»، ويتابع المسؤول عينه باعترافه قائلاً: في السياق العام، الأمر يشبه نقطة في بحر، نحن نتكلم عن بنى تحتية للإرهاب في مناطق السلطة الفلسطينية... من الواضح لنا جميعاً بأنَّه لا يوجد حل عسكري للإرهاب!!»[(١)].

بالصبر فلسطين أكثر قرباً

في العام الرابع من عمر انتفاضة الأقصى تبدو فلسطين أكثر قرباً من أي يوم مضى، فأن تثق أنت بالغلبة على عدوك شيء مهم ومساعد في طريق الانتصار، ولكن تتضاعف الأهمية عندما يثق عدوك أيضاً بانتصارك أنت وهزيمته هو.

بعدما يزيد عن ثلاث سنوات على انطلاقة الانتفاضة الثانية وتحولها إلى مقاومة حقيقية، لم يعد من مجال للشك عند أحد من عقلاء الأصدقاء أو الأعداء بأنَّ هذه المقاومة، إذا ما استمرت وتواصلت، سوف تهزم الكيان الإسرائيلي وتحقق النصر النهائي للفلسطينيين ومعهم العرب والمسلمين وأحرار العالم؛ غير أنَّ السؤال هو هل تستمر هذه المقاومة!؟

---

(١) الانتقاد: ٢٨/١٢/٢٠٠١.

هل يصرخ الفلسطينيون أولاً!؟ هذا هو السؤال الكبير الذي يتمنى الإسرائيليون والأعداء أن يكون جوابه بنعم، بل ويعمل هؤلاء الأعداء ليل نهار عبر الحيل والمؤامرات لتحقيق ذلك، ويتمنى ويأمل محبو الشعب الفلسطيني والمخلصون له أن يكون جوابه لا، وأن يصرخ الإسرائيليون أولاً لتحل عليهم بعد ذلك اللعنة الإلٰهية ويُزالون من على مسرح الوجود.

إنَّ هذه المعركة هي حرب فاصلة وقاسية ومؤلمة لطرفي الصراع ولكن ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾(١) وتحتاج هذه المعركة إلى الكثير من الصبر والتحمل والنفس الطويل وعدم ارتكاب أخطاء استراتيجية؛ وهذا هو الأمل بالشعب الفلسطيني المجاهد، وأمام هذا الشعب تجربة المقاومة الإسلامية في الصبر والتحمل حيث مرت عليها مراحل ـ لا سيما إبان مؤتمر مدريد واتفاقات أوسلو ووادي عربة وغيرها ـ لم يكن يقاتل فيها مع المقاومة في هذا العالم أحد إلاَّ الله، وكفى بالله وكيلاً، وصبرت المقاومة في لبنان وصبر أهلها معها صبراً يعجز الصبر عنه، ولا مجال هنا للإشارة إليه، بل يحتاج ذلك إلى أبحاث وكتابات مستقلة.

وكلنا ثقة بأنَّ المقاومة في فلسطين أشد صبراً من هؤلاء اليهود عبيد الدنيا، وكلنا أمل بأنَّ صبر فلسطين سيولد النصر وسيجلب الحرية لشعبها المضحي وسيلوح من عمق الألم أفق الحرية القريب والأقرب ممَّا يظن الجميع، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾(٢).

---

(١) سورة النساء، الآية ١٠٤.

(٢) سورة المعارج، الآيتان ٦ ـ ٧.

الفصل الخامس

شعاع في ليل الأمة

تمهيد

من الضعف قوة

عيد الانتصار في الأمة

شهادات وكتابات

الأمة تنتصر لحزب الله

المنار نافذة الضوء

نصر الله القيادة والمثال

المقاومة وفلسطين طريق الوحدة

تمهيد

يمكن الادعاء أنَّ الأمة العربية والإسلامية، من أكثر الأُمم غبناً وتعرضاً للظلم، لا سيما في القرون الأخيرة، فالأمة التي يبلغ تعدادها أكثر من مليار مسلم ومن بينهم أكثر من مائتي مليون عربي والتي تملك مفاتيح خيرات واقتصاد هذا العالم وتتبع خير دين أنزل للناس، دين الإسلام الحنيف، والتي يُراد لها من قبل الله تعالى أن تكون خير أمة أخرجت للناس؛ هذه الأمة بهذا التراث وبهذه المقدرات تعرضت وعبر قرون للظلم والتعدي والاستخفاف بها، ولا زالت مع الأسف على هذه الحال حتى يومنا الحاضر.

ومن سوء طالع هذه الأمة أنَّها حُرمت من القيادات المخلصة في مقطع طويل من تاريخها، وحكمت فيها دول أساءت الأمانة وفرطت بتراث الأمة وذخائرها وأمجادها، ولم تمكنها من مواكبة تطور الزمن ومجاراة الأُمم القوية كالأمة الأوروبية أو الأمة الأميركية والأمة اليابانية وغيرها، لا سيما في القرون الأخيرة كما أسلفنا.

كانت الدولة العثمانية التي حكمت أرجاء واسعة من العالمين الإسلامي والعربي المصداق الأبرز في ممارسة سياسة الجهل والتجهيل والظلم الداخلي والتخلف، لا سيما في العقود الأخيرة من عمر هذه السلطة، حيث أدت تلك السياسات والممارسات إلى

تفسخ مجتمعات الأمة وسقوطها في يد الغرب عسكرياً وفكرياً وحضارياً عبر ما عرف بحقبة الاستعمار المباشر من قبل الدول الأوروبية.

عصر الاستعمار الأوروبي لم يكن بأحسن حال من عصر التجهيل العثماني، بل كان تواصلاً للظلم وتضييعاً للأمة، وهذه المرة باسم الحضارة والصناعة والفكر والحرية، حيث ولدّ هذا الاستعمار سبباً جديداً للتجهيل إنَّما باسم العلم هذه المرة.

لم يغادر الاستعمار الأوروبي المنطقة بجيوشه حتى خلّف فيها وكيلاً لمصالحه، ألا وهو الكيان الغاصب لفلسطين المحتلة حيث ابتليت الأمة ومنذ منتصف القرن العشرين بهذا الداء السرطاني، وقصة هذا الابتلاء طويلة ومؤلمة ومعروفة، حيث مكن الاستعمار ملايين قليلة من اليهود المهاجرين إلى فلسطين من أصقاع العالم، في رقاب مئات الملايين من العرب والمسلمين، وعرَّض شعوب المنطقة العربية، لا سيما الشعب الفلسطيني لشتى أنواع العذاب والقتل والتهجير ووضعهم أمام مصير مجهول ومظلم.

ولم يكن أقل خطراً وضرراً من كل ذلك على الأمة، زرع حكَّام وأنظمة من قبل الاستعمار ـ الأوروبي سابقاً والأمريكي لاحقاً ـ أخذت دور الشرطي على شعوبها المظلومة، وقد لاقت تلك الشعوب ولا زالت من أنظمتها من الظلم والتجهيل والاستخفاف أكثر ممَّا لاقته من ظلم الأعداء الخارجيين.

هذا الظلم المتمادي، يضاف إليه إخفاق العديد من الثورات والحركات والمقاومات التي قامت في الأمة في تحقيق انتصارات تكفل للأمة خلاصها وحريتها، دفع شعوب وأفراد الأمة إلى حالة

اليأس من إمكانية الخروج من هذا النفق الطويل والمظلم، ولعلَّ حالة اليأس هذه كانت مطلوبة لأميركا و«إسرائيل» لتحقيق التطبيع بين شعوب الأمة اليائسة مع «إسرائيل».

في عتمة هذا الليل الدامس أضاء شعاع نوراني وهاج سماء لبنان والمنطقة، من خلال تحقيق أول نصر حقيقي وملموس على «إسرائيل» ومن يقف خلفها من استكبار أو يدعمها من أنظمة فاسدة مهترئة، فأحست الأمة بالروح تسري في أطرافها بعد سبات طويل، ولاح لها أمل عزيز بإمكان الانتصار على كل هؤلاء الأعداء وهزيمتهم مجتمعين وتحقيق الحرية التي طال انتظارها.

هذا الفصل مخصص لتسليط الضوء على أثر الانتصار اللبناني في الأمة وتفاعل الأمة الكبير مع هذا الحدث الذي دغدغ أحلامها وأعادها من جديد إلى عيش الأمل بغدٍ مشرق ومشرّف.

من الضعف قوة

في الحديث أنَّ الله تعالى يجعل سرَّه في أضعف خلقه، ليكون ذلك السرّ عبرة لمن يعتبر.

إحدى أهم العبر للنصر اللبناني، لا سيما في عيون أبناء أمتنا عرباً ومسلمين، كانت هذه النقطة بالذات، إذ ساد الاعتقاد ولمدة طويلة أنَّه لا يمكن للأمة أن تهزم «إسرائيل» بجيشها الذي لا يقهر وبمن يقف خلفها ومعها إلاَّ باستراتيجية عربية واحدة، وجيوش عربية وإسلامية موحدة ولذلك راح الكثيرون يبحثون عن الوحدة ليستقلوها كعربة مدرعة لتحرير فلسطين، والوحدة بعيدة، والاستراتيجية الموحدة مستحيلة في ظل أنظمة متعددة ترتهن للقرار الأميركي ومن ورائه الإسرائيلي، «فيك الخصام وأنت الخصم والحكم». . .

ولقد راقبت الأمة وعلى مدار فترات الصراع العربي الإسرائيلي مشاهد انكسار الجيوش العربية وهزائمها منفردة ومجتمعة، وحتى تلك المعارك التي انجرَّت لانتصارات عسكرية محدودة سرعان ما تحولت إلى هزيمة بفعل العمالة والتواطؤ العربي الرسمي، كما حصل في حرب تشرين (رمضان) عندما دخل السادات في صفقة مع الإسرائيليين فأوقفت الجبهة المصرية بينما الجيش السوري راح يقاتل وحيداً لتعيد «إسرائيل» الاعتبار لقواتها المهزومة في تلك الجبهة.

وحتى فعل المقاومة الذي استحوذ على تعاطف عربي وإسلامي كبير عندما انطلقت المقاومة الفلسطينية عام ١٩٦٥ لم يعد منه رجاء بعد أنْ دخلت المقاومة الفلسطينية الرسمية في متاهات كثيرة لا حاجة لذكرها هنا، أبعدتها عن هدفها المنشود.

عندما انطلقت المقاومة في لبنان عام ١٩٨٢ لم تنظر إليها الأمة على أنَّها فعل يمكنه أن يخرج بنتائج واقعية حتى على مستوى تحرير الأرض اللبنانية، ونتيجة للاعتبارات المتقدمة لم ينظر المراقبون من أمتنا إلى الانتصار عام ١٩٨٥ والذي أدَّىٰ إلى انسحاب «إسرائيل» من مساحات واسعة من الأراضي الجنوبية المحتلة على أنَّه انتصار بل نظروا إليه ـ بالمنظار الإسرائيلي ـ على أنَّه إعادة انتشار اقتضتها المصلحة الإسرائيلية؛ والسبب واضح فكيف يمكن ـ بنظر هؤلاء ـ لبضع عشرات أو مئات من أبناء شعب لبنان الضعيف والصغير والمشغول بحروبه الداخلية ومشاكله الكثيرة أن يشكلوا حالة مقاومة يمكنها أن تجبر الجيش الإسرائيلي الذي هزم الجيوش العربية، على الانسحاب من أرض عربية من دون شروط أو اتفاقات!؟

غير انَّ ثبات المقاومة في لبنان على حقها وتمسكها بالجهاد وتوجيه ضربات نوعية متتالية وهامة للعدو وجنوده من جهة، ومن جهة أخرى الاعترافات الإسرائيلية المتكررة بالعجز عن مواجهة المقاومة اللبنانية وإعلانها عن ذلك على الملأ لا سيما في حربي تموز ١٩٩٣ ونيسان ١٩٩٦ وقولها بأنَّ حزب الله قد غلبها وهزمها، وبعد ذلك إعلانها عن نيتها الانسحاب من دون قيد أو شرط، بل وضرب موعد لذلك في ٧ تموز ٢٠٠٠، جعل شعوب أمتنا يؤمنون شيئاً فشيئاً بأن ما يحصل في لبنان أمر جديد بالتوجه إليه والتعويل عليه، ولعلَّ ـ مع الأسف ـ وبسبب ثرثرة الإسرائيليين أو ما يعبرون

هم عنه بالديمقراطية وحرية التعبير والكلمة والتي أدت إلى اعترافاتهم تلك، اقتنع الكثير من أبناء أمتنا بأنَّ المقاومة قد انتصرت على «إسرائيل» في لبنان.

والخلاصة أنَّ أحد أبرز وجوه العظمة في انعكاس انتصار حزب الله اللبناني في الأمة كونه لبنانياً، أي كون المقاومة انطلقت من لبنان الصغير والضعيف، ولو فرضنا انَّ هذه المقاومة كانت في مصر مثلاً لكان الأمر يبدو طبيعياً أو أقل أهمية بكثير.

ومن هنا يمكن تفسير التعاطف الشعبي ومن ثم الرسمي العربي مع المقاومة اللبنانية في السنوات والأشهر الأخيرة قبل التحرير، بعد أن بدأت قلوب وعقول آحاد أفراد الأمة تتوجه إلى هذا «الكنز الثوري» الذي جهلته الأمة طويلاً.

وفي هذا السياق يمكن تفسير انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب في بيروت المجاهدة في شهر آذار ٢٠٠٠ (شهران قبل التحرير) واتخاذه قرارات وتوصيات يمكن أن يقال بأنَّها الأهم منذ سنوات طويلة تتعلق بدعم لبنان في مقاومته لاسترجاع حقوقه المشروعة «هذا المؤتمر جاء تتويجاً لحركة تضامن عربية واسعة مع لبنان انطلقت من الشارع لتستقر في رأس السلطة، وصدى عميقاً ومتفاعلاً مع المقاومة اللبنانية وإنجازاتها الباهرة، التي استطاعت بالفعل أن تشحن الشارع العربي بمدد معنوي جديد لم يألفه من قبل. تقول مصادر سياسية مطلعة، بأنَّ الدول العربية عموماً والدول المعنية بالتسوية تحديداً التقطت الإشارات البليغة التي بدأ يرسلها الشارع العربي وأجرت على أساسها تقويماً سريعاً مفاده أن المنطقة في حال بقاء انسداد قنوات التسوية على مختلف المسارات وفي ظل انفتاح الأوضاع لا سيما في الجنوب اللبناني على احتمالات تطورات دراماتيكية، فإنَّ المنطقة

ستشهد مجدداً سباقاً عنيفاً بين قطار التسوية وقطار التصعيد. . . من هنا فإنَّ تسارع حركة التضامن العربي الرسمي مع لبنان ومقاومته، إنَّما تجد مسوغها من ضمن هذا السياق، إلى جانب اعتبارات المصالح الجزئية الخاصة بهذا الطرف أو بذاك. . . لقد رسم البيان الختامي للقمة، مظلة سياسية مهمة فوق لبنان والمقاومة، وهو لا شك يمثل خطوة مهمة ـ وإن كانت غير كافية ـ على الطريق، لكن العبر تبقى في الأفعال، وربما تكشف الأيام عمَّا هو أفضل، إذ من كان يتوقع الذي حدث، فببركة المقاومة كبر لبنان وكبر العرب معه، والمعركة ما زالت طويلة وأمام الجميع الكثير ليعملوه، لقد كانت المقاومة رافعة العرب بالفعل، ويبدو أنَّ الرهانات عليها في المستقبل ستكون أكبر وأفعل»[١].

وتعليقاً على انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب في بيروت والنتائج الإيجابية التي خرج بها، أصدر حزب الله بياناً، وممَّا جاء فيه: «. . . إنَّ مقررات الاجتماع الوزاري العربي عكست إلى حدٍ معقول نبض الشارع العربي تجاه قضية المقاومة ورفض الهرولة نحو الصهاينة تحت ضغط الابتزاز، وأظهرت حساسية هذا الشارع إزاء المشروع الصهيوني وعقله العنصري والاستغلالي. . . وأكد البيان: أنَّ حزب الله يشكل اليوم رأس حربة لبنانية وعربية وإسلامية ضد الاحتلال الصهيوني ومشروعه في المنطقة. . . وختم البيان بالتحية والاعتزاز بوقفة الطلبة وجماهير أمتنا في كل أقطارنا العربية»[٢].

المقاومة الإسلامية في لبنان وفي السنوات الأخيرة قبل انتصار عام ٢٠٠٠ شكلت قناعة لدى قطاعات واسعة في أمتنا، وأملاً

---

(١) العهد: ١٧ آذار ٢٠٠٠.
(٢) المصدر نفسه: ١٧ آذار ٢٠٠٠.

بالانعتاق كان يكبر يوماً بيوم، لذا فقد شهدت تلك السنوات حركة تعاطف ملموسة مع المقاومة ظهرت في العديد من الأوساط العربية الحزبية والثقافية والإعلامية فضلاً عن الكثير الكثير من الحالات الفردية التي كانت تعبر عن نفسها أحياناً بالاستعداد للتطوع في القتال إلى جنب مجاهدي المقاومة الإسلامية، ولعلَّ من أبرز وجوه التعبير عن الإعجاب والدعم للمقاومة في لبنان هو تشكيل اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان ومقرها القاهرة، «حيث شكلت تلك اللجنة ظاهرة لافتة على مستوى التفاعل العربي مع جهاد المقاومة الإسلامية التي صنعت واقعاً جديداً على مستوى المنطقة، كانت نتيجة انتصار منطق المقاومة على منطق التسوية والاستسلام،... واللجنة التي أسست في مصر يوم ١/١٢/١٩٩٥ تضم في عضويتها قيادات حزبية ونقابية ومستقلين، وتعمل في إطار الأحزاب الشرعية القائمة، وأنَّها تهتم بالدعم المعنوي والإعلامي للمقاومة في لبنان»(١).

عشية الانتصار بات المسرح الجنوبي يعرض عملاً ملفتاً ومحيراً فـ«إسرائيل» تقف متوسلة بكل السبل للخروج من لبنان بلا مزيد من الخسائر بعد أن حاولت كسر شوكة المقاومة اللبنانية عبر ما يقرب من عقدين من الزمن، ولم تفلح في تحقيق ذلك رغم زجها في العمليات القتالية بخيرة ألويتها العسكرية ومعداتها الحربية، وهي التي كان يقول بعض قادتها عندما كان يوزع الألوية والفرق باتجاه حدود الدول العربية الأخرى، أمَّا لبنان فيكفيه أن نرسل إليه جنود الفرقة الموسيقية!!!

إنَّ مقولة قوة لبنان في ضعفه قلبتها المقاومة الإسلامية لتصير

---

(١) العهد: ١٤ نيسان ٢٠٠٠.

أنَّ قوة لبنان في مقاومته، وهذه معادلة صحيحة واقعية وتصلح لكل زمان ومكان.

وإذا كان لبنان الصغير والضعيف استطاع أن يولد من الضعف قوة عبر إرادة المقاومة والانتصار فلمَ لا يمتشق هذا السلاح العرب والمسلمون كأمة وهم أقوياء عدداً وعدة ومقدرات ليضيفوا إلى القوة قوة فيصنعوا بذلك مستقبلهم المشرف، هذه هي العبرة التي ينبغي أن تأخذها الأمة من انتصار لبنان الإعجازي، وهي قد شرعت بإذن الله.

عيد الانتصار في الأمة

عشية الخامس والعشرين من أيار ٢٠٠٠ بات أبناء أمتنا العربية والإسلامية حاضرين لفهم حقيقة ما سيحدث على الساحة اللبنانية الجنوبية ومن خلالها على الساحتين الإقليمية والدولية، من انتصار حقيقي وناجز للبنان، وهزيمة محققة للعدو الإسرائيلي ومشروعه الاستعماري، وكانوا حاضرين أيضاً للتفاعل مع هذا الانتصار على أنَّه انتصار لهم جميعاً، وهذا ما حصل بالفعل في أيام الانتصار المجيدة حيث كان العيد حاضراً في كل أرجاء المعمورة من خلال الجاليات الإسلامية والعربية لا سيما اللبنانية وفي العالمين العربي والإسلامي حيث العشق والاحترام لمقاومة لبنان والفرحة بانتصارها.

لقد عبر أبناء الأمة عن فرحتهم واعتزازهم بالانتصار بشتى أساليب التعبير من مسيرات الابتهاج وتوزيع الحلوى، إلى برقيات التهنئة لقادة المقاومة ولبنان مروراً بكل ما يخطر على البال أو لا يخطر من أساليب التعبير عن الفرحة والتي لا يمكن أن تصل أبداً إلى كامل حقيقة الكشف عن الشعور العظيم الذي خامر شعوب أمتنا في تلك الأيام الإلهية الطافحة بالعزة والكرامة.

ففي فلسطين المحتلة عبَّر الشعب الفلسطيني بكل قواه السياسية وقطاعاته الشعبية عن أعلى درجات السعادة بانتصار حزب الله على العدو المشترك «إسرائيل»، وذلك عبر مسيرات الابتهاج وتوزيع الحلوى بالتزامن مع أعراس النصر اللبناني، كما أرسل قادته البرقيات المهنئة بالانتصار الكبير الذي يُأمل أن يكون مقدمة لانتصار فلسطين، وقد تمت الإشارة بشكل مفصل في غضون الفصل الرابع عن مدى سرور الشعب الفلسطيني بانتصار لبنان وتعاطفه مع هذا الفتح المبين.

وفي سوريا الشقيقة والتي كان نظامها هو النظام العربي الوحيد الذي ساند على الدوام وبقوة المقاومة اللبنانية وقدم لها الدعم الكبير، عمَّت الفرحة المدن والقرى السورية كافة، وكانت أساليب التعبير الشعبي مشابهة لما حصل في فلسطين وفي الكثير من الدول العربية والإسلامية.

وقد تمكنت جريدة العهد أن تعكس شيئاً من ردود فعل الموقف الرسمي والشارع العربي السوري على الانتصار التاريخي عبر تقرير من دمشق جاء فيه: «سوريا الرسمية احتفلت على طريقتها بالنصر في الجنوب عبر وسائل إعلامها وتصريحات مسؤوليها، معتبرة أنَّ «هذا عيد المقاومة ولبنان وسوريا والعرب جميعاً» واللافت في هذا الإطار ان الصحف السورية أفردت مساحات واسعة من صفحاتها لتغطية الانسحاب الإسرائيلي، بل كادت أن تخصص صفحاتها الأولى بالكامل لهذا الحدث إضافة لما خصصه التلفزيون الرسمي، واعتبر مصدر سوري أنَّ «الانتصار التاريخي الذي حققته المقاومة الوطنية اللبنانية على «إسرائيل» هو يوم مشهود من أيام العرب لم يذوقوا طعمه منذ زمن طويل، ولذلك لا غرو أن تعمّ الفرحة كل بيت عربي»...

أحد سائقي السيارات العامة لم يستطع أن يخفي إعجابه بالحدث الكبير، ولا يجد حديثاً يفتحه مع ركابه سوى حدث الجنوب «والله شي بيرفع الرأس... رجال حزب الله حققوا مقولة ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾[1]، فيما يرد عليه أحد الركاب «بلا يهود بلا بطيخ.. قال «إسرائيل» قال...».

وثمة تعليقات وأحاديث في الجلسات المختلفة الثقافية والسياسية تحلل سياسياً وثقافياً وعقائدياً سر ما حدث حيث يقول أحد المثقفين: «ما فعله حزب الله عجزت دول كثيرة عن فعله، ولعلَّ مرد ذلك يعود إلى البنية العقائدية والفكرية التي يتبناها رجاله الذين وضعوا أمامهم هدف الشهادة أو النصر».

كما طرد مواطنون سوريون في الجولان المحتل عدداً من عناصر المليشيا اللحدية العميلة الذين فرّوا إلى فلسطين المحتلة، وذكرت صحيفة هآرتس الصهيونية أنَّ ناشطين سوريين في القرى المحتلة في هضبة الجولان وزعوا بياناً استنكاراً للذين تعاملوا مع العملاء اللاجئين، وأضافت: إنَّ مجموعة من العملاء وصلوا إلى قرية مجدل شمس وأرادوا الشراء من أحد الحوانيت، إلاَّ أنَّهم طردوا من هناك»[2].

«كما استقبل الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله في مقر الأمانة العامة وفداً سورياً رفيع المستوى برئاسة نائب القائد العام للقوات المسلحة السورية العماد أول مصطفى طلاس، حيث نقل طلاس إلى سماحته تحيات الرئيس حافظ الأسد وتهانيه

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٢) العهد: ١٦ حزيران ٢٠٠٠.

بالنصر المؤزر على العدو الصهيوني وإشادته بمجاهدي المقاومة الإسلامية الذين ضربوا أرفع الأمثلة في التضحية والجهاد»[1].

وبعد أقل من شهر على الانتصار رحل الرئيس الأسد مزهواً بانتصار حزب الله ومطمئناً على المستقبل العربي بفضل هذا النصر، المستقبل الذي عمل من أجله كل حياته، وقد استقبلت جماهير سوريا والقرداحة (مسقط رأس الرئيس الراحل) بدموع الحزن الممزوجة بالفرح مجموعات رمزية من مجاهدي المقاومة الإسلامية جاءت إلى جنب قائدها السيد نصر الله لتقديم التعازي للقيادة والشعب السوري بهذا الراحل العربي الكبير، أمَّا دموع الحزن فعلى القائد المحبوب الراحل، وأمَّا دموع الفرح فلرؤيتهم قائد المقاومة المنتصرة ومجاهديها بينهم، «فالقرداحة فتحت ذراعيها للقادمين إليها مجاهدين وقادة وفاءً وتقديراً «لأسد الصمود» وكل من كان في مجلس العزاء بدت تباشير الفرح في وجهه وكأنَّه يستقبل القائد الأسد العائد من نصر تشرين».

همس أحدهم بقربي: «لم أرَ سيادة الفريق بشار مبتسماً غير اليوم» نظرت إليه فقال «إنَّه سعيد بالمقاومة وأبطالها كما كان الرئيس الراحل»[2].

«وعلى هامش زيارة وفد حزب الله التقت «العهد» بعدد من المواطنين السوريين الذين عبروا عن فخرهم بالمقاومة ومجاهديها، جمال يوسف قال «الله يبارك فيكم، أنتم لكم الشكر العظيم، كانت بسالتكم رائعة، وأنتم من طرد العدو وكلنا على طريق الأسد».

---

(١) العهد: ٢ حزيران ٢٠٠٠.

(٢) العهد: ٢٢ حزيران ٢٠٠٠ أمير قانصو.

غسان محمد قال: «نرحّب بكم، والله يبارك بجهودكم ونضالكم، كان لكم الدور الكبير في تحرير الجنوب وإن شاء الله عن قريب يتحرر الجولان بقيادة الفريق بشار الأسد».

تقاطعه الفتاة باسمة الشيخ أحمد من طرطوس: «بركة لنا أن حضرنا هذه اللحظة التي جاءت فيها المقاومة، ونحن كلنا نتابع أخبارها ونفتخر أنّنا من سوريا ورئيسنا حافظ الأسد والمقاومة واحد».

نديم عبود مدير ثانوية طرطوس قال: «أنجزتم عملاً تاريخياً وبطولياً نادراً نعتز به جميعاً»[1].

الشعب العربي في الخليج كان بادي الفرحة، رافعاً الصوت بالتهاني للمقاومة وقائدها، وخاصة أنَّ «إسرائيل» وأميركا جهدتا في فترات سابقة بالإيحاء بأنَّ دول الخليج العربي وشعبها قريب من التطبيع والعلاقة بـ«إسرائيل»، فكان انتصار حزب الله ـ لبنان على «إسرائيل» فرصة مناسبة لتعبر أبناء هذه المنطقة العربية عن عدائها للكيان الغاصب وشوقها لرؤية فلسطين والجولان وكل المناطق المحتلة محررة من الاحتلال على خطى لبنان المنتصر.

وكتعبير صادق عن التعاطف مع حزب الله ومقاومته زار وفد شعبي كويتي الأمين العام لحزب الله مهنئاً بالانتصار، ولم يكن لقاء أول وفد شعبي عربي مع قائد المقاومة الإسلامية في لبنان بعد انتصارها على الاحتلال لقاءً عادياً، بقدر ما كان لقاءً استجمع في طياته سنوات طويلة من الحب والشوق الذي اختزنه أبناء العرب

---

(١) العهد: ٢٢ حزيران ٢٠٠٠.

لمجاهديهم في الخطوط الأمامية من الجبهة. الكويتيون الذين جاؤوا إلى لبنان ممثلين للشعب الكويتي بمجمله هم مثلوا أيضاً كل أبناء الخليج.. إلى الشمال الأفريقي.. هم جاؤوا يمثلون العرب لأنَّه اتيح لهم أن يعبروا في عالم ترسخت الهزيمة في جنباته، فلم تعد عيناه تتسعان للون النصر، سماحة السيد نصر الله وببسمته الهادئة قدم النصر إلى كل العرب وقوبل ذلك من الكويتيين بالتحية للمقاومة وشهدائها وقادتها وقال أحد أعضاء الوفد البارزين «لقد رفعتم رؤوسنا عالياً يا سيد».

سماحة السيد نصر الله ردَّ التحية بالمثل، وقال للوفد: «قد تسمعون ممَّن تلتقونهم في لبنان طلباً للمساعدة للنهوض بالمناطق المحررة.. لكن ما نطلبه نحن منكم هو غير ذلك، أن تكون الكويت حصناً صلباً لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني»، فصفق الوفد له طويلاً وبادره أحد أعضاء الوفد بأنَّ هيئة من هذا النوع جرى تشكيلها قبل فترة.

وتحدث باسم الوفد النائب جاسم الصقر الذي هنأ السيد نصر الله باسم الشعب الكويتي بالانتصار الكبير الذي حققته المقاومة على العدو، مشدداً على أهمية هذا الانتصار التاريخي بعد سنوات طويلة من الخيبة والمعاناة في الشارع العربي»[١].

وكان لبعض الصحف الخليجية تعليقات عاطفية ووجدانية، أبت إلاَّ أن تشارك لبنان فرحة النصر من خلالها، ومنها ما جاء في صحيفة الراية القطرية: «إنَّها بطولة المقاومة، إنَّه الجهاد.. دم

---

(١) العهد: ١٦ حزيران ٢٠٠٠.

الشهداء... الجحيم الذي نصبه حزب الله لقوات الاحتلال... النيران التي حاصرتهم وجاءتهم في كل ركن ومن كل اتجاه وخرجت من تحت كل حجر.. «إسرائيل» التي هزمت جيوشاً عربية نظامية في أكثر من حرب، لم تضع رجال المقاومة في حسبانها، وكانت تظن أنَّ عملية واحدة تقوم بها قواتها ستقضي عليهم جميعاً، ولكنَّها فوجئت بنوع جديد من الرجال مسلحين بالإيمان، مؤمنين بعزيمة الجهاد وببذل أغلى ما يملك الإنسان... وهو روحه وماله وولده، إنَّهم رجال يتنافسون على الاستشهاد».

وكتبت صحيفة «الرياض السعودية» تحت عنوان «الهروب السريع»: «يصعب على محلل سياسي أو مراقب للأحداث إلاَّ أنَّ تبهره صلابة الموقف اللبناني وقوة مقاومته لأنَّها درس لكل عربي شهد تطورات ما يقرب من ربع قرن على احتلال «إسرائيل» للجنوب، فلبنان الذي عاش حالات الانكسار والتسليم «لإسرائيل» وطرح خيار السلام عنواناً لجأت إليه مختلف الحكومات بمبدأ واقعية الحل الذي جعل الحرب أو المقاومة مستحيلتين، أفرز لبنان كظاهرة طبيعية مجسداً مقولة أو شعاراً عربياً غائباً إنَّ ما يؤخذ بالقوة لا يسترد إلاَّ بالقوة»(١).

الأردن الشقيق لم يكن بعيداً عن الحدث الكبير، بل أصر هذا الشعب أن يعبر عن مدى عشقه للمقاومة المنتصرة في لبنان من خلال زيارة وفد شعبي ونقابي كبير للبنان، وقد جال الوفد على المناطق المحررة ورشق الحجارة على الجنود الإسرائيليين عند بوابة «فاطمة» الذين ردوا بإطلاق النار وجرح اثنين من أعضاء

---

(١) العهد: ٢ حزيران ٢٠٠٠.

الوفد الذين زادهم الحادث إصراراً على التحدي لهذا العدو والإيمان بأنَّه عدو لله وللوطن وأنَّه عدو جبان وغدار على ما قالته والدة أحد جرحى الوفد المهندس علي أبو سكر، وكان الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله قد استقبل الوفد الأردني الكبير، حيث «قدم الوفد تهانيه الحارة بالانتصار الكبير الذي حققته المقاومة على العدو الإسرائيلي في الجنوب، وألقى النقباء كلمات أعربوا فيها عن اعتزازهم وافتخارهم بمجاهدي حزب الله الذين حققوا هذا الانتصار وهذه العزة وطردوا العدو الإسرائيلي الذي لم ينسحب من جنوب لبنان بإرادته بل اندحر مذلولاً، مؤكدين رفضهم الحلول الاستسلامية، وقالوا إنَّ الأرض لا تحرر إلاَّ بالقوة، وأنَّ الطريق الوحيد لتحرير كل الأراضي العربية ولتحرير فلسطين من البحر إلى النهر هو الجهاد والمقاومة، معتبرين أنَّ درس المقاومة الإسلامية في لبنان سيكون بلا شك عنوان المرحلة المقبلة للأمة العربية.

بدوره شكر السيد نصر الله الوفد على مجيئه إلى لبنان وتهنئته بالانتصار، وشرح لهم تجربة المقاومة الإسلامية... وأكد أنَّه يمكن لتجربة المقاومة الإسلامية في لبنان أن تكون مثلاً يحتذي به الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الأخرى في مواجهة الكيان الصهيوني... ولفت سماحته إلى أهمية انخراط الشعوب العربية في مقاومة التطبيع»(١).

مصر العروبة لم تكن ببعيدة أبداً عن عيش الفرحة والأمل بهذا الانتصار التاريخي، حيث عبر الشارع المصري عن فرحته بإقامة

---

(١) العهد: ٢٠٠٠/٦/٣٠.

الندوات والاحتفالات والكتابة على أعمدة الصحف والمطبوعات، وقام العديد من الشخصيات المصرية الصحفية والفنية والسياسية بزيارة لبنان والتقوا قائد المقاومة موجهين له التهاني بالانتصار العظيم، وقد تحدث لأسبوعية العهد حول رد فعل الشعب المصري إزاء الانتصار اللبناني المنسق العام للجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان، د. سيد أحمد، وممَّا قاله: «كان هناك فرحة كبيرة لدى الشعب المصري بجميع شرائحه السياسية والاجتماعية والدينية، وهذه الفرحة كانت حقيقية، وليست مصطنعة، لأن أحداً لم يدفع أحداً آخر لأن يفرح، وإنَّما عاش الناس هذه الفرحة بعد سبعة وعشرين عاماً من الشعور بالهزيمة ابتداءً من حرب أكتوبر (تشرين) ١٩٧٣ حتى هذه اللحظة، الشعور العام على مستوى الشعب المصري تمثل في هذه الفرحة، أمَّا على مستوى مؤسسات وأشكال التنظيم الاجتماعي والسياسي المصري فإنَّ الفرحة كانت أكثر تعبيراً في مواقف الأحزاب السياسية المصرية، وكذلك في مواقف الصحف الرسمية والحزبية والمستقلة، وكان ذلك الفرح واضحاً أيضاً في بعض النقابات وأبرزها نقابة الصحافة والمحررين»[١].

السودان أيضاً كان له وقفة مع الانتصار اللبناني عبر عنها الرئيس السوداني عمر البشير الذي التقى في دمشق بأمين عام حزب الله السيِّد حسن نصر الله على هامش التعزية بالرئيس الراحل حافظ الأسد، حيث قدم الرئيس البشير باسمه وباسم الشعب السوداني أطيب التهاني إلى حزب الله والمقاومة الإسلامية والشعب اللبناني

(١) العهد: ٢٣ حزيران ٢٠٠٠.

كافة بالانتصارات الكبيرة التي حققتها المقاومة في لبنان حيث أصبحت نموذجاً يحتذى به على مدى الوطن العربي والإسلامي.

الجمهورية الإسلامية في إيران والتي كانت بحق نظاماً وشعباً ومؤسسات شريكاً في النصر اللبناني من خلال الدعم المعنوي والسياسي والإعلامي والمادي والديبلوماسي للمقاومة وعبر كل مراحلها، كانت قد عاشت فرحة الانتصار على المستويين الرسمي والشعبي منذ اللحظات الأولى للإعلان عنه، وكأنَّ هذا الحدث قد حصل في إيران نفسها، فقد نزل الشعب الإيراني العظيم إلى الشوارع والمساجد والحسينيات في جميع المدن والقرى الإيرانية، وعبر عن عظيم فرحته بتوزيع الحلوى وإطلاق التكبيرات ومآذن المساجد «وتصادفت هذه المناسبة العظيمة مع الذكرى السنوية لتحرير خورمشهر، فكانت الفرحة فرحتين، فيما أعرب العديد منهم «للعهد» بأنَّ فرحتهم بعودة الجنوب اللبناني لأهله تفوق فرحتهم بتحرير خورمشهر، وانَّ جنوب لبنان قد حرره الله تعالى على أيدي المجاهدين في المقاومة الإسلامية الأبطال».

ووجه ولي أمر المسلمين آية الله العظمى الإمام الخامنئي رسالة بارك فيها للشعب والحكومة اللبنانية ولمجاهدي المقاومة الإسلامية بالانتصار الكبير على الكيان الصهيوني، واصفاً الانتصار بأنَّه ثمرة من ثمار المقاومة الإسلامية والبطولية للشباب اللبناني، واعتبره ظاهرة لا سابقة لها مليئة بالدروس والعبر.

وأضاف: «إنَّ الانتصار المشرف يعلم الجميع أنَّ الطريق الصحيح للتحرير والاستقلال يتحقق من خلال الشجاعة المستندة إلى الإيمان ووعي الشباب بعدالة قضيتهم، وأكد سماحته أنَّ انتصار

المقاومة الإسلامية في لبنان مثل انهياراً للمعادلات السياسية والحسابات المادية التي كان يرتكز عليها العدو ويظن أنَّه لا يندحر ولا شك في أنَّ هذه تجربة كبرى حريٌ بالشبان الفلسطينيين والعرب الاستفادة منها»[1].

كما تجلَّت محبة الشعب والقيادة في إيران الإسلام لحزب الله ولبنان والتقدير لانتصاره من خلال الاستقبال الشعبي والرسمي الحافل الذي لقيه قائد المقاومة السيد حسن نصر الله والوفد المرافق بعد أسابيع من الانتصار التاريخي، وقد كانت هناك لقاءات رسمية وشعبية مميزة تعبر عن العاطفة الصادقة لدى هذا الشعب الثوري والمضحي تجاه المقاومين اللبنانيين الذين حققوا نصراً مدوياً على «إسرائيل» «وفي اليوم نفسه الذي وصل فيه الوفد استقبله ولي أمر المسلمين الإمام السيد علي الخامنئي في بادرة تكريم لافتة، وكان اللقاء حاراً وودياً تحدث فيه الإمام الخامنئي عن الانتصار الذي حققه حزب الله مهنئاً الشعب والمقاومة الإسلامية في لبنان قائلاً: إنَّ هذا النصر هو تحقيق للوعد الإلٰهي لأولئك الذين نصروا الله.. ووصف قائد الثورة الإسلامية حزب الله بأنَّه يعتبر الخط الأمامي للعالم الإسلامي في مواجهة العدو الصهيوني... وأشار سماحته إلى العزم القاطع للجمهورية الإسلامية وجميع مسؤولي النظام والشعب في دعم المقاومة الإسلامية والشعب الفلسطيني المسلم، وقال: إنَّ دعم الجمهورية الإسلامية لحزب الله هو دعم معنوي نابع أساساً من عامل الوحدة الإيمانية، وحركة حزب الله هي في حدِّ ذاتها مجموعة متكاملة وتتخذ قراراتها بشكل مستقل.

---

(١) العهد: ٢٦ أيار ٢٠٠٠.

بدوره هنأ السيد نصر الله خلال هذا اللقاء قائد الثورة الإسلامية بالانتصار العظيم الذي حققته المقاومة، وقال مخاطباً الإمام الخامنئي، في الحقيقة انَّ صاحب هذا الانتصار العظيم هو سماحتكم بما قدمتموه من دعم معنوي للمقاومة بصفتكم ولي أمر المسلمين بعد الإمام الخميني رضوان الله عليه، كما هنأ الشعب والحكومة الإيرانية بهذا الانتصار، مؤكداً أنَّه وعد من الله، وقال إنَّ التضحية والتضامن والوحدة بين الحكومة والمقاومة الإسلامية هي العامل الرئيسي في الانتصار على العدو الصهيوني.

وقد قام وفد قيادة حزب الله يترأسه الأمين العام السيد حسن نصر الله بزيارة مرقد الإمام الخميني في جنة الزهراء في طهران، للاعراب عن الاحترام والتقدير لروح الإمام المقدَّس ووفاءً لخطه ونهجه الذي كان أساساً في بث روح المقاومة والجهاد اللذين صنعا النصر على العدو الصهيوني في لبنان.

واستعرض الوفد حرس الشرف ووضع إكليلاً من الزهر على ضريح الإمام المقدَّس، وتلا سورة الفاتحة عن روح الإمام، وقد كتب السيد نصر الله في سجل الشرف الكلمة التالية: باسم كل مجاهد وجريح في المقاومة الإسلامية نبارك لإمامنا الخميني الكبير هذا النصر الإلٰهي، ونجدد لروحه الطاهرة المقدَّسة بيعة وعهداً على مواصلة طريقه وجهاده حتى تحقيق الأهداف الإلٰهية المقدَّسة»[1].

من جهة أخرى «حملت الزيارة التي قام بها وزير خارجية الجمهورية الإسلامية الدكتور كمال خرازي إلى لبنان الأسبوع

---

(١) العهد: ٧ تموز ٢٠٠٠.

الماضي (الأسبوع الأول للانتصار) الكثير من الإشارات والدلالات كونها الزيارة الأولى التي يقوم بها مسؤول على هذا المستوى إلى بيروت بعد إنجاز التحرير للأراضي اللبنانية... وأخذت الدلالات بعداً أكثر عمقاً من خلال الجولة التي قام بها الوزير خرازي في عمق المنطقة المحررة ليكون بذلك أول مسؤول غير لبناني يشارك أهالي المنطقة المحررة فرحة الانتصار، ورأى المراقبون في هذه الزيارة تأكيداً من الجمهورية الإسلامية الإيرانية على الوقوف إلى جانب لبنان في السراء والضراء واعتزازاً بالنصر الذي حققه الشعب اللبناني ودولته على العدو الصهيوني، وشدد خرازي على انَّ هذا الانتصار سوف يدوم وسوف نشهد الفخر والرفعة للبنان مستقبلاً»[1].

«وكان سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله قد التقى بالرئيس الإيراني السيد محمد خاتمي على هامش التعزية بالرئيس الراحل حافظ الأسد في دمشق، حيث بارك السيد خاتمي للأمين العام ولقيادة وكوادر حزب الله والمقاومة الإسلامية الانتصارات التي أدت إلى تحرير لبنان من دنس الاحتلال الإسرائيلي»[2].

إنَّ ما ذكرناه من أجواء التفاعل العربي والإسلامي مع انتصار حزب الله في لبنان ما هو إلاَّ محاولة للكشف عمَّا حصل في الأمة من أجواء فرحة واستبشار بنصر الله الذي يعز به من يشاء والذي نأمل أن يعم عالمنا العربي والإسلامي قريباً، وحيث لا يمكننا استقصاء البحث والاستكشاف أكثر ممَّا قمنا به اعتماداً على

---

(١) العهد: ٢ حزيران ٢٠٠٠.

(٢) العهد: ١٦ حزيران ٢٠٠٠.

المطبوعات المتوفرة لدينا، فإنّنا نعتذر من جميع الشعوب والشخصيات والهيئات في الدول العربية والإسلامية التي لم نأت على ذكرها بالاسم لتقصيرنا أو قصورنا، ونحن نعلم على كلٍّ حال بأنَّ كافة أبناء أمتنا في كافة الأقطار الإسلامية والعربية قد اعتمرت قلوبها حباً وامتلأت صدورها فرحة لانتصار حزب الله في لبنان، فجزاهم الله خيراً، وهنيئاً لهم جميعاً هذا الانتصار التاريخي.

شهادات وكتابات

الانتصار التاريخي لحزب الله على «إسرائيل» عام ٢٠٠٠ شكل حافزاً للعديد من المثقفين والصحفيين والسياسيين العرب والمسلمين لإجراء القلم رصداً للحدث الكبير واستجلاءً لدلالاته المهمة وتأثيراته المنتظرة على كل الواقع العربي والإسلامي في المستقبل، وقد عبرت تلك الكتابات والمواقف عن عمق الحقيقة ومستوى التفاؤل الذي يأمله الجميع بأن يكون هذا الانتصار مقدمة لانتصارات متتالية في المنطقة توصل في النهاية إلى النصر النهائي وتحرر الأمة من كل ما أعاق انطلاقتها لتكون خير أمة أُخرجت للنَّاس، وأمة وسطاً بين الأُمم.

ونحن وإن كنَّا لا نستطيع أن نحيط بكل ما كتب أو نشر حول دلالات ونتائج هذا الحدث التاريخي، فإنَّنا ننتخب أجزاءً من بعض المقالات والكتابات التي نرى أنَّها تفي بالغرض على أهمية جميع ما كتب في هذا المجال.

تحت عنوان «ماذا بعد الانسحاب»، كتب الدكتور أحمد نوفل في مجلة السبيل مقالة جاء فيها: «إنَّ مصدر قوة الأمة في إيمانها، وإنَّ نصرها رهن الإرادة التي يشكلها هذا الإيمان، وقدرتها

اللامحدودة على التضحية واسترخاص الموت، لأنّ هذا الإيمان يوطن النُّفوس على أن لن يصيبنا إلاَّ ما كتب لنا... وقد تحقق نصر الجنوب لوجود هذه المعاني في النُّفوس، فكان أن تغلّب الضعف المدمج بالمبادىء على القوة والغطرسة المدججة بالسلاح والعارية من مثل هذه المبادىء... باختصار إنَّ قوتنا في استعداد إنساننا للتضحية، وإنَّ ضعفنا في اختراق جبهتنا وموالاتها للأعداء وائتمارها بأمرهم. وقديماً قال ابن غوريون: إنَّ أقوى أسلحتنا فرقة العرب... والسؤال الذي نختم به: هل يرتفع الجميع وعياً وولاءً وإرادة للمحافظة على نصر عزيز تمّ بثمن غالٍ، أم نبدده في حمأة العصبيات والسياسات الموغلة في التآمر!؟»[1].

وفي مقالة للكاتب السوري موفق نيربية في صحيفة الحياة تحت عنوان «استجلاء الانتصار الجنوبي»، نقتطف ما يلي: «هو انتصار للأمة لأنَّه نموذج انتصار ممكن ووارد، وباعث على الأمل بالنهوض، إنَّه انتصار على مشاريع التمزيق التي نسمع عنها أو نرى أثار أقدامها أنَّىٰ مشينا منذ ثلث قرن، وقبل كل شيء آخر هو انتصار للأمة، إنَّه انتصار للبنان الجميل المرح الديمقراطي الخالي من العقد، ملجأ العرب معنوياً ومادياً وقرَّة عينهم»[2].

وتحت عنوان «باراك يهرب من لبنان والمقاومة تفرض شروطها»، أوردت مجلة «فلسطين المسلمة» ما يلي: «التاريخ كان هناك متهيئاً على اتساع سطوره، يرقب تفاصيل مشهد لا يحتمل الغفلة أو النعاس، فالغزاة الذين يفرون كالأرانب المذعورة إلى داخل الأراضي الفلسطينية

---

(١) مجلة السبيل.
(٢) جريدة الحياة.

المحتلة كانوا سادة الموقف طوال خمسة عقود، والجنرال الذي يتحدث عن نهاية مأساة جنوده في لبنان، هو ذاته الذي كان قبل أسابيع يتحدث عن دولته الأقوى في الشرق الأوسط... كانت أيام ذل كما وصفتها الصحافة الإسرائيلية، فيما كان على لبنان ومقاومته وشعبه أنْ يحتفلوا بالنصر كأجمل ما يكون الاحتفال...

يا الله ما أجمل الانتصار، وما أجمل تلك اللحظات التي كانت الأمة تغسل فيه عار الأجيال، وتذيب ما تكدس في الحلوق من مرارة الهزيمة والخيانة، كان نصراً يليق بهذه الأمة، وهزيمة تليق بأبشع الغزاة... كان نصراً ستذكره الأجيال، فيما هو هزيمة ستزرع خنجراً في قلوب الغزاة، إنَّها أيام فرح عظيم لأمة لم تعرف الاستسلام يوماً، وعبثاً حاول باراك أن يحولها إلى أيام أزمة، كل شيء في المدى اللبناني والعربي كان على موعد مع الانتصار العظيم، الذي يجب على الأمة أن تحتفل به لشهور طويلة، وتحوله إلى فرصة لإعادة الاعتبار لخيار المقاومة من أجل شطب المشروع الصهيوني من المنطقة»[١].

كذلك وتحت عنوان «دروس من الانسحاب الإسرائيلي»، كتب الدكتور أحمد نوفل في مجلة السبيل مقالاً جاء فيه: «انسحاب «إسرائيل» من الجنوب اللبناني، وانهيار جيش العملاء حدث كبير ينبغي ألا يمر دون أن يتملاه عقلاء الأمة، ويستخلصوا منه العبر الغالية والدروس الكبيرة...

أول دروس الانسحاب: تصديق الوعد الإلٰهي بالواقع العملي لا بمجرد اليقين القلبي، أنَّ الجهاد لا ينتهي بإذن الله إلاَّ بالنصر.

---

(١) مجلة فلسطين المسلمة.

ثاني الدروس: أنَّ اليائسين ينبغي أن يراجعوا أنفسهم، وأنَّ المؤمنين ينبغي أن يزدادوا يقيناً ويتسلحوا بمزيد من الأمل والاستبشار، وأنَّ الأمر أيسر ممَّا يتوقعون، وأنَّه أقرب ممَّا يظنون.

وثالث دروس الانهزام: أنَّ الأمة مستودع طاقة لا ينفذ، ومعين قوة لا ينضب، ومسكين من استعان بأعداء الأمة، وترك هذا المعين، والأمة بفضل الله لا تموت ولا تنهزم، ولكنَّها لم تكن تخلى لتتجلى، لم تكن تتاح لها الفرصة، فإذا علمت أنَّ المقاومين (في لبنان) في حدود الألف وخمسمائة فقط فماذا يكون الحال لو انطلقت الأمة من عقالها!؟

وتحت عنوان «انتصار حزب الله» كتب الدكتور بشير نافع في مجلة «القدس العربي» مقالاً جاء فيه: يجيء انتصار حزب الله، وبغض النظر عن حجمه وخصوصيته وأثره على توازن القوى، انتصاراً لخيار المقاومة وتوكيداً جديداً على دروس تاريخنا الحديث من أنَّ خيار المقاومة يأتي في النهاية بإنجازات حقيقية وملموسة، وذلك فوق دوره الهائل في إعادة البناء الروحي للأمة، وفي إعادة الحيوية لقواها. وفي ظل الوضع المأساوي الذي يعيشه المفاوض الفلسطيني، وفي ظل التعنت الإسرائيلي الذي يواجه المفاوض السوري، يعيد انتصار حزب الله الاعتبار لخيار المقاومة والمواجهة ويذكرنا بأنَّ عقد التسعينات لم يكن إلاَّ فترة قصيرة وعابرة في تاريخنا، سرعان ما انتهت... انتصار حزب الله يعيد الاعتبار لدور الإسلام السياسي في حياتنا، ويقدم تعريفاً قاطعاً وجلياً لما هو الإسلام المسلح، كيف ولماذا وتحت أي ظرف يحمل السلاح، وضد من ينبغي أن يوجه؟ هذا الانتصار يرسم خطاً فاصلاً بين حق مقاومة الاحتلال الأجنبي ودور الإسلام العظيم في هذه المقاومة،

وبين العنف السياسي اليائس في بلدان العالم الإسلامي الذي لن ينجم عنه إلاَّ الدماء والانقسام والمزيد من العنف»[١].

وتحت عنوان «لبنان المنتصر» كتب السفير محمود شكري مقالاً في صحيفة الأهرام المصرية وجاء فيه: «في اليوم المشهود للانسحاب الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية عشت مع القنوات الفضائية يوماً ممتعاً أعادني إلى رحاب عامي ١٩٥٦ و١٩٧٣، ولم أشعر أني أراقب حدثاً وإنَّما أعيش لحظة نصر تدمع فيها الأعين ويخفق فيها القلب بنبضات النشوة، وعشت مع أهالي الجنوب المحرر لحظة العودة إلى تراب وطنهم بعد طول ترقب وانتظار، وتدفق الدم من عروقي وأنا أشاهد غضب الأهالي وهم يقتحمون معتقل الخيام.. وكم كانت الفرحة باللقاء ممتعة وهي تجمع بين الأهل والمعتقلين... ودار بي الفكر وأنا أرى الجنود الإسرائيليين يتراجعون هرباً وهلعاً أمام إرادة شعب مسالم لم يكن له باع في الحروب العربية ـ الإسرائيلية، ولم يعرف يوماً أنَّ لديه جيشاً قوياً، فلبنان دولة صغيرة مساحة وتعداداً، تعتمد في الأساس على اقتصاد الخدمات كمصدر حيوي لميزانيتها وكمورد رئيسي لدخل مواطنيها... ولم يسع لبنان على مر العصور المشاركة في الحروب الإسرائيلية العربية، إلى أن فرضت عليه الظروف قسراً أن يدخل كطرف أساسي في هذه الحرب من أوسع أبوابها، وأصبحت بيروت أول عاصمة عربية تحتلها الجيوش الإسرائيلية.

والآن يعيش لبنان واقع الانتصار الحقيقي على الإرادة الإسرائيلية لتصبح المقاومة اللبنانية هي المعول الذي حطم أسطورة

---

(١) القدس العربي.

الجيش الإسرائيلي الذي لا يهزم، وقد هزم أمام الإرادة اللبنانية الشعبية، فانسحب دون أي إنجاز ودون شروط.

أليس هذا نصر عظيم يفخر به كل مواطن عربي عاش في حياته مرحلة الصلف والتجبر الإسرائيلي، ثم شاهد بعينه الآن لحظة الهزيمة الإسرائيلية ماثلة أمامه، ورأى «إسرائيل» تداري هزيمتها بشعار تافه وهو انتصارها بالخروج من المستنقع اللبناني بأقل قدر من الخسائر، بعد أن فقدت على التراب اللبناني ١٢٦٠ جندياً إسرائيلياً.

إنَّ اعتبار يوم ٢٥ أيار رسمياً في لبنان يوم النصر للبنان هو أقل من الواقع الذي يستحقه الحدث من تكريم»[(١)].

وفي صحيفة الرياض السعودية كتب عبد العزيز الجار الله تحت عنوان «الذين فروا ليلاً»: «... الحقيقة العربية التي تم تحييدها سنوات طوال بدأت بإذن الله تتحقق، هذه الحقيقة المغيبة «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلاَّ بالقوة» وأبطال المقاومة الجنوبيون دحروا شعارات كثيرة كنَّا نعتبرها حقيقة على أرض الواقع كان آخرها «سلام الشجعان»، فما قاله أبطال المقاومة فرغ أي شكل من أشكال السلام الذي لا يحمل قوة دفع... ما فعلته المقاومة الإسلامية في الجنوب اللبناني هو أنموذج في ضرب العنجهية الإسرائيلية وأنموذج للإرادة الشعبية التي لم ترضخ للإرادة الإسرائيلية والقرار الأميركي، وأنموذج يجب أن نتعلمه في تعاملنا مع الأحداث مستقبلاً»[(٢)].

وتحت عنوان «عدوى المقاومة»، نشر الشاعر محمود درويش في أسبوعية العهد: «نحب لبنان اليوم أكثر، لأنَّه انتصر على ثقافة

---

(١) جريدة الأهرام المصرية.

(٢) جريدة الرياض السعودية.

الهزيمة المتفشية في مواعظ النخب العربية التي حولت مفهومي التضحية والحرية إلى مادة يومية للسخرية.. ونصفق للبنان الجميل، ونصفق له بلا تورية ولا تأويل لأنَّه انتصر على خرافته، على ضعفه الفولوكلوري المراوغ، وانتصر على أسطورة الاحتلال الإسرائيلي الذي لا يخضع. إنَّ تداعيات الانسحاب وغيرها لن يوقف عدوى الأمل الكبير الذي أيقظه لبنان الصغير في قارة عطشى إلى الحرية، وما دامت ثقافة المقاومة جزءً من نسيج المجتمع فإنَّ الانسحاب ممكن.. ولا تحتاج البلاغة إلى بليغ»(1).

تحت عنوان «رسالة من الجنوب اللبناني» كتب فتحي قريشي في جريدة الوطن الكويتية مقالاً جاء فيه: «الرسالة واضحة الخط سهلة العبارة، وردت إلى كل الأمة العربية من جنوب لبنان، فسلام على من كتب الرسالة، وسلام على من أرسلها، وسلام على من أحسن قراءتها، الرسالة تتلخص في جمل بسيطة «إنَّ إرادة الشعوب لا تقهر، وإنَّ الحق لا بد أن ينتصر، وإنَّ الأمة العربية لن تموت، وإنَّ السلاح الفاعل في المعركة مع صهيون هو الإيمان». إلى من يهمه الأمر:

١ ـ السيد أبو عمار: لا المفاوضات، ولا مجلس الأمن، ولا القرار ٤٢٥ هو الذي حرر الجنوب، وكذلك لا المفاوضات العلنية والسرية ولا المجتمع الدولي ولا حكومة العمل أو الليكود سترد شبراً من أرض فلسطين، ولن تضع حجراً في بناء الدولة الفلسطينية، ولن يحرر فلسطين أو يقيم دولتها إلاَّ أيادٍ طاهرة متوضئة وأنفسٍ تحرص على نيل الشهادة...

---

(١) العهد: ٢ حزيران ٢٠٠٠.

٢ ـ إلى كل دعاة التطبيع والاستسلام والهرولة إلى أحضان الهزيمة من القادة وأصحاب الأقلام والإعلام والفن، هل وصلتكم الرسالة؟ وهل أدركتم اللغة التي تجيد التخاطب مع اليهود إنَّها لغة القوة، فـ«إسرائيل» لن تفهم سوى هذه اللغة وهي لم تخاطبنا يوماً بسواها فخاطبوها ولو مرَّة بهذه اللغة وسوف ترون النتيجة. . .

٣ ـ إلى كل من يظهر أو يضمر عدواناً من بني جلدتنا، وإلى كل من يتطاول على الدين ويظهر أنَّه مسلم، كفاكم حرباً لله ولرسوله وللمؤمنين، وانظروا كيف فعلت كلمة «لا إله إلاَّ الله» في الجنوب اللبناني. . .

٤ ـ إلى كل المؤمنين والشرفاء في هذه الأمة، إنَّ الله لن يترككم، إنَّه يتجلى عليكم بالآيات ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾[1] . . . وسلام على لبنان وشعبه وهنيئاً للمؤمنين بنصر الله»[2].

تحت عنوان «درس الجنوب» كتب عاطف الجولاني في «السبيل» الأردنية جاء فيها: «نعم «إسرائيل» يمكن أن تهزم وتندحر، والعرب يمكن أن يحققوا نصراً. . . هذا هو الدرس الأكبر الذي أبرزه نصر المقاومة وهزيمة الاحتلال وفلوله العميلة في الجنوب.

لقد بذل دعاة الاستسلام والهزيمة، جهوداً مضنية طوال خمسة عقود كاملة لتسويق منطق الهزيمة، وتحطيمنا داخلياً وتكريس أسطورة العدو الذي لا يقهر، وإقناعنا بأنَّنا كعرب لا نقدر على

---

(١) سورة يوسف، الآية ١١٠.

(٢) جريدة الوطن الكويتية.

تحقيق النصر، ولا نصلح إلاَّ للهزيمة والذل والانكسار، حتى غدت أمثالنا تتحدث بازدراء عن العرب والعروبة التي باتت رديفاً لدى البعض لمصطلحات الضعف والفشل.

وخلال أيام بل ساعات قلائل، كانت سواعد المقاومين الأبطال في الجنوب تحطم أسطورة العدو الذي لا يقهر، وتنسف منهج الهزيمة ومنطق الانكسار وواقعية الذل وتقتلعه من جذوره، فإذا بالعدو ليس أكثر من أسطورة خرافية من ورق أو خزف يمكن تمزيقه أو كسره... نصر الجنوب دفع الكثير من الأمل المفقود إلى قلوب تعطشت منذ عدة عقود للنصر، ولا شك في أنَّ العقلية والنفسية العربية لن تقبل بعد اليوم أن يسوق عليها الرسميون مبررات الهزيمة والتنازل والاستجداء، فقد تجرعت الأمة من ذلك الكثير حتى أشبعت وأترعت ولسان حالها يقول: كفانا ذلاً»[١].

الأمين العام لجبهة العمل الإسلامي في الأردن الدكتور عبد اللطيف عربيات تحدث «للعهد» عن نظرته للانتصار فقال: «لا شك في أنَّ هذا الانتصار، هو أولاً مفخرة للأمة، كل الأمة، العربية والإسلامية.

ثانياً: هذه قدوة حسنة لكل الأحرار في الأمة العربية والإسلامية، إنَّ طريق النصر هو هذا الطريق، طريق الجهاد، طريق التضحية، طريق الفداء وطريق حماية الحقوق بقوة أهلها، أهل هذه الحقوق لا بغيرهم، وهذا مثل يجب أن يعيه كل المعنيين بأُمور وقضايا الأمة بكاملها وأولها القضية الفلسطينية والقضية العربية المحيطة بدولة العدوان، ومثل لبقية العرب والمسلمين، وهو مثل حي

---

(١) مجلة السبيل الأردنية.

يجب أن يقتدى به وأن يكون لنا عبرة ويجب أن نرتفع إلى مستواه»[١].

وكانت أسبوعية العهد قد التقت عدداً من المثقفين السوريين وسألتهم عن نظرتهم إلى حدث التحرير الكبير ودلالاته فكانت الإجابات التالية:

الفنان التشكيلي الدكتور علي سليمان رأى «أنَّ تحرير الجنوب هو إزاحة الجدار وتحرير النفس العربية من السجن القاتم الطويل الأمد» معتبراً أنَّ «تحرير الجنوب هو رمز حقيقي لتحرير النفس وتحرير الإنسان الذي عانى كثيراً، ولم يجد من يصغي إليه أو يستمع إلى صراخه، إنَّه يوم يعتبر عيداً حقيقياً لكل مثقف في العالم».

الباحث الاستراتيجي الدكتور هيثم الكيلاني قال: «. . . المقاومة تعلمنا درساً هو نواة مشروع ثقافي عربي مقاوم يسهم في بناء المستقبل العربي وفي تحصين الأجيال الصاعدة لكي تكون مؤهلة في الحفاظ على خصوصيات الأمة وهويتها الثقافية وشخصيتها الإنسانية».

فيما لاحظ الدكتور محمد محفل سكرتير لجنة تاريخ العرب بجامعة دمشق أنَّ «دور المقاومة في تحرير الشريط المحتل في جنوب لبنان، إضافة إلى طابعه العسكري العملياتي، أخذ طابعاً مدينياً مدنياً، بمعنى انَّ الصدامات التي كانت تجري بين المحتل والمقاومة المدعومة عملياً بالقطاع الأكبر من السكان ولا سيما في المنطقة الجنوبية، والتي هي رأس الرمح في صد العدوان، هي تجربة جديدة بالنسبة للصراع مع العدو الصهيوني». . . لذلك فإنَّ هذه التجربة «ستغير مفاهيم. . وأعتقد أنَّ هذا بدأ ينعكس على

(١) العهد: ٩ حزيران ٢٠٠٠.

أرض الواقع، وهذا ما يخافونه داخل الكيان الصهيوني، ومن هنا نتحدث عن مشروع نهضوي جديد، فالشيء الذي ينقصنا في المجتمعات العربية هو التحرك المدني والمديني، المدني أي غير القوى المسلحة، أي ألا يعيش الخلف منعزلاً عمَّا يجري في الجبهة وأن يدرك الخطر وأن يعاشر الخطر ويتغلب على الخطر».

وأشار إلى أنَّ «ما جرى في الجنوب هو منعطف على طريق الصراع، بنتائجه وأهدافه... وذكَّر بأنَّه كانت هناك انتصارات عندما خاضت الجيوش النظامية حروبها مع العدو الصهيوني، ولكن هنا لأول مرَّة ظل الجنوب صامداً رغم كل الاختراقات على النطاق العربي، رسمياً أو تجارياً أو غيره، إلاَّ أنَّ هذا لم يؤثر على نتيجة المعركة».

الدكتور يوسف سلامة نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربية، أستاذ الفلسفة بجامعة دمشق قال: «ما من شك أنَّ المقاومة اللبنانية أجبرت «إسرائيل» على تحقيق الجلاء والانسحاب غير المشروط عن الجنوب اللبناني العزيز، ولئن كان لهذا الأمر من معنى فهو أنَّ القوة بمعناها الواسع وليس بمعنى القوة العسكرية، وإنَّما القوة من حيث هي بناء نفسي واجتماعي وأخلاقي، هي ذلك الدرس الذي على العرب والمسلمين أن يتعلموه من وراء هذا الانسحاب الذي أُجبر الإسرائيليون على أن يحققوه لمصلحة المقاومة اللبنانية».

الدكتور علي عقلة عرسان الأمين العام للاتحاد العام لاتحاد الأدباء والكتَّاب العرب أكد أنَّ «تحرير الجنوب حصيلة نهائية دفع على طريق الوصول إليها أفراد حزب الله والشعب اللبناني والمقاومة الوطنية والإسلامية في لبنان ثمناً غالياً طوال السنوات الماضية، ويوم كان حزب الله يقاوم منذ الثمانينيات كان في بداية التسعينيات

صمت عربي رهيب، يثير الشكوك حول عدم الإشارة إلى المقاومة في البقاع الغربي وفي جنوب لبنان، ولكن الصبر والمثابرة والإيمان بالحقوق وتقديم التضحيات والاستمرار في حماية المواطنين والدفاع عنهم جعل هذه المقاومة تكتسب يوماً بعد يوم، وحدثاً بعد حدث ثقة الناس من جهة، والثقة بنفسها من جهة ثانية، أو تعزيز هذه الثقة ومن ثم الوصول إلى حالة الندّية للعدو الصهيوني بعد اتفاق تفاهم نيسان عام ١٩٩٦، وبعد ذلك إلى حالة من الأداء المتفوق الذي جعل العدو الصهيوني يخسر خسائر بشرية ومعنوية تنعكس عليه، ومن ثم يعلن الاعتراف بالقرار ٤٢٥، ثم الموافقة على تطبيق هذا القرار، وبعد ذلك انسحاباً تحت ذريعة هذا القرار وما كان هذا إلاّ هزيمة حقيقية ألحقتها المقاومة المدعمة بموقف شعبي لبناني وموقف رسمي لبناني وبموقف سوري، وتأييد ودعم إيراني بالعدو الصهيوني وجعلته ينسحب إلى آخر شبر من لبنان».

وطالب عرسان الاستفادة من هذا الدرس «استفادة تامة ودقيقة، لأنَّه قلب الكثير من المسلمات أو المعطيات في الساحة العربية، وجعل الذين كانوا يطرحون على الجميع أنَّ اتفاق أوسلو أو المفاوضات هي السبيل الوحيد، «يفاجأون» أنَّ الحل البديل جاء بالمقاومة»[1].

الدكتور رفعت سيد أحمد المنسق العام للجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان، ومقرها القاهرة، تحدث «للعهد» حول قراءته للانتصار في ضوء تجربة الصراع العربي الإسرائيلي فقال: «أنا أقرأ هذا الانتصار باعتباره انتصاراً إنسانياً وليس انتصاراً عربياً لأنَّه يقدر بمعناه وليس بالمكان أو الحجم... وبأي معيار من معايير

(١) العهد: ١٦ حزيران ٢٠٠٠.

التحليل السياسي، فهو انتصار إنساني ولذلك فهو ليس حدثاً لبنانياً فحسب، ولكن دلالاته أكبر وأوسع، فهي إنسانية فضلاً عن كونها عربية، ومن هنا أظن أنَّه سيترك أثاراً عديدة على حركات التحرر أو ما تبقى منها في العالم، وبالضرورة في المجتمعات العربية وخصوصاً في داخل فلسطين... ما قدمه حزب الله هو النموذج والمثل والروح الدافعة... ولذلك فأنا أظن أنَّ انعكاسات ما حصل ستكون كبيرة جداً (في فلسطين) وعلى مستوى الحركات الإسلامية في الوطن العربي لأنَّ هذا الانتصار قد يضعها في موقف حرج.

هذه الحركات الإسلامية ومعها الحركات الثورية، أقام حزب الله عليها الحجَّة من خلال ما أسميه «فقه الأولويات» الذي استطاع الحزب إدخال مصطلحاته في قاموس الفكر والعمل السياسي العربي، لقد اختار حزب الله القضية الصحيحة بالترتيب الصحيح وبالوسيلة الصحيحة، فلم يختلف عليه أحد إلاَّ العملاء، فكان الطفل في حارات صعيد مصر متفقاً مع المفكر في أقصى المغرب والمشرق على أنَّ هذا الحزب صحيح، قضيته صحيحة ومنهجه صحيح.

لذلك وضع حزب الله الحركات والتيارات الإسلامية والمناضلة التي تقاتل على قضايا تافهة، أو وفق برنامج أولويات مغلوط في موقف حرج، وفرض عليها جميعاً أن تعيد ترتيب الأولويات وفق «فقه الأولويات» وهذا مستوى آخر من الآثار التي ستبدأ بالظهور في المرحلة القادمة»[1].

وتحت عنوان «الوعي العربي بعد تحرير الجنوب اللبناني»،

---

(١) العهد: ٢٢ حزيران ٢٠٠٠.

كتب رئيس جريدة «التجديد» المغربية ما يلي: «... ومن حسنات انتصار المقاومة اللبنانية أنَّها قد صدقت هذه الحقيقة التي كان ينظر إليها دعاة الاستسلام على أنَّها نوع من الطوباوية وعدم العقلانية، وينبغي أن نقول أيضاً أنَّ وصول مسلسل التسوية إلى الباب المسدود وانهيار اتفاق أوسلو زاد من تأكيد صوابية هذا الخيار، كما أنَّه فضح كثيراً من الذين صدقوا أكذوبة «أوسلو»، وكثيراً من الذين كانوا مترددين إلى الالتحاق بهذه الرؤية الحضارية للصراع، وتلك من أهم نتائج خروج الكيان الصهيوني من جنوب لبنان نتيجة للمقاومة الباسلة لأبناء لبنان الأشاوس.

... وانتصار المقاومة في جنوب لبنان يسجل أول انتصار عربي شعبي على الكيان الصهيوني، فبقدر ما كان انتصار ١٩٧٣ على علاته انتصاراً ساهمت فيه بالدرجة الأولى القيادة العربية السياسية، كان انتصار جنوب لبنان استعادة المقاومة الشعبية للمبادرة.

انتصار المقاومة في جنوب لبنان كان من آثاره أنَّ الشعوب العربية قد استعادت ـ ولو بشكل محدود ـ القدرة على الحركة والمبادرة وإرجاع القضية إلى بعدها العربي والإسلامي، أي إلى بعدها الحضاري، فرغم محدودية الحركة الشعبية إلى الآن (تظاهرات سرعان ما انطفأت، حملات محدودة لمقاطعة الشركات المساندة للكيان الصهيوني)، فإنَّ انتصار المقاومة قد أخرج الشعوب العربية من سباتها العميق والتخدير الذي أحدثه الحديث عن السلام بعد أوسلو وخيبة الأمل الناتجة عن حرب الخليج الثانية»[1].

---

(١) الانتقاد: ٢٠٠١/٥/٢٥.

وأخيراً في هذا المضمار ننقل بعضاً ممَّا كتبه نبيه البرجي في أسبوعية العهد تحت عنوان «عدوى الزلزال» حيث قال: «عندما يتحدث الأميركيون عن التخلخل في ميكانيكية التوازن في الشرق الأوسط، ودون أن يقصدوا بذلك التوازن بين العرب و«إسرائيل» أو بين العرب والعرب، وإنَّما التوازن الداخلي الذي يجعل باحثاً مقرباً من مستشار الأمن القومي ساندي بيرغر وهو البروفسور مايكل ابراموفيتش يتحدث عن «المجتمعات الهرمة» في المنطقة مع ما لذلك من تداعيات دراماتيكية لاحقة.

ولكن ما هو نوع التداعيات حسب تصور ابراموفيتش؟ إنَّه يعتبر انَّ الوجوه شاخت كثيراً، وكذلك القيم السياسية... وعلى مختلف المستويات... ويتوقف قليلاً عند المثال الذي يقدمه «حزب الله» ليقول إنَّ النخبة في العديد من المجتمعات العربية وصلت إلى حد الافتتان المدوي بالظاهرة، وهو ما حمل أنظمة في المنطقة تنشط لدى واشنطن من أجل معالجة أمر هذه الظاهرة، وقد لا تكون المشكلة هنا، وإنَّما في كون النموذج بدأ يثير أسئلة كثيرة في صفوف المثقفين وحتى في صفوف المواطنين العاديين العرب، إنَّه يستخدم بالحرف الواحد «عدوى الزلزال»[(١)].

الأمة تنتصر لحزب الله

لا يشك أحد من أبناء أمتنا أنَّه لو قيد للحواجز والموانع أن تزال وتُرفع من بين شعوب وأبناء هذه الأمة لأمكنها أن تتلاقى وتتناصر وتتكامل وتدافع عن نفسها، وتصل إلى مقام ممتاز بين الأُمم.

---

(١) العهد: ٢ حزيران ٢٠٠٠.

وعندما تتاح الفرصة لشعوب أمتنا للتعبير عن تضامنها وتكاتفها، فإنَّها تفعل بلا تردد، وهذا ما حصل بعد أشهر قليلة من تحرير جنوب لبنان من خلال ما بات يعرف «بحرب الانترنت»، حيث انتصر الكثير الكثير من أبناء أمتنا ـ لا سيما في المغترب ـ لحزب الله وخاضوا دفاعاً عنه معركة موحدة ومنسقة انتصروا فيها على المعتدي الإسرائيلي على صفحات شبكة الانترنت.

«ففي موازاة الحرب المفتوحة بين المقاومة الإسلامية والكيان الصهيوني في المواقع العسكرية والأمنية المختلفة، هناك حرب أخرى تتميز بدورها بالشراسة بين حزب الله من جهة والكيان الصهيوني من جهة أخرى، مسرح هذه الحرب شبكة الانترنت الدولية التي شهدت فصولاً دراماتيكية (في النصف الأول من شهر تشرين أول عام ٢٠٠٠) تجندت لها في كلا الطرفين جهود ضخمة على مستويات دولية.

بعد العملية البطولية التي نفذتها المقاومة الإسلامية في منطقة مزارع شبعا اللبنانية المحتلة والهزة الإعلامية والأمنية العنيفة التي تعرض لها العدو الصهيوني نتيجتها، بدأ القيمون على موقع حزب الله على الانترنت (WWW.hizbollah.org) يلاحظون ضغطاً غير عادي على الموقع تمثل بدخول غير طبيعي للمتصفحين عليه، و«سحب» المواد الموجودة عليه بكميات لا يمكن أن تكون «بريئة».

وعند الاطلاع على الأماكن التي يوجد فيها الداخلون على الموقع، تبين أنَّ أغلبيتهم من داخل فلسطين المحتلة ومن مواقع ومزودات تحمل نهاية (il)، بمعنى أنَّها قائمة في «إسرائيل»... ومن خلال تحليل المعلومات اتضح للقيمين على الموقع في مكتب

الانترنت المركزي في حزب الله، إنَّ ما يحصل ليس أمراً عادياً، وإنَّما هو عملية هجوم منسقة على الموقع هدفها تعطيله ومنع المتصفحين العاديين من الدخول إليه والاطلاع على ما يحتويه من مواد تتعلق بجهاد حزب الله ضد العدو الصهيوني ويكشف الهمجية الصهيونية ضد الشعوب العربية والإسلامية.

وإزاء هذا الهجوم المنسق والمنطلق من العديد من مناطق العالم في وقت واحد، اضطرت الشركة المزودة التي يتوطن موقع حزب الله فيها إلى إقفال الموقع فترة محدودة، على أن يُطلق مرة أخرى من مصدر آخر عصي على التأثر بهذه المؤامرة المدبرة.

لم يقتصر الهجوم الصهيوني الشامل على هذا الموقع، وإنَّما استهدف أيضاً الموقع البديل الذي أُنشىء في وقت سابق بعد عملية القرصنة التي تعرض لها الموقع الأساسي.

لقد أدَّىٰ الصهاينة اللعبة نفسها من أجل إقفال هذا الموقع أيضاً، وبلغة الأرقام التقنية فإنَّ هذا الموقع تعرض خلال أربع ساعات فقط لأكثر من أربعة ملايين ضربة (hit) وهذا رقم خيالي بالنسبة إلى موقع بهذا الحجم... لقد أدت هذه الوقائع إلى تعثر الموقع الآخر، برغم كل المحاولات التقنية الإعجازية التي بذلها التقنيون العاملون في مكتب الانترنت، وبعد أيام صعبة وطويلة من المواجهة توقف الموقع الآخر عن العمل»[١].

أمام هذا الحجم الواسع من الهجوم الشرس على شبكة انترنت حزب الله من قبل الصهاينة واللوبي المؤيد لهم في العالم، كان لا

---

(١) العهد: ٢٠ تشرين أول ٢٠٠٠.

بد ولتحصيل حالة «توازن الرعب» من تدخل المحبين والعاشقين للمقاومة الإسلامية في لبنان من أبناء أمتنا العربية والإسلامية لا سيما المنتشرين في بلاد الغرب وكذلك أحرار هذا العالم الرافضين لتحكم الصهيونية بمقدرات هذا العالم من الغربيين أنفسهم، وبالفعل فلقد انتصرت الأمة لحزب الله، فلقد «أنشأ أحدهم صفحة على الانترنت، الهدف منها الانتقام للهجوم الآثم الذي شنه الصهاينة على موقع حزب الله، ووجد الآلاف أنفسهم معنيين بالمشاركة في الحرب التي تستهدف إلغاء وجود المقاومة بفكرها ونهجها على هذه الشبكة، ففعلوا ما هو مطلوب منهم، وكان الهجوم المضاد الناجح الذي كان نتيجته ضرب المواقع الرسمية الصهيونية وإيقافها فترات طويلة عن العمل.

مصدر مطلع على شؤون الشبكة الدولية أكد أنَّ الهجوم المضاد كان ناجحاً فعلاً، برغم عدم كونه منظماً تماماً، واستطاع بالفعل تشكيل «توازن رعب» مع العدو الصهيوني على الشبكة، أمَّا صحيفة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية فتقول: «إنَّ موقع شركة «نت فيجين» الذي يستضيف مواقع الجيش الصهيوني والمواقع الحكومية الأخرى تعرض إلى إبطاء نشاطه، ومُنع المشتركون فيه من الاتصال بشبكة الانترنت، ويتابع: يوم الاثنين الماضي كاد موقع الشركة يقترب من الانهيار الشامل في كل خدماته.

ويذكر المحرر الرئيسي في الصحيفة أنَّ ما يحصل لهذه المواقع يأتي بعد الهجوم الذي تعرض له موقع حزب الله على الشبكة في الأيام الماضية»[1].

---

(١) العهد: ٢٧ تشرين أول ٢٠٠٠.

وهكذا اضطر العدو الصهيوني إلى الإقلاع عن «القصف الإلكتروني» لمواقع حزب الله على شبكة الانترنت، وتحررت هذه المواقع من الاعتداءات الصهيونية لتعود إلى ممارسة دورها في الأمة.

لقد كان النصر لحزب الله في هذه المعركة الإلكترونية مع العدو الإسرائيلي بفضل شكل من أشكال الوحدة في الأمة والذي تجسد عبر شبكة الانترنت حيث لا حواجز ولا موانع ولا جدران عالية تحول دون تعاون وتكاتف أفراد الأمة وقواها في جهادها المقدَّس، وعلى أمل أن تتجسد هذه الوحدة على أرض الواقع لتقطف الأمة انتصارها الأكبر والأعظم.

المنار نافذة الضوء

كما الانترنت كانت باقي وسائط الاتصال لا سيما المرئي والمسموع منها وسائل هامة لاختراق الحواجز وهدم الجدران بين أبناء وشعوب أمتنا العزيزة، وقد التفت حزب الله مبكراً إلى أهمية الإعلام المقاوم في هزيمة العدو من خلال التأثير على الروح المعنوية لدى جنوده وباقي أفراد المجتمع الصهيوني، وكذلك في استقطاب الرأي العام اللبناني والعربي وما لهذا الاستقطاب من آثار إيجابية على استمرار المقاومة وانتصارها وعلى نقل هذه التجربة الفذة إلى أبناء الأمة واستنهاضها.

«والواقع أنَّ المقاومة الإسلامية في لبنان استطاعت بصمودها وإصرارها على تحرير أرضها أن تخلق واقعاً جديداً على الأرض العربية يتجاوز حدود الزمان والمكان، ما أجبر الإعلام عربياً ودولياً على رصد ومتابعة أعمالها وبطولاتها، ويعزى ذلك في الأساس إلى

طبيعة الإعلام كنشاط إنساني نوعي يحتم على ممارسيه ضرورة رصد ومتابعة ما يجري على الأرض من أحداث ووقائع...

والواقع أنَّ الإعلام المقاوم في الجنوب اللبناني قد ارتكز على سلاحين رئيسيين هما الكلمة المطبوعة من خلال النشرات والإصدارات الدورية والبيانات والنداءات التي حملت أنباء المعارك... والثاني هو الصورة المرئية التي تصدرت جدارة المشهد الإعلامي للمقاومة... وقد استطاعت المقاومة من خلال الصورة أن تخترق الحصون العسكرية والموانع التكنولوجية للعدو، وتبرز العمليات الاستشهادية في مشاهد ساطعة تستعصي على افتراءات العدو الصهيوني. هذا الخطاب المرئي المقاوم قام بدور بطولي في زعزعة صورة الآخر، سواء العدو الصهيوني أو جيش العملاء، وفي غرس المعنى النضالي البطولي الحقيقي لشموخ المقاومة الإسلامية.

ولقد سجل الإعلام المرئي أولى خطواته في تاريخ حركات التحرر الوطني من خلال تلفزيون «المنار» المؤسسة الناطقة باسم المقاومة الإسلامية في لبنان التي تعد المؤسسة العربية الإعلامية الأولى التي تخوض حرباً نفسية مؤثرة ضد العدو الصهيوني»[1].

ومن محاسن الصدف، بل من لطائف التقدير الإلٰهي أنَّ تلفزيون المنار والذي بدأ بثه الأرضي الذي يشمل معظم الأراضي اللبنانية قبل حوالي تسع سنوات من الانتصار، قد تمكن من البث الفضائي بعيد التحرير وقبيل انطلاق الانتفاضة الفلسطينية، لتشكل الإطلالة الفضائية للمنار نافذة ضوء وإشعاع أمل ملأ قلوب وعقول

---

(١) الانتقاد: ٦/٧/٢٠٠١.

عشرات الملايين من أبناء أمتنا، ودفعهم إلى مزيد من الشوق والحب للمقاومة الإسلامية في لبنان ولنهجها الوطني والديني الصادق ولقائدها الأمثولة السيد حسن نصر الله.

كما تمكن البث الفضائي لهذه المحطة الثورية والفريدة من أن يواكب انتفاضة الأقصى منذ انطلاقتها ليقدم لها كل الدعم والاهتمام كما لو كانت مقاومة لبنان تماماً... والحقيقة تقال أنَّ حضور فضائية المنار القوي في العالم العربي والإسلامي واهتمامها المميز بانتفاضة الأقصى، دفع العديد من الفضائيات العربية إلى التنافس في هذا المجال بعد طول تقصير، وهذا بذاته يعد واحداً من إنجازات المنار الذي لولاه لضاع الانتصار اللبناني ولما أخذت الانتفاضة حيزها المقبول في الشارع العربي.

لقد شكلت المنار نافذة لملايين «السجناء» في الوطن العربي الكبير حيث تنسموا عبر هذه الشاشة نسيم الحرية وعايشوا الفعل المقاوم كما لم يعرفوه من قبل، وتعرفوا على الحقائق التي جهلوها طويلاً، فكانت المنار المنبر الهادىء والهادي لكل حق وحقيقة، والصوت المعبر عمّا يجول في ضمائر أبناء الأمة، كما كانت أيضاً فرصة للملايين للتعبير عن آرائهم بحرية والتأكيد على تعاطفهم مع نهج المقاومة المنتصرة في لبنان، والاستعداد للاقتداء بنهج المقاومة حتى إزالة العدوان الصهيوني عن وطننا الكبير.

وبالفعل يمكن القول أنَّ المنار بما تعبر عنه من نهج مقاوم وشجاع وخط رسالي قويم والتزام إعلامي وأخلاقي، وعبر إطلالات قائد المقاومة سماحة الأمين العام السيد حسن نصر الله المتكررة عبر هذه الشاشة، وإضاءاته على شتى الجوانب السياسية والجهادية والأخلاقية

والدينية، ومن خلال الأعداد الضخمة لمشاهديها ولا سيما المتفاعلين معها باتصالاتهم وآرائهم، فإنَّ المنار باتت تشكل ملتقى كبيراً للأمة يوحدها على مدار ساعات البث حول المقاومة وباتجاه القضايا الكبرى في الأمة.

كما مثل المنار كاشفاً عن مدى تفاعل الأمة مع المقاومة وانتصارها التاريخي في أيار ٢٠٠٠ عبر الآلاف من الرسائل والاتصالات المعبرة بقوة عن مدى الحب والتقدير لنهج هذه المقاومة الفريدة.

وقد أعطت المنار بانطلاقتها الفضائية الواسعة عام ٢٠٠٠ وبفضل المضامين والأساليب التي اتبعتها، أعطت بعداً جديداً للإعلام العربي، ومثلت إضافة مهمة في واقع هذا الإعلام عبر إبتداع طرق وأساليب عمل لم تكن مألوفة في الوسط الإعلامي العربي ولا سيما في مواجهة المخاطر التي يشكلها الكيان الصهيوني على الأمة العربية، وكذلك على مستوى استنهاض الشارع العربي وتعزيز ثقة المواطن العربي بنفسه وبقدرته على التغيير والدعوة لتوحيد جهود أبناء الأمة بمختلف شرائحهم ومستوياتهم ومشاربهم.

لكل هذه الأسباب المتقدمة وغيرها حلَّت المنار في موقع متميز في قلوب وعقول قطاعات الأمة المختلفة وأفرادها، وقد عبر عن ذلك الكثير من الإشادات الواردة في المطبوعات والصحف أو الرسائل الواردة إلى إدارة قناة المنار الفضائية في بيروت، وكي تصل الصورة بوضوح إلى أذهان القارىء العزيز أنقل بعض ما جاء من إشادات ورسائل تحيي المنار ودورها العربي والإسلامي الرائد.

سماحة ولي أمر المسلمين القائد الخامنئي دام ظله أشاد

بالدور الهام لمحطة المنار بقوله: «تلفزيون المنار التابع لحزب الله والذي يبث يومياً ٢٤ ساعة من البث المتواصل أكثر مشاهديه من الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، ويصغون إلى برامجه بشوق كبير».

فيصل سلمان كتب في صحيفة السفير اللبنانية ما يلي: «... سيكتشف اللبنانيون في وقت لاحق، أنَّ أحد أهم أسلحة المواجهة مع قوات الاحتلال الإسرائيلية كان تلفزيون المنار.

لا نتكلم هنا عن محطة تلفزيونية عادية، وإنَّما عن جهاز تعبئة ندر مثيله في لبنان، وعن محطة للشحن النفسي والمعنوي كانت ولا تزال ترفد المقاومين والمواطنين وحتى المحايدين بطاقة تكاد تكون عجائبية.

لو رأيت عدداً من الناس مسمرين أمام شاشة تلفزيونية، فاعلم أنَّها شاشة المنار، واعلم أنَّ النصر آتٍ، وما النصر إلاَّ من عند الله»[1].

نبيل أصفهاني كتب في صحيفة اللواء اللبنانية ما يلي: «بصورة عامة فإنَّ إيقاع الفضائيات اللبنانية والعربية تجاه المقاومة في لبنان والانتفاضة في فلسطين لم يكن سريعاً، ممَّا وضع المنار في المرتبة الأولى، خصوصاً بعد ما شمل خطها البعد القومي العربي ممَّا يعني استقطاب المزيد من المتابعة والتأييد والإعجاب»[2].

عبد الله الجفري كتب في صحيفة الحياة اللندنية ما يلي: «حتى الآن وبكل أسف لم نجد قناة فضائية عربية واحدة، وظفت

---

(١) السفير: ١٢/٢/٢٠٠٠.

(٢) اللواء: ٨/١٠/٢٠٠٠.

انتفاضة الأقصى في فلسطين بحجمها وأبعادها مثل هذا التنظيم والتخطيط في قناة المنار اللبنانية، والتي تعكس برامجها وريبورتاجاتها وحتى نشرات أخبارها عمق التخطيط والإعداد، وذلك لكشف أبعاد ودموية وبشاعة ما يمارسه العدو الصهيوني ضد الفلسطينيين وحتى ضد مزارعهم وأشجارهم، إنَّها قناة يعرف موجهوها ماذا يريدون، وماذا يفعلون»[١].

زهرة مرعي كتبت في مجلة الكفاح العربي ما يلي: «منذ الأحد الماضي والبث الفضائي لتلفزيون المنار في تواصل، يزود المواطنين العرب ـ أينما كانوا ـ آخر المستجدات الحية التي تنقلها من أرض المعركة الوكالات الأجنبية، وفي مقابل الخبر والصورة كانت المنار تبث الأناشيد الوطنية والحماسية وتشد على أيدي المناضلين في كل أرجاء الأراضي العربية المحتلة، وتدعو الشعب العربي لمؤازرتهم في ثورتهم دفاعاً عن حقوقهم المقدسة»[٢].

وكتب إبراهيم الأمين في السفير اللبنانية ما يلي: «دبلوماسي في دولة عربية تقيم علاقات مع «إسرائيل» يشعر بالخيبة من أشياء كثيرة في حياته، فهو لا يجد ما يتحدث فيه مع أولاده، لكنَّه صار يهرب الآن من الأسئلة المحرجة، بأن يدير التلفزيون على قناة المنار الفضائية، ويترك لأولاده الاستنتاج»[٣].

وكتبت جريدة الرأي الأردنية ما يلي: «لعب إعلام المقاومة الإسلامية في لبنان وعلى الخصوص تلفزيون المنار وإذاعة النور دوراً

---

(١) جريدة الحياة: ٢٣/١/٢٠٠١.
(٢) الكفاح العربي: ٤/١٠/٢٠٠١.
(٣) جريدة السفير: تشرين أول ٢٠٠٠.

هاماً وملحوظاً في دعم العمليات العسكرية لحزب الله وتوجهاته السياسية، كل ذلك دعا الشيخ حسن نصر الله أمين عام حزب الله إلى إطلاق عبارته الشهيرة «**لولا المنار لضاع الانتصار**»[1].

هذا نذر يسير من الإشادات التي وردت في الصحف العربية، وأما ما ورد إلى محطة المنار من رسائل خطية وإلكترونية واتصالات هاتفية من جميع أنحاء العالم تحيي المنار وبرامجه وتحيي المقاومة وقائدها فهي أكثر من أن تحصى، وهنا نورد نماذج محدودة منها على سبيل الاستفادة والاستئناس، أحد المشاهدين من أفريقيا يقول: «نهنئكم لهذه المحطة الرائعة ونقصد الإسلامية.. أنا لا أفهم العربية جيداً ولكن استمتع بمشاهدة برامجكم.. أنتم التلفزيون الوحيد الذي يعتني بالقضية الإسلامية...».

مشاهدة أخرى قالت: «أحب إيمانكم بالله وأفخر بكوني لبنانية بفضلكم وبفضل السيد حسن نصر الله».

مشاهدة فلسطينية تسكن في أفريقيا أرسلت: «لقد سعدنا إلى أقصى درجة لتلقينا المنار الفضائية، فنحن فخورون بكم ونشعر بقوة بأنَّ وسيلة الإعلام هذه هي من أرضنا».

مكسيكي مسلم يعيش في أميركا أرسل للمنار: «أريد فقط أن أقول لكم أني أحب ما تفعلونه من أجل الإسلام».

مشاهد مسلم من أوروبا أرسل يقول: «تحية إجلال وتقدير إلى الأخوة القائمين على قناة المقاومة والتحرير، المنار التي من خلالها نرى الحق وبفضلكم يا أبطال الإسلام نرفع رؤوسنا عالياً».

---

(١) جريدة الرأي الأردنية: ٢٩/٥/٢٠٠٠.

ومن لندن أرسلت الفتاة المسلمة التي تبلغ من العمر ١٦ عاماً تقول: «لم أعش أبداً في بلد إسلامي، وكنت دائماً أسيرة الشعب الغربي وتأثيراته، الآن لدينا «ديجتال»، وأنا أشاهد قناتكم وأستطيع أن أقول كفتاة مراهقة بكل ثقة أنَّكم أفضل قناة وأنكم تمثلون الإسلام بحق».

وباسم الرابطة الفلسطينية في الدانمارك وصل إلى المنار: «لقد أثبتم أنَّكم الأوائل في المحطات التي واكبت الحدث وأعطت الروح المعنوية إلى كل مشاهديها في العالم».

مشاهد من فلسطين قال: «المنار تضيء لنا الطريق للتحرر الكامل إن شاء الله».

مشاهد آخر من رام الله فلسطين أرسل: «أشكر لكم جهودكم المبذولة في سبيل الحرية والكرامة، نرى في شاشتكم المتنفس الوحيد، ونحن فخورون بأعمالكم المجهدة لإظهار الحق».

مشاهد آخر من فلسطين يقول: «لقد كان لتلفزيون المنار دور كبير في نجاح مقاومتنا الباسلة ضد الصهاينة، فكان لها الأثر الكبير في جعل الروح المعنوية كبيرة في نفوس المجاهدين».

ومن مشاهدة تقول أنَّها أخت لمعتقل فلسطيني في سجن نفحة وصل إلى المنار ما يلي: «نتمنى من السيد المجاهد حسن نصر الله أن يظل على درب الجهاد حتى دحر الاحتلال من فلسطين كلها من بحرها إلى نهرها ونحن نعدك أنَّنا صامدون وعلى الدرب سائرون».

مشاهد عربي من فرنسا قال: «لقد أصبحت المنار هي قدرنا لأنَّها تملي علينا ما كنَّا نبحث عنه منذ زمن طويل».

مشاهد عربي آخر من فرنسا قال: «إنِّي أشكر بحرارة محطتكم التي أحاطت الكرة الأرضية بثورة نبيلة تؤثر على مشاعرنا وتشجع ردة فعل الشباب الفلسطيني الذي يحارب من أجل استقلال الأماكن المقدَّسة وفلسطين بشكل عام».

ومن فرنسا أيضاً جاء: «أنا فرنسي مسلم وأنا سعيد جداً لاكتشاف قناتكم، أخيراً قناة تلفزيونية لا تسكت عن ما يحصل في فلسطين مثلما تفعل القنوات الأخرى هنا».

وجاء أيضاً: «اسمي أحلام من المغرب، أود أن أعلمكم كم أنَّنا فخورون بكم هنا في المغرب، تلفزيونكم هو المفضل ببساطة لأنَّ قضيتكم نبيلة».

مشاهد عربي في أوروبا قال: «تحية كبيرة لهذه القناة الرائعة التي جددت لنا روحنا الإسلامية وأعادت لنا المجد الحقيقي الذي يستحقه ديننا».

مشاهد من منطقة الخليج وهو إعلامي تلفزيوني أرسل: «الحقيقة أنني كلما أشاهد قناة المنار أشعر الخجل... وهذا ليس ذماً فيكم... فأنتم قد كشفتم عوراتنا وفضحتم خيباتنا وإنكساراتنا... لا أدري فقد ندر أن أتابع برامجكم خاصة ما يتعلق بالقدس الشريف والانتفاضة المباركة إلاَّ أن أبكي».

مشاهد من سوريا أرسل يقول: «إنَّنا نحيي كل من يعمل في هذه المحطة لأنَّنا نعتبر أنَّ الجهد الذي يقوم به القائمون على هذه المحطة المعطاء لا يقل قيمة عن حمل السلاح في وجه الصهاينة».

مشاهد من اليمن أرسل: «أتمنى أن أكون إلى جانبكم، أقاتل معكم أو أدعمكم، أحاسيسي كلها معكم أينما كنتم».

مشاهد من الكويت أرسل يقول: «أخيراً تحقق الحلم وصارت الأماني حقيقة، أخيراً أصبح لدينا قناة إسلامية تبث فينا الروح الإيمانية الجهادية.. وتهدينا إلى طريق الحق والشجاعة وتعلمنا كيف ننتصر».

مشاهد من الجزائر أرسل قائلاً: «يشرفني كثيراً أن أصلكم وكأني أصل رحماً طال انتظاره، بهذه الرسالة المتواضعة التي أردتها من كل قلبي أن تكون رسالة أخوة ومودة، وإن كنت لا أمثل الجزائر كلها إلاَّ أنني على يقين أنَّ معظم الشعب ـ إن لم يكن كله ـ يبارك مسيرتكم وأكثر منه ومني يبارككم الله فوق السماوات العلى».

مشاهد من تونس قال: «منذ انطلاق بث قناة العرب والمسلمين المنار الحبيبة، شدت انتباهي بصفة كبيرة جداً، .. خاصة أنَّ البث المبارك لقناة المنار انطلق مع أعراس النصر في الجنوب واندحار الاحتلال الصهيوني الغاشم عن الجنوب الحبيب، فاكتملت الفرحة وانفجرت الانتفاضة المباركة واشتعلت ناراً وغضباً على أعداء الدين والأمة واهتزت الشعوب العربية والإسلامية جميعاً وأعلنوا الغضب وانفجر البركان».

مشاهد من المملكة العربية السعودية قال: «إنَّنا كلنا فخر واعتزاز بالمنار وسياستها الإعلامية وبالمنطلقات الفكرية والثقافية لها وبأهدافها التي رسمتها لمصالح الأمة الإسلامية».

كذلك من السعودية وصل من أحد المشاهدين ما يلي: «لقد أثلج الله صدورنا بكم، ونشعر وكأنَّ حياتنا قد تغيرت بوجود هذه المنار».

مشاهد من الأردن قال: «إلى محطة المنار اللبنانية الإسلامية العربية مع كل التقدير والمحبة، محطة المنار... محطة الثوار، محطة الأطهار... منار النور... إليكم كل محبتي ومحبة كل إنسان غيور... إلى الأخ المجاهد الكبير السيد حسن نصر الله أقول لك حفظك الله وجعلك راية الحق ومن يدحر الباطل».

مشاهد سوري من الأردن أرسل قائلاً: «أنا وكل عائلتي لا نتابع سوى تلفزيون المنار فهو الحقيقة بعينها».

وعلى أمل أن يأتي اليوم الذي تتوحد فيه الأمة وتنفتح بلدانها وأقطارها، واقتصادياتها وثقافاتها وعاداتها وقلوبها، بل وحدودها وأنظمتها وشعوبها على بعضها البعض، فتتوحد على الأرض والواقع بعد أن وحدها الانتصار والمنار على موجات الأثير وأسلاك الهاتف ونبضات القلوب وتكامل الآراء وتواصل العقول.

نصر الله القيادة والمثال

لا يخفى ما للقيادة المخلصة لدى شعب أو أُمَّة من تأثير كبير في استقامة ذلك الشعب أو تلك الأمة ومن ضمانة في تحقيق الأهداف وحصول الآمال، ولقد عانت أمتنا العربية والإسلامية كثيراً بسبب فقد أمثال هذه القيادات، وكانت معاناتها أشد عند الإصابة بالاحباط الشديد بسبب فقدها الأمل الذي عقدته في بعض أطوارها على قيادات ظنت فيهم خيراً وتبين لاحقاً أنَّهم كانوا يمثلون على شعوبهم ويخادعونهم.

الانتصار اللبناني و«العربي» العظيم في أيار ٢٠٠٠ كان مناسبة تعرفت الأمة من خلالها على نموذج للقيادة المخلصة والحكيمة والشجاعة افتقدته طويلاً، ما دفعها إلى التعلق بهذا النموذج وتوجيه

التحايا إليه والتعبير له عن مدى الحب والعلاقة والامتنان والتقدير لقيادته، بل والاستعداد للامتثال لأمره إذا مكنت الفرصة من ذلك.. هذا القائد النموذج هو قائد المقاومة والانتصار في لبنان السيد حسن نصر الله.

ورغم أنَّ سماحة السيد نصر الله والذي يتحلى بدرجة عالية من التواضع، جهد أن لا يضع نفسه في موضع قيادة الأمة العربية، من خلال خطابه أو كلامه أو مواقفه، بل أن يبقى في موقع الأخ الناصح والمرشد، غير أن مواقفه المبدئية والحاسمة والأفعال التي ترجمها كانت تزيد أبناء الأمة تعلقاً وحباً لتلك الشخصية الفذة والنادرة.

هذا الشغف العربي بشخصية السيد نصر الله يكشف من جهة عن تعطش جماهير الأمة إلى النهج الصادق الذي يعبر عنه السيد نصر الله، ومن جهة أخرى يعبر عن تطلع الأمة وحاجتها إلى قادة من هذا الوزن، كيما تتمكن تلك الجماهير من تحقيق ما تصبو إليه من أهداف نبيلة. والحقيقة تقال أنَّ شعوب وقوى هذه الأمة تعاني حقيقة من مشكلة قيادات برغم عدم تنكرنا لقيادات مخلصة ومهمة في بعض الأقطار، غير أنَّ الأمة لا زالت تحتاج إلى العديد من القيادات من وزن قيادة سماحة الأمين العام لحزب الله حتى تتمكن من بلوغ أهدافها، فشعوبنا العربية مليئة عزماً ووعياً وإقداماً، وهي تتوق للقيام بالكثير الكثير لتحقيق الأهداف ولكنَّها تقف عاجزة في كثير من الأحيان لأنَّها لا تجد من يهديها ويأخذ بيدها ويرشدها، ويدلها أين يجب أن تقف وأين يجب أن تقعد؛ والحقيقة أيضاً تقال انَّ السيد نصر الله ورغم عدم تصديه للقيادة خارج إطار ساحة حزب الله في لبنان، لتواضعه من جهة، ولطبيعة الظروف المانعة من جهة أخرى، غير أنَّه وبفضل الرصيد الكبير الذي امتلكه في قلوب ملايين

المحبين في الساحة الإسلامية والعربية، فقد تمكنت نصائحه وإرشاداته في كثير من الأحيان أن تتحول إلى برامج عمل لأفراد وجماعات في العالم العربي ولا سيما في فلسطين المحتلة، ولا يزال حضور سماحته وإطلالته المتقطعة عبر فضائية المنار تمثل الكبير من الأمل لدى جماهير الأمة وتترجم فيهم إلى برامج عمل ومنطلقات في حياتهم اليومية والعملية والجهادية والدينية.

وكلنا نسمع عبر المنار وغيره، العديد من المواطنين، خاصة في فلسطين المحتلة وكلما تأخر «**السيّد**» عن الإطلالة عبر المنار، أين السيد؟ لماذا تأخر؟ نحن نحتاج إلى معنويات وإلى شحن «طوّل علينا»!.

ونحن في الحقيقة عاجزون عن أن نعكس في هذا المختصر حجم المشاعر والعاطفة التي يكنها أبناء أمتنا العربية والإسلامية للقائد السيد نصر الله، والنصر الذي تحقق على يديه وللنهج الذي يمثل وهي مشاعر غامرة ونبيلة.

كما إنّنا عاجزون عن إدراك حجم تأثير هذا القائد الفذّ وحضوره في الساحتين العربية والإسلامية إن لم يكن في العالم، وهو تأثير بالغ الأهمية في ما يخص صحوة الشعوب وتنبهها لواقعها ومصيرها ومستقبلها؛ غير أنَّه ومن باب ما لا يدرك كله لا يترك جلّه، أحاول أن أستعرض بعض الكلمات والتعبيرات والكتابات لبعض أبناء الأمة حول نظرتهم لسماحة السيد نصر الله وقيادته ومحبتهم له وتأثيره عليهم وفيهم.

الروائي السوري خيري الذهبي، بعد أن تحدث «لأسبوعية العهد» عن الانتصار الأول بعد النحس العربي قال: «الآن وبعد أن مرَّ النحس، نحس الخمسين عاماً، هل يحق لنا أن نحلم بأنَّ عماد

الدين قد استيقظ مرة ثانية في تاريخنا الحديث، ولكن تحت اسم نصر الله؟ هل يحق لنا هذا؟، أنا أعتقد أنَّه يحق لنا هذا... فتحية لكل أولئك الذين حملوا الشهادة في كف والحلم والتحرير في كف أخرى»[1].

وفي تقرير لأسبوعية العهد من العربية السعودية كتب مراسلها عن أجواء التفاعل مع قائد المقاومة ما يلي: «عبد العزيز الغامدي وهو من سكان جنوب السعودية، لم يتمالك نفسه وهو يتابع أناشيد المقاومة التي كانت تبثها الفضائية اللبنانية والمصحوبة بمشاهد لعمليات عسكرية مصورة وبكلمات حماسية للسيد حسن نصر الله، لم يتمالك نفسه، فركب سيارته في منتصف الليل، وراح يطرق أبواب معارفه من اللبنانيين للتهنئة بالنصر».

هكذا كان السيد حسن نصر الله هو الحدث (إلى جنب) اندحار الاحتلال وانهيار العملاء والزحف الشعبي خلف المقاومة، وبعض الخليجيين اكتشف للمرة الأولى أنَّ السيد (نصر الله) من الأشراف وأنَّه من سلالة النبي محمد ﷺ وأن ابنه الأكبر هو أحد شهداء المقاومة، وأنَّه شخصياً لا يطلب منصباً في الدولة ولا يطمح إلى وزارة أو نيابة، وأنَّه لا ينتظر من الدولة أو من أي إنسان آخر مكافأة أو هدية على قيادته للمقاومة التي قامت بما عجزت عنه الشعوب العربية، وقد استغرب أحد الذين كانوا يسمعون هذا الكلام وقال: «لو أنَّ أي رجل عربي حرر شبراً واحداً من الأراضي التي تحتلها «إسرائيل» لنصب نفسه على رأس السلطة وأوصى بها من بعده لأولاده. وشكلت المقابلة التي أجرتها

---

(١) العهد: ١٦ حزيران ٢٠٠٠.

«الجزيرة» مع سماحته، مع الخطاب التاريخي من بنت جبيل ونقلته الفضائيات تبدلاً في الفهم العربي لطبيعة المقاومة، وحزب الله.

كان الجميع بانتظار ما سيقوله هذا القائد، وكتب أحدهم: ماذا بعد، ننتظر أوامرك، ما هي الخطوة التالية؟... نبيل شاب فلسطيني كان أول من اتصل بي هاتفياً للتهنئة واتبع اتصاله برسالة مختصرة: «نبارك لكم التحرير اليوم حتى تباركوا لنا غداً»، وعندما التقيته سألته «أنت من وين يا نبيل»؟ فأجاب أنا من يافا، فقلت له يافا كانت أول مدينة عربية احتلت، «إنسَ الماضي (قال نبيل)، وأعطونا كم شاب من عندكم حتى نحرر فلسطين، أو أقول لك عندنا شباب بس ما عنَّا قيادة، فالأفضل أن تعطونا السيد حسن نصر الله»[1].

قد لا نستطيع ولن نستطيع أن نقف علمياً ولو بالاستقراء الناقص على حجم التأثر البالغ في قطاعات الأمة بشخصية القائد نصر الله، ولكن يمكننا أن ندرك ونقدر هذا التأثير العظيم، إذا ما لاحظنا حجم المواقف التي عبر عنها «السيد» في موضوعات حساسة تلقى صداها في عقول وقلوب الأمة، فكيف تتصور أن يكون الصدى عند آحاد أبناء أمتنا لتهديد سماحة «السيد» للإسرائيليين وشارون من مغبة منع لبنان من الاستفادة من مياهه عبر مشروع سحب جزء من حق لبنان من نبع الوزاني، ورضوخ «إسرائيل» وشارون لهذه التهديدات في مسألة كانت تشكل خطاً أحمر في الصراع العربي الإسرائيلي من قبل الإسرائيليين وهي مسألة المياه، أو تهديده وتلميحه بأنّ حزب الله قد يقدم على أخذ المزيد من أسرى جيش العدوّ بعد أن ماطل العدوّ طويلاً في قضية المفاوضات حول إطلاق الأسرى،

---

(١) العهد: ٢٢ حزيران ٢٠٠٠.

مما اضطرّ العدوّ للرضوخ وإعادة التفاوض عبر الوسيط الألماني حيث يؤمل أن تؤدي هذه الجولة من المفاوضات للوصول إلى نتيجة طيبة في قضية الأسرى والمعتقلين العرب واللبنانيين. وقس على ذلك من مواقف تحدي وعظمة وقدر أنت حجم انعكاسها في قلوب أبناء أمة ما رأوا في ماضيهم القريب غير التراجع والهزيمة والمواقف الضعيفة لمعظم الزعماء العرب من أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة إلى آخر ما تسمعه من الألقاب.

إنَّ المقاومة والانتصار وشخصية السيد نصر الله القيادية والمنار ومعهم الانتفاضة البطلة يشكلون معاً اليوم شعاع الضياء وبارقة الأمل في حاضر ومستقبل هذه الأمة عساها أن تنتج بإذن الله قيادات شابة مخلصة تليق بإخلاص الأمة وشبابها، وهي قد بدأت بهذا النتاج عبر ما نشاهده وخاصة في فلسطين من قيادات ميدانية ذاخرة بالعطاء والإخلاص وتباشير النصر، على أمل أن تصنع يافا وكل مدينة وقطر عربي نموذجاً للسيّد حسن نصر الله.

المقاومة وفلسطين طريق الوحدة

سؤال جدلي شغل النخب السياسية والمثقفين العرب لعقود طويلة، وهو هل انَّ الوحدة هي طريقنا إلى فلسطين؟ أم أنَّ فلسطين هي طريقنا نحو الوحدة؟ ومع الأسف فإنَّ هذا الانشغال في الإجابة على هذه الفرضية وإقناع الآخر بها لم يقف عند حدود الجدل الفكري والنقاش الثقافي، بل تعدى ذلك في بعض الحالات إلى صراعات وحروب واقتتال عربي عربي بين أنظمة ودول ومنظمات وفصائل، ونحن هنا لن ندخل في متاهة هذا الجدل، غير أنَّنا نريد أن نطرح طريقاً إلى الوحدة العربية والإسلامية دلت عليه الوقائع

والأحداث وهو طريق المقاومة والانتصار في لبنان والانتفاضة والأستبسال في فلسطين، بقطع النظر عن أهمية وجدوائية، بل إمكان الوحدة العربية (الأنظمة والشعوب) والتفاهم حول تحرير فلسطين.

فلقد أثبتت المقاومة الإسلامية في لبنان ومن خلال صدقها في قتال العدو وعدم انهماكها بأي صارف داخلي أو خارجي آخر مهما بلغت أهميته، أنَّها عماد للوحدة الوطنية الصلبة، فلبنان الذي مزقته الحرب الأهلية طيلة ما يقرب من عقدين، والذي تتنازعه تجاذبات واختلافات مذهبية وسياسية وفئوية ومناطقية وخارجية، استطاعت المقاومة أن توحده حولها رغم بقاء أكثر تلك التناقضات ما بين القوى المختلفة، فقط وفقط المقاومة الوطنية الصادقة في أهدافها والجادة في مقاومتها استطاعت وبالتدرج ومع مرور الزمن أن تأخذ بيد اللبنانيين حكومة وجيشاً وشعباً وأحزاب وطوائف باتجاه التوحد حولها وحول مشروعها.

وكذلك كان الحال بالنسبة للانتصار الذي دفع بالمقاومة اللبنانية إلى نطاق أوسع ـ وإن على المستوى المعنوي ـ ليشمل أرجاء العالم العربي والإسلامي، حيث التف هذا العالم أيضاً وبكل متناقضاته حول المقاومة وأيد حقها في الاستمرار من أجل تحرير ما تبقى من أرض وأسرى، ويمكن القول أنَّ الأمة توحدت بنسبة معقولة حول المقاومة اللبنانية المنتصرة في أيار ٢٠٠٠.

وجاءت انتفاضة الأقصى في فلسطين لتشكل محوراً أساسياً تتوحد حوله شعوب الأمة، وقد عبرت قطاعات واسعة في أمتنا عن مدى تضامنها مع الانتفاضة والمقاومة في فلسطين عبر مختلف

أشكال التعبير والتي كان من أبرزها المظاهرات والمسيرات الاحتجاجية على جرائم العدو الصهيوني والمطالبة بضرورة مساندة الشعب الفلسطيني الأعزل في تصديه للعدوان الصهيوني المتمادي، وقد شهد المغرب أكبر هذه المسيرات على الإطلاق حيث تمكنت الأحزاب والقوى الإسلامية والوطنية المغربية من حشد أكثر من مليون شخص في العاصمة المغربية تأييداً لفلسطين وانتفاضتها البطلة.

ويمكن أن يسجل باهتمام التلاقي المتكرر والثابت بين القوى والأحزاب الإسلامية من جهة والقوى والأحزاب والتيارات القومية العربية من جانب آخر، وإزالة كل التوترات التي سادت بين هذين الفريقين لفترات طويلة، وإن دلَّ هذا على شيء فإنَّه يدلُّ على أنَّ المقاومة هي البوطقة التي تستطيع أن تصهر كل الخلافات أو أن تجمدها بالحد الأدنى في سبيل التلاقي حول الصراع الفعلي والحقيقي مع عدو الجميع إسلاميين وقوميين والقوى المختلفة الأخرى، فالجميع وبلا استثناء حضر في الشوارع العربية تنديداً بالعدوان الإسرائيلي وتضامناً مع الانتفاضة، ولعلَّ عاصمة أو حتى مدينة عربية واحدة لم تخل من مظاهر احتجاج وتضامن لا سيما في الحقبة الأولى من انطلاق انتفاضة الأقصى.

وفي هذا الإطار يأتي انعقاد «الدورة الطارئة» للمؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي الإسلامي في بيروت عاصمة الثقافة والمقاومة دعماً للانتفاضة الشعبية المتجددة في فلسطين وبحضور مميز لقائد المقاومة الإسلامية في لبنان السيد حسن نصر الله كتعبير عن اتحاد جميع تيارات وقوى الأمة إسلامية وقومية ووطنية دعماً للمقاومة والانتفاضة.

«ربَّما للمرة الأولى ينعقد لقاء مشترك لأعضاء التيارين العربي والقومي الإسلامي ولا يكون موضوع البحث في الخلاف والحوار بين التيارين، وربَّما للمرَّة الأولى يجتمع هؤلاء خارج إطار اللقاء الفولوكلوري الفكري التنظيري لإصدار مطولة توصيات لا تسمن ولا تغني، بل لأجل أمر مصيري يستدعي منهم وقفة مصيرية بمستوى الحدث والخطر الذي يداهم الأمة، وتحديداً فلسطين التي ما زالت لب الصراع العربي الإسرائيلي ومحوره الأساسي...

وخيم جو من الجدية والرصانة والمناقشات البناءة والاقتراحات العملية على مناقشات المؤتمرين، كما على كلمات المتحدثين وللمرة الأولى يتوصل المشاركون إلى توصيات عملية تحدد استراتيجية واضحة لو نفذ بعضها لتم تحقيق الغلبة على «إسرائيل»[(١)].

ولأهمية هذه المقررات والتوصيات وصلاحيتها للتطبيق من قبل جميع أبناء وشعوب أمتنا وقواها المتعددة من أحزاب ومنظمات وجمعيات وحتى أنظمة، فإني أورد هنا بعض أهم ما جاء في تلك التوصيات:

١ ـ «اعتماد المقاومة سبيلاً وحيداً للتحرير، ووقف المفاوضات بأشكالها كافة وإلغاء اتفاقيات الإذعان والإملاء وملحقاتها لا سيما اتفاقية أوسلو ومواصلة الانتفاضة بفاعليتها حتى التحرير الكامل.

٢ ـ التشديد على ضرورة وحدة الشعب الفلسطيني أيّاً كانت

---

(١) العهد: ٢٠ تشرين أول ٢٠٠٠.

أماكن وجوده وانتماءاته الفكرية والسياسية والدينية في طريق الصبر والكفاح والمقاومة.

٣ ـ إزاحة الخلافات العقائدية والدينية والفكرية والسياسية والحزبية جانباً، وتكوين وحدة جهادية نضالية تنخرط عبرها الأمة بفئاتها جميعاً في المواجهة المصيرية مع المشروع الصهيوني، وفي العمل على تحرير القدس ومسجدها الأقصى ومقدساتها، وإنقاذ الشعب الفلسطيني.

٤ ـ مناشدة الجماهير العربية مواصلة التحرك على قاعدة تأمين الحضور الدائم في الشارع.

٥ ـ دعوة وسائل الإعلام العربية المكتوبة والمرئية والمسموعة ـ لا سيما الفضائيات منها ـ إلى تكثيف برامجها المواكبة للانتفاضة...

٦ ـ دعوة الأحزاب والنقابات والهيئات الشعبية العربية إلى إبقاء التحرك الشعبي العربي مستمراً ومتصاعداً لمواكبة الانتفاضة داخل فلسطين ولدعم المقاومة في لبنان...

٧ ـ تفعيل دور الهيئات الشعبية لمقاومة التطبيع الموجودة في عدد من الدول العربية والسعي إلى تشكيلها في البلدان العربية والدول الأخرى»[١].

ولقد تميزت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر بإلقاء كلمة قيمة ومفصلة لقائد المقاومة الإسلامية في لبنان السيد حسن نصر الله، والتي يمكن أن تعتبر بحق وثيقة هامة تصلح لأن تكون برنامجاً

---

(١) العهد: ٢٠ تشرين أول ٢٠٠٠.

مفصلاً لقوى وأحزاب وأفراد أمتنا العربية والإسلامية لا سيما في مواجهة الهجمة الصهيونية على لبنان وفلسطين والمنطقة وخاصة ما تواجهه الانتفاضة في لحظة تاريخية استثنائية.

ولأهمية هذه الكلمة البرنامج، وسعياً في إيصالها لعدد أوسع من أفراد وقوى الأمة فأنا أوردها كاملة:

«نلتقي في لحظة تاريخية مهمة واستثنائية وفي أجواء انتفاضة الأقصى ذات الدلالات المهمة والخطيرة، تتطلع إلينا شعوب أمتنا وشعب فلسطين المجاهد والمضحي بأمل ورجاء، والسؤال الكبير هل يمكن لهذا اللقاء الحاشد بمن فيه من شخصيات وقوى وتيارات أن يكون بمستوى الحدث، وهل يمكن له أن يؤسس لنهضة حقيقية ولتحول أساسي في حركة الأمة وواقعها ومستقبلها؟

ما شاهدناه وشهدناه خلال الأيام الماضية هو تجسيد عيني للوصف النبوي الشريف لهذه الأمة، وما أودع فيها من خير.. وما بين أيدينا من وقائع يضعنا أمام مسؤوليات حاسمة وكبيرة؛ فمن انتصار المقاومة الباسلة في لبنان وما ألحقته بالعدو الصهيوني من هزيمة عسكرية وسياسية ومعنوية، وما قدمه لبنان من تضحيات جسيمة في هذا السبيل، إلى انتفاضة الأقصى وصور البطولة والإقدام على الموت دون وجل والحضور المدهش لهذا الشعب في الساحات، وتحديه لآلة القتل الصهيونية باللحم العاري والقبضات العزلاء.

إلى عرب فلسطين ١٩٤٨ الذين فاجأوا الصهاينة والعالم وأثبتوا أنَّ العربي حتى داخل أسوار الكيان الصهيوني وبعد عشرات السنين عصيّ على التطبيع والتدجين والتذويب، إلى الملايين من

العرب والمسلمين الذين تظاهروا أو اعتصموا في كل أنحاء العالم وأطلقوا صرختهم المدوية.

إلى ارتباك الإدارة الأميركية وهلع حكومة العدو... إلى الإحراج الذي أصاب معظم الأنظمة العربية وصعوبة التوفيق بين إرادة شعوبها من جهة وإرادة القوَّة المستبدة والمهيمنة على العالم من جهة أخرى.

كل هذا يؤكد صحة ما كان يصدر عن مؤتمراتكم وصدق ما آمنا به ومارسناه، الأمة لم تتعب ولكن الزعماء تعبوا، وإنَّ المفاوضات طريق المآزق والأوهام والتنازلات.

وإنَّ المقاومة وحدها هي طريق التحرير، وإنَّ شعوبنا قادرة أن تفرض إرادتها على كل العالم لو شاءت، وإنَّ المعركة لا تحتاج إلى أساطيل وإنَّما إلى إرادة، وإنَّنا أقوى ممَّا نظن، إنَّ عدونا أضعف ممَّا نتصور، وإنَّ المقاومة هي أفضل سبيل لصنع وحدة وطنية ووحدة أمة.

وإنَّ القدس حاضرة في وجدان الشعب الفلسطيني وفي ضمير الأمة التي لا تتحمل أن يدنس حرمتها شارون، وأن يبيعها أي زعيم عربي في سوق المفاوضات.

وإنَّ ما أسس على إنجازات عاصفة الصحراء وعمل له على مدى عشر سنوات من الجهد السياسي والإعلامي والميداني في إطار عملية التسوية، وانخرط فيه كل العالم إلاَّ القليل قد انهار أو كاد عند أعتاب المسجد الأقصى، وعند أقدام الشبان الذين لا يملكون سوى الحجر يرشقون به جنود الاحتلال.

غداً سيلتقي الجميع في شرم الشيخ والهدف معروف، ولكني أقول لكم أياً تكن نتائج قمة شرم الشيخ فلن تستطيع إحياء الموتى من التسوية إلى التطبيع وإلى التعايش وإلى القبول بهذا الوجود الإرهابي العنصري المسمى بـ«إسرائيل»، ولن تستطيع أن تمحو من الذاكرة صورة القتل المتعمد بدم بارد لأطفال فلسطين.

نعم قد توقف هذه القمة رمي الحجارة ولكنها لن تحول دون أن تصبح أرض فلسطين ساحة للرصاص والقنابل والسكاكين والعمليات الاستشهادية.

إنَّ المناخ النفسي والمعنوي سيفرز مجاهدين ومقاتلين يحميهم شعبهم ويذود عنهم.

إنَّني أعتقد جازماً أنَّ هذه الانتفاضة المباركة ستؤسس بحق لمعركة زوال هذا الكيان السرطاني من المنطقة، لأنَّ ما نحن مقبلون عليه مقاومة حقيقية في داخل فلسطين لن يتمكن أحد من تقطيع أوصالها أو تصفيتها أو زجها في السجون.

أما قمم شرم الشيخ المشؤومة والتي لم تَرَ أمتنا منها خيراً في يوم من الأيام، فلا يجوز أن تخيفنا، ففي سنة ١٩٩٦ اجتمع العالم كله هناك للدفاع عن «إسرائيل» لإدانة لبنان وسوريا وإيران، ولاتهام الحركات الجهادية في لبنان وفلسطين بالإرهاب والتصميم على إبادتها وتصفيتها، ولكنهم عجزوا عن فعل شيء عندما توافرت لدينا إرادة الصمود والتحدي وواصلنا المقاومة.

لا أريد أن أثقل عليكم ولن أطيل إنَّما أكتفي بأمرين:

الأول: صدقوني أنَّنا بحاجة اليوم وقبل كل شيء إلى الإيمان واليقين وإلى الثقة، إلى الإيمان بالله ووعده ونصره، إلى الإيمان

بحقنا وقدرتنا على صنع الانتصار وإلى اليقين والثقة بشعبنا وأمتنا، إلى الإيمان بأنَّ عدونا يمكن أن يهزم وقد هزم، إلى الإيمان بأنَّ الانتصار لا يحتاج إلى كل هذه الاستراتيجيات المعقدة والشروط المستحيلة، لقد فرض عدَّة مئات من الشباب اللبناني المقاوم وبشعبه وحكومته الهزيمة والاندحار المذل على أقوى جيش في المنطقة، إلى الإيمان بأنَّ سلوك طريق الجهاد والمقاومة لتحرير فلسطين يصلح الأمة.

لو توافر لدينا هذا الإيمان وهذا اليقين ستتولد لدينا الإرادة والعزم والحماسة والنشاط والأمل والوضوح والإخلاص والجدية والمثابرة والاستهانة بالصعوبات والثبات في الشدائد والصبر على التضحيات، لأنَّ آخر الطريق عندنا واضح لا غموض فيه وهو النصر الأكيد والمؤزر من الله تعالى.

الثاني: إنَّنا مدعوون اليوم إلى الاستجابة السريعة والحازمة لنبض الأمة، وحسم أولوياتنا لمصلحة الانخراط الكامل في مواجهة المشروع الصهيوني، والعمل من أجل تحرير القدس، وإنقاذ المسجد الأقصى من التدنيس والتدمير، وإنقاذ الشعب الفلسطيني من التهجير والإبادة.

فلنضع كل خلافاتنا العقائدية والدينية والفكرية والسياسية والحزبية جانباً، وليكن لنا شرف المساهمة الجادة في هذه المواجهة المصيرية، وليقبل كل واحد منَّا بتواضع ـ سواء كان زعيماً أو فقيهاً أو مفكراً ـ ليقبل أن يكون جندياً مخلصاً في معركة قائدها الحقيقي هو الشهيد الفتى محمد الدرة وأمثاله من الشهداء.

علينا أن نعترف اليوم أنَّ قادتنا الحقيقيين الذين يصنعون

تاريخنا المعاصر هم أولئك الشبان الذين اقتحموا قلاع الصهاينة الغزاة في لبنان، وأولئك الشبان الذين أربكوا حكَّام العالم عندما نزلوا بشجاعة إلى الشوارع وفتحوا صدورهم للرصاص.

إنَّها فرصة جديدة منَّ الله تعالى بها علينا، فلنأخذها بقوة ولنحرك شعوبنا وأقطارنا في هذا الاتجاه ولنحرج بها حكامنا إن كانوا خارج هذا الاتجاه، ولنواصل السعي والعمل وسنصل بإذن الله»[1].

إنَّ انتصار حزب الله هو حجَّة على الجميع لا سيما العلماء والمفكرين والمسؤولين في الأمة، وقد أقيمت هذه الحجَّة بقوة عبر الموعظة الحسنة والكلمة الصادقة لقائد المقاومة وعبر البرامج الهادية للمنار، وبعد ذلك تأكدت وتكرست هذه الحجَّة على الأمة ولا زالت كذلك تتأكد في كل يوم يمر من عمر هذه الانتفاضة البطلة ومع كل قطرة دم تسقط لتروي تراب فلسطين وتزود عن حياض القدس العزيز.

ونحن نرى ونلمس في المقابل تفاعل الأمة في كثير من قطاعاتها وجماهيرها مع هذه الحجَّة البالغة والتي ـ إن استقامت الأمة في السير على هديها ـ ستصل حتماً إلى فلاحها وساعتئذٍ لن تضيع الحجَّة ولن يبقى الانتصار مجرد شعاع يضيء في ليل الأمة، بل سيتحول إلى فجرٍ صادق يشرق من بعده صبح الحرية والانعتاق ونيل الآمال.

---

(١) العهد: ٢٠ تشرين أول ٢٠٠٠.

الفصل السادس

أميركا خط الدفاع الأخير

تمهيد

الإرهاب الذاتي

الحلف الجهنمي

محور الشرّ أم الخير

عقدة حزب الله

الانتفاضة أحرجتهم فأخرجتهم

١١ أيلول مدخل إلى العدوان

العراق البوّابة الشرقية

الانتفاضة هي الهدف

تمهيد

منذ بدايات الصراع العربي الإسرائيلي كانت أميركا لاعباً رئيسياً ومؤثراً في هذا الصراع من خلال دعمها العلني والخفي للكيان الإسرائيلي والوقوف إلى جانبه في كافة جرائمه التي ارتكبها ضد شعوب ومقدرات هذه المنطقة عبر أجيال طويلة، وعبثاً حاولت الإدارة الأميركية أن تخفي تحيزها إلى جانب «إسرائيل» في بعض حقبات هذا الصراع، محاولة الظهور بصورة الحكم النزيه والصديق للجميع وذلك في سبيل تأمين موقعية أفضل تسمح لها بالدفاع عن ربيبتها «إسرائيل» من جهة، وتسهل عليها ممارسة دور الاستعمار المقنع من جهة أخرى، ورغم مهارة اللاعب الأميركي في التضليل، ومع وجود عدد غير قليل من الأنظمة المحلية والتي كانت تقوم بدور التعمية في هذا المجال، غير أنَّه بات واضحاً لشعوب منطقتنا وقواها الحية أنَّ الإدارة الأميركية ليست إلاَّ شريكاً كاملاً «لإسرائيل» تتحمل معها مسؤولية جميع ما نتج من وجود هذا الكيان الغاصب من جرائم يندى لها الجبين، إن لم تكن هذه الإدارة هي المسؤول الأول عن كل تلك المآسي.

والسبب في كل ذلك واضح وهو انَّ الاستعمار الأميركي الوريث للاستعمار البريطاني سعى ويسعى لتأمين مزيد من الحضور

والسيطرة عبر «إسرائيل» أو مباشرة على المزيد من الأقطار العربية والإسلامية والتي تقع في منطقة حساسة من العالم حيث يعد البترول واحداً من أسباب حساسية هذه المنطقة الفائقة.

لبنان المقاوم كان سباقاً في اكتشاف اللعبة الأميركية وانحياز الإدارات الأميركية المتعاقبة «لإسرائيل»، وذلك بفضل إرشادات الإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية والملهم للنهضة العربية والإسلامية، حيث اعتبر الإمام أنَّ أميركا هي «الشيطان الأكبر» و«أنَّ كل مصائبنا هي من أميركا».

واجه لبنان المقاوم المؤامرات السياسة والاعتداءات الأمريكية المباشرة على أرضه وإنسانه والتي كانت إحداها الدعم السافر «لإسرائيل» باجتياح لبنان عام ١٩٨٢، بل وتأمين الحماية والعون لهذا الاجتياح سياسياً وعسكرياً عبر إرسال قوات أميركية كجزء من قوات متعددة الجنسيات إلى هذا البلد، بل والاعتداء الأمني والعسكري الفاضح على الشعب اللبناني عبر تفجير بئر العبد وصناعة مجزرة بشعة، وعبر قصف لبنان بقذائف البوارج الأميركية الضخمة والمدمرة.

لقد عرف لبنان المقاوم كيف يوجه الصفعات للأميركيين المعتدين ويرد الصاع صاعين، وذلك من خلال العملية الاستشهادية التي نفذتها حركة الجهاد الإسلامي[١] في لبنان وأدت إلى مقتل مئات من مشاة البحرية الأميركية ممَّا دفع بهم إلى مغادرة لبنان على الفور، وكذلك من خلال الصمود العسكري والسياسي أمام القصف الأميركي من جهة ومحاولات الاختراق من جهة ثانية.

---

(١) حركة لبنانية سرية لم يعد لها وجود منذ سنوات طويلة.

والأهم من كل ذلك قيام مقاومة شرسة ضد جيش العدو الإسرائيلي في لبنان كانت خلالها المقاومة تدرك انَّها لا تقاتل «إسرائيل» وحدها في لبنان، بل تقاتلها وإلى جنبها أميركا، فالسلاح والإرادة والمال والدعم، كله أميركي.

بهذه الخلفية لقتال المقاومة الإسلامية في لبنان، يمكن أن نقول أنَّ الانتصار الذي حققته المقاومة عام ٢٠٠٠ لم يكن انتصاراً على «إسرائيل» فحسب، بل كان أيضاً انتصاراً على أميركا وبكل ما للكلمة من معنى، فأميركا التي خاضت حرب الخليج الثانية في العراق كمدخل لإدخال العرب جميعاً وبالإكراه إلى بوتقة الاستسلام في مدريد وبعده في أوسلو ووادي عربة، وأميركا التي حرصت كثيراً على إيجاد اختراق في الجبهة السورية اللبنانية عسكرياً وسياسياً إلى جنب «إسرائيل» إن عبر حربي تموز ونيسان، أو عبر الدفع بالمفاوضات بين سوريا و«إسرائيل» إلى نهايات إيجابية لهم، أميركا هذه رأت أنَّ كل ما حققته لها ولشريكتها «إسرائيل» عبر سنوات طويلة في مهب الإعصار اللبناني المدمر، والذي بات يهدد بإفساد كل ما بنت وإسقاط الهيكل على رؤوس بناته.

ومع اندلاع الانتفاضة في فلسطين المجاهدة في ٢٨ أيلول ٢٠٠٠ وتحولها السريع إلى مقاومة جادة وطموحة تكون العربة الأميركية قد وضعت أمام الحصان.

وبات الكيان الصهيوني أمام مأزق وجودي يمكن له أن ينسف كل شيء بالكامل، ويوجه بذلك ضربة استراتيجية للاستعمار الأميركي في المنطقة العربية والإسلامية قد لا يستطيع تعويضها مطلقاً.

بناءً على ما مر فإنَّنا نعتقد أنَّ الهجمة الأميركية المباشرة على

المنطقة العربية والإسلامية والتي تعززت بشكل جليّ بعد أحداث ١١ أيلول وأدت إلى احتلال أفغانستان والعراق ووضعت سوريا ولبنان وإيران وباقي دول المنطقة في معرض تهديد جدي، إنَّما كانت بسبب الخطر الكبير الذي بدأ يواجهه الكيان الصهيوني بعد هزيمته في لبنان على يد حزب الله وبداية هزيمته النهائية في فلسطين المحتلة على يد الانتفاضة البطلة.

وبذلك يمكن أنْ نضع سلسلة التداعيات الكبيرة المتجسدة بالحضور الأميركي العسكري في المنطقة كاحتلال واستعمار مباشرين في خانة انتصار المقاومة في لبنان والتي كانت انتفاضة فلسطين واحدة من ثماره.

ونحن لا نفسر هذا الوجود الأميركي المباشر في المنطقة قوة لأميركا و«إسرائيل»، إنَّما هو ضعف وانهزام للطرفين، باعتباره محاولة يائسة لحماية الكيان الصهيوني ومنعه من الانهيار الأكيد، كما أنَّه تراجع عن حالة الهيمنة الأمريكية على مقدرات المنطقة من خلال سطوتها وسمعتها إلى الاضطرار للنزول مباشرة إلى الأرض لتأمين ذلك عبر دفع الثمن ومن دماء الجنود الحمراء، وفرق واضح بين الأمرين، من هنا فإنَّنا نعتبر أنَّ الحضور الأميركي المباشر إن من خلال الاتفاقيات المذلة مع كثير من الدول بهدف إقامة منشآت عسكرية، أو عبر الغزو والاحتلال، إنَّما يمثل خط الدفاع الأخير عن «إسرائيل» والمصالح الأميركية والاستعمارية في منطقتنا الحيوية للاقتصاد العالمي.

الإرهاب الذاتي

من المهم جداً لأي باحث أو سياسي يريد أن يحلل مواقف وتصرفات الإدارات الأميركية المتعاقبة أن ينطلق في تحليله من المعرفة المسبقة للطبيعة الإرهابية والعدوانية للنظام الأميركي، فأميركا ليست نظاماً قد بدأ في ممارسته للإرهاب في مرحلة محددة ونتيجة لظروف معينة كان قبلها واحة للعدالة والتعامل الأخلاقي مع العالم، بل إنَّ هذا النظام قد نشأ وترعرع في حضن الإرهاب، بل إنَّ النطفة المولّدة له كانت نطفة غير حميدة وإرهابية.

فالأوروبيون الأوائل الذين اكتشفوا أميركا واحتلوها ونكلوا بأهلها الأصليين ما كانوا غير مجموعات من المجرمين والقتلة الذين أُبعدوا نتيجة لإجرامهم وفسادهم.

والتاريخ الأميركي والعالمي يؤكد بشكل لا يحتمل التأويل، الطبيعة الإجرامية والوحشية لآباء أميركا الحديثة، فما أن فرغ هؤلاء من إنجاز المجازر الكبرى والدموية بحق الهنود الحمر ـ وهم السكان الأصليين لتلك البلاد ـ حتى توجهوا وبلا رحمة أو إنسانية إلى القارة الأفريقية ليحملوا مئات الآلاف من أبنائها أرقاء وعبيداً للعمل في الحقول والمزارع بدون رحمة، وبطريقة لا يحق التعامل

بها مع الحيوانات، ولا تزال هذه الشريحة السوداء وحتى اليوم تعاني من الحرمان والتمييز الطبقي والعنصري رغم الادعاءات الفارغة. ولم يكن هؤلاء الأميركيين أقل غلظة تجاه بعضهم البعض بسبب تضارب المصالح المادية والنزعات الرخيصة حيث سطر هؤلاء وأولئك أفظع الجرائم بحق بعضهم البعض عبر حروب دامت لسنوات طويلة.

وما إنْ فرغ هؤلاء من التقاتل الداخلي حتى تحولوا إلى ممارسة أعتى أصناف الظلم بحق شعوب الدول المستضعفة والفقيرة في هذا العالم، وذلك بسبب النظام الاستكباري الذي خرجوا به والمسمى بالنظام الديمقراطي والرأسمالي أو الليبرالي الحر، حيث يفرض هذا النظام الجشع المزيد من استعمار الشعوب وسرقة خيراتها، للمحافظة على مصالحهم غير المشروعة، وقد توسلت الإدارات الأميركية المتعاقبة لتأمين ذلك بجميع ما يخطر أو لا يخطر بالبال من أساليب وحشية وقذرة، ومنها الكذب المتمادي الذي لا حدود له، وتدبير الانقلابات العسكرية في العديد من الدول، وصولاً إلى التدخل العسكري المباشر وإرسال الأساطيل وقصف وتدمير المدن والقرى، وقتل الأبرياء بالقنابل النووية.

والحق يقال إنَّ هذا النظام السياسي المستكبر لم يشهد حقبة من تاريخه لم يسجل له فيها القيام بالأعمال الإرهابية والظلم على الإنسان سواء في داخل أميركا أم في العالم، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّه يدلُّ على الطبيعة الإرهابية المتأصلة فيه والتي لا يمكن أن تنفك عن ذاته على الإطلاق.

ولعلَّنا لا نجد شبيهاً له من هذه الجهة في العالم سوى الكيان

الغاصب لفلسطين المحتلة، وربَّما كان هذا سبباً إضافياً في التلاحم والتعاون الشرير بينهما.

لذلك فإنَّ الصفة التي أطلقها الإمام الخميني رضوان الله عليه على أميركا وهي «الشيطان الأكبر» ليس فيها أية مبالغة، بل هي على نحو الحقيقة والواقع وفيها من الدقة ما لا نجده في عبارة أخرى.

وقد أكد الإمام الخميني رضوان الله عليه على الطبيعة الإرهابية للنظام الأميركي واعتبر في وصيته الإلٰهية السياسية أنَّه لمن الفخر للشعوب أن تواجه هذه الدولة الإرهابية: «شعبنا بل الشعوب الإسلامية ومستضعفو العالم فخورون بأنَّ أعداءهم الذين هم أعداء الله العظيم والقرآن الكريم والإسلام العزيز، هم حيوانات مفترسة لا يتورعون عن ارتكاب أية جناية وخيانة لتحقيق أهدافهم المشؤومة والجانية، ولا يميزون ـ في طريق الوصول إلى الرئاسة ومطامعهم الدنيئة ـ بين العدو والصديق... وعلى رأسهم أميركا هذه الإرهابية ذاتاً، هذه الدولة التي أضرمت النار في جميع أرجاء العالم، وحليفتها الصهيونية العالمية التي ترتكب لتحقيق مطامعها جنايات تخجل الأقلام والألسنة عن كتابتها وذكرها.. ويحملهم الخيال الأبله بـ«إسرائيل» الكبرى على ارتكاب أية جناية»[1].

عندما تحدث الإمام الخميني المقدَّس بهذه الكلمات وحدد بالوصف الدقيق الطبيعة الشيطانية والإرهابية لأميركا، لم تكن حينها هذه الحقيقة بادية للكثيرين في هذا العالم، ولعلَّ الكثيرين كانوا يعتقدون أنَّ أميركا هي مثال العدالة والحرية في هذا العالم، ولكن

---

(١) الوصية الخالدة: الإمام الخميني، ص١٥.

وبعد عقود قليلة وببركة جهاد وتضحيات هذا الإمام العظيم، وأتباع خطه ونهجه والإصرار على فضح زيف الادعاءات الأميركية الكاذبة حول القيم الإنسانية التي تسترت خلفها طويلاً، وبسبب العديد من الأحداث والتداعيات فقد أميط اللثام عن الوجه البشع لهذا النظام الاستعماري وظهر جلياً على حقيقته الموغلة في البشاعة، ولا سيما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وسعي الولايات المتحدة الأميركية للتفرد في الهيمنة على مقدرات هذا العالم بكل السبل غير المشروعة.

وفي الآونة الأخيرة عندما يتصفح المرء ما ورد في الاستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأميركي يدرك أنَّ إدارة بوش (الابن) تتعامل مع العالم وكأنَّها ترأس محكمة جزائية دولية، توزع الاتهامات على من تشاء وتحاسب من تشاء من الدول والمنظمات والأفراد على نواياهم، وتمنح لنفسها وحدها حق (التنجيم) ومعرفة هذه النوايا، وتبلغ العالم بأنَّها لن تتوانى عن اللجوء للقوة العسكرية للتدخل بصورة منفردة عندما لا يتفق الآخرون معها، كما تذكر الحلفاء والمنافسين المحتملين بأنَّها لن تسمح ببروز أي قوة عسكرية مناوئة أو منافسة على المسرح الدولي وبأنَّها ستحافظ على حالة اللاتوازن القائمة في النظام الدولي الراهن بكل الوسائل، ولذلك فهي تضع العالم كله تحت سلطة قوانين الطوارىء والأحكام العرفية.

لقد أضحت الولايات المتحدة لا سيما بعد أحداث ١١ أيلول ـ والتي يشك المراقب بأن تكون الأيدي الصهيونية بعيدة عنها ـ الشيطان الأكبر بامتياز، فقد أضافت إلى صفة الشيطان الأساسية والتي هي الوسوسة والإغواء والاحتيال، صفة فرعونية طاغوتية إذ

أعطت الحق لنفسها بالتدخل السافر في أي نقطة من العالم ولأي سبب بعيداً عن مؤسسات النظام العالمي الذي دفنته بيديها بعدما تجاوزته مصالحها، وداست عليه بطغيانها الذي لم يقاربه طغيان في طول التاريخ المعروف من عمر هذا الكوكب، فأميركا بجدارة أم الإرهاب العالمي.

الحلف الجهنمي

التعرف على حقيقة العلاقة التي تربط أميركا بـ«إسرائيل» وبالعكس، هو أمر ضروري لفهم السياسات والمشاريع الدائرة اليوم في المنطقة والعالم، وفهم خلفية الهجمة الأميركية الجديدة على بلدان المنطقة، وبسبب الدهاء الأميركي في إخفاء الأمر تعددت وجهات النظر حول الموضوع وبات يتضمن شيئاً من التعقيد والضبابية التي قد توهم المحللين وتريهم الأُمور على خلاف الواقع.

بالعودة إلى زمن تأسيس الكيان الغاصب في فلسطين، فإنَّ الحقائق والشواهد التاريخية تدلُّ بوضوح على أنَّ الكيان كان صنيعة للاستعمار الغربي ممثلاً ببريطانيا آنذاك، حيث كانت أميركا في حينها قد بدأت بتسنم موقع الزعامة في هذا المعسكر على إثر النتائج التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية، وسرعان ما تكفلت أميركا الوليد الاستعماري وحضنته في السياسة، حيث كانت المسارعة إلى الاعتراف به في مجلس الأمن، كما دافعت عنه عسكرياً وبشكل مبكر عبر الامداد بالمال والتكنولوجيا العسكرية والمدنية وكل ما يلزم لإيقاف الكيان على قدميه... فالعلاقة بالأساس والبداية كانت علاقة استخدام لهذا الكيان في تأمين المصالح الحيوية للغرب في هذه المنطقة، وبهذا المعنى يمكن أيضاً اعتبار زرع الكيان الصهيوني

في فلسطين حلقة جديدة من حلقات حروب الفرنجة على المنطقة العربية، والتي كانت بدورها ذات أهداف استعمارية وإن ألبست ثوب الدِّين والقداسة، وهذا أيضاً بعينه ما تميز به حارس الاستعمار الجديد «إسرائيل»، حيث امتزج الديني بالسياسي بطريقة غريبة عجيبة، والحق يقال أنَّ هناك تقارناً وتصادفاً لأحداث وظروف هيأت لهذا المولود الشيطاني، وربَّما كان هذا التقارن من فعل شياطين بشر خارقين للعادة، فدعاة الصهيونية العالمية والذين كانوا من اليهود وبعض المسيحيين في الغرب قد وجدوا في تعاليم التوراة المحرفة ضالتهم ليحملوا من خلالها ملايين اليهود في العالم على الهجرة إلى فلسطين لتحقيق الوطن التاريخي المزعوم، ولم يكن لدى هؤلاء أفضل من دغدغة مشاعر المتدينين اليهود لدفعهم إلى هذه البلاد، بل وإيجاد الوازع لديهم للقتال والتضحية في سبيلها وهذا ما حصل في البداية، كما انَّ هؤلاء الصهاينة تمكنوا وعبر جهد مضني وخاصة في أميركا أن يخرجوا عشرات الملايين من المسيحيين الأميركيين من مسيحيتهم ليدخلوهم في الحقيقة إلى الديانة اليهودية عبر ما بات يعرف بالمذهب الإنجيلي أو المسيحية المتصهينة في أميركا والتي يزيد عدد أتباعها اليوم عن خمسين مليون شخص، وجل عقائد هذا المذهب هي من التوراة المحرفة، هذا إضافة إلى التعاطف العام في وسط الشعوب في الغرب مع قصص المظلوميات الملفقة التي ما فتئت تنسجها وسائل الإعلام الغربية المتصهينة، سواء ما تعلق من تلك القصص بأفران النازية الموهومة أو المبالغ فيها بالحد الأدنى، أو ما له علاقة بالجيران العرب الذين يريدون تكرار هذه المحرقة ذبحاً هذه المرة وبالإلقاء في البحر على حد ما يصوره الإعلام الصهيوني للغربيين.

والحقيقة فإنَّ التعاطف الأميركي مع «إسرائيل» والشعب اليهودي بسبب الوازع الديني وما يتعلق «بالمظلومية»، وخاصة بين أركان الطبقة السياسية الحاكمة هناك يجعل العلاقة أكبر من علاقة استراتيجية، لتصل إلى حد الترابط في المصير، وهذا ما يفسر الوقاحة التي تبدر من الولايات المتحدة في دفاعها عن «إسرائيل» في كافة الملفات والقضايا، بل وبلوغ حد التدخل العسكري المباشر وتقديم الدماء الأميركية دفاعاً عن وجود «إسرائيل» كما هو حاصل هذه الأيام في العراق.

والحقيقة فإنَّ هذه العلاقة بين أميركا و«إسرائيل» والمستوى الذي وصلت إليه لم يعد يشكل خطراً على الإسلام والمنطقة الإسلامية فحسب، بل بات يشكل خطراً على المسيحية لا سيما في الغرب وخاصة أوروبا، ولعلَّ هذا ما يفسر الوقوف العلني لبابا روما ومعارضته الكثير من المواقف والتصريحات غير المتزنة التي أدلى بها الرئيس الأميركي بوش الابن بعد أحداث ١١ أيلول وقبيل الحرب على العراق، وكذلك الموقف المتميز لفرنسا وألمانيا وبعض الدول الأوروبية عن الموقف الأميركي في كثير من القضايا السياسية والصراعات الدائرة في العالم لا سيما في منطقتنا.

وكخلاصة يمكن القول أنَّ ما بين أميركا و«إسرائيل» بات يمكن التعبير عنه بأنَّه شراكة كاملة، فبعد أن كانت العلاقة في البداية علاقة الآلة بمستخدمها، والأجير بالمؤجر فقط، تحول الالتزام الأيديولوجي البعيد المدى بـ«إسرائيل» إلى ترابط مصيري، يترجم من خلال الإجراءات العملية من كلا الجانبين، والتعاون الشامل في كافة القضايا السياسية والأمنية والعسكرية والاقتصادية والخ...

لذلك فإنَّ أميركا على ما يبدو باتت حاضرة للدفاع عن الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين مهما كلفها ذلك من ثمن وحتى وإن كان الثمن على ما يبدو مصيرها ومستقبلها.

محور الشر أم الخير

عندما نقول أنَّ الانتصار اللبناني ولَّد كل تلك النتائج العظيمة ومنها الانتفاضة، ما أدى إلى كل التداعيات التي باتت معروفة ومنها الحضور الأميركي الاحتلالي في العراق بقصد حماية «إسرائيل»، فإنَّ الفضل بعد الله تعالى في هذا الانتصار هو لدماء الشهداء والجرحى ولعذابات الأسرى والعوائل الأعزاء، غير أنَّنا لا بد وأن نعترف أيضاً أنَّ هناك سبباً مهماً جداً ساهم في صنع هذا الانتصار، وبالتالي في صنع التحولات الناجمة عنه، وهذا السبب هو التعاون والتكاتف والتضامن بين دول ما نسميه نحن بمحور الخير ونقصد محور طهران ـ دمشق ـ بيروت، فإيران الإسلام قدمت الدعم المعنوي للمقاومة الإسلامية منذ انطلاقتها وقدمت الدعم السياسي والمادي للبنان في فترات زمنية طويلة؛ وهكذا دمشق التي شكلت حارساً للمقاومة وداعماً لها في وجه محاولات الاختراق الداخلية والخارجية السياسية والأمنية؛ وبيروت قدم الحكم فيها لا سيما في عهد الرئيس لحود الغطاء الداخلي المناسب لحماية الوحدة من حول المقاومة، وهكذا بفضل هذا المحور تمكنت رأس الحربة من النفاذ إلى قلب العدو الإسرائيلي وهزمته ذليلاً من لبنان رغم الدعم الأميركي القوي للحيلولة دون وقوع مثل هذه الهزيمة المنكرة التي شاء الله أن تفتح الوضع في فلسطين على انتفاضة ومقاومة لا تلين هددت كل المشروع الصهيوني الأميركي في المنطقة.

لهذا السبب ولاعتبار الخلفية التي تحدثنا عنها والتي تربط بين

أميركا و«إسرائيل»، كان أن شنت أميركا حملتها المسعورة على ما أسمته «محور الشر» والذي أدخلت فيه إضافة إلى طهران ودمشق (وبيروت تبعاً) العراق وكوريا الشمالية، وذلك من باب التعمية وإخفاء الحقيقة، إلاَّ أنَّ المقصود على نحو الحقيقة هو «محور الخير» الذي وقف عصياً في وجه مؤامرة إسقاط المنطقة برمتها بيد الإسرائيليين، ووقف أيضاً إلى جنب انتفاضة الشعب الفلسطيني بكل إخلاص كما وقف بالأمس إلى جنب مقاومة الشعب اللبناني.

والحقيقة أنَّ الهجمة الأميركية على دول هذا المحور ليست جديدة، فإيران الإسلام تعرضت وعلى مدار عمر الثورة الإسلامية التي قطعت أيدي أميركا، للعديد من المؤامرات والاعتداءات الأميركية الخطيرة والشرسة، فالحرب التي شنها نظام صدام حسين عليها كانت بقرار أميركي واستمرت ثماني سنوات بإرادة أميركية، هذه الحرب كلفت الاقتصاد الإيراني خسائر طائلة، كما أنَّها أدت إلى خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات، ولم تكتف أميركا بدعم هذه الحرب بعد أن عجزت عن إجهاض الثورة عبر تشجيع منظمة «مجاهدي خلق» الإيرانية المارقة على القيام بمئات العمليات الإرهابية التي أدت إلى شهادة عشرات المسؤولين والكوادر الكبار في الثورة، وبعد فشل هجومها المباشر في رمال صحراء طبس، بل جاءت بقواتها البحرية إلى مياه الخليج بقصد الضغط والتهويل على الجمهورية الإسلامية لإنهاء حربها مع العراق بعد أن مالت الدفة لصالح الجمهورية الإسلامية وباتت أميركا تخشى من سقوط نظام صدام حسين ممَّا يفتح الطريق أمام احتمالات خطرة على الكيان الإسرائيلي والمصالح الأميركية في المنطقة، ولم تكتف القوات الأميركية بعمليات الاستفزاز البحري ضد القطع البحرية

الإيرانية، بل قامت بارتكاب مجزرة إنسانية بشعة عبر إسقاطها المقصود لطائرة الركاب الإيرانية فوق مياه الخليج ما أدَّىٰ إلى مقتل جميع ركابها.

هذا كله إضافة إلى الحصار الاقتصادي والعقوبات الدولية واحتجاز الأرصدة، والحرب الثقافية والاجتماعية والإعلامية التي تشنها الولايات المتحدة يومياً على المجتمع الإيراني وحكومته الثورية، حيث رصدت الحكومة الأميركية وبشكل رسمي عشرات ملايين الدولارات بقصد زعزعة الأمن الإيراني، ثقافياً وأمنياً واجتماعياً وسياسياً.

لذلك فإنَّ تصنيف إيران ضمن «محور الشر» أخيراً يأتي كحلقة متقدمة من حلقات الضغط على إيران لثنيها عن تقديم الدعم للمقاومة والانتفاضة في لبنان وفلسطين، وأيضاً لتحضير الأجواء الأميركية الداخلية والعالمية لتقبل فكرة توجيه عدوان عسكري واسع لإيران إن لم تستجب لهذه الضغوط.

أمَّا سوريا الأسد ومع أنَّها انتهجت منهجاً سياسياً معتدلاً في العلاقة مع الإدارة الأميركية، حيث أبقت على علاقة سياسية عادية معها ومارست أسلوب الحوار الهادىء لحل المشاكل العالقة، فلم تسلم بدورها من الاعتداءات والتهديدات الأميركية لها بدءً من تحريك بقايا ميليشيات الحرب اللبنانية وتأليبهم على الدور السوري العربي والهام في لبنان، مروراً بقانون محاسبة سوريا، ووصولاً إلى تهديدها بالحرب.

كما أنَّ لبنان حكومة وشعباً ومقاومة، وفلسطين كذلك لم يسلموا من الأذى الأميركي والتهديد والوعيد ووقف المساعدات

الوضيعة أصلاً والضغط السياسي، لا بل الاعتداءات العسكرية والأمنية المباشرة على لبنان عام ١٩٨٢ و١٩٨٣ وتغطية الاعتداءات الإسرائيلية السافرة على الشعب الفلسطيني وبسلاح وقرار أميركيين.

إنَّ الهدف لكل هذه الضغوط والحملات الأميركية ولا سيما في الآونة الأخيرة على هذه الدول عبر تصنيفها ظلماً بأنَّها دول «محور الشر»، إنَّما هو بسبب الموقف المشرف لهذه الدول تجاه القضية الفلسطينية والدعم المعنوي والسياسي الذي تتلقاه الانتفاضة والمقاومة منها وكذلك دعم حزب الله الذي قاوم الاحتلال الإسرائيلي ولا يزال.

ومن المؤكد أنَّ أميركا قد عرضت الكثير من الإغراءات لتلك الدول إذا ما تخلت عن واجبها تجاه القضية الإسلامية والعربية الأولى في هذا العصر، قضية فلسطين.

فلو أنَّ إيران الإسلام تخلت ـ لا سمح الله ـ عن القضية الفلسطينية وهي لن تفعل، لكانت أميركا حاضرة لرفع كامل العقوبات عن إيران، بل اتخاذها شريكاً لها في منطقة الخليج بجعلها شرطياً على جيرانها العرب، وحل كل مشاكلها الاقتصادية وما شابه.. وهكذا بالنسبة لسوريا حيث كان يمكن لأميركا حينئذٍ أن تبارك الوجود السوري في لبنان وأن تغدق المساعدات المالية على سوريا لتنعش اقتصادها... وهكذا فيما خص لبنان والشعب الفلسطيني المظلوم.

ولكن الفخر كل الفخر لهذه الدول والأنظمة وشعوبها أنْ اتخذت هذا الموقف المشرف لتتحول بذلك إلى أروع محورٍ للخير شاء من شاء وأبىٰ من أبىٰ.

وهذا ما يؤكد مدى أهمية المحافظة على الكيان الصهيوني بالنسبة لأميركا، وأنّها حاضرة لفعل أي شيء من أجل ذلك ولو أدّىٰ إلى ظلم عشرات الشعوب بل إلى ظلم البشرية جمعاء.

عقدة حزب الله

لقد شكل حزب الله بجهاده الصادق ومقاومته الصلبة للمشروع الصهيوني في المنطقة عقدةً استعصت على الحل بالنسبة للإسرائيليين والأميركيين، فمنذ تأسيس هذا الحزب إتّبع أيديولوجية ثابتة مناهضة للمشروع الصهيوني الأميركي، وتمكن بفضل ثباته على الهدف أن يفشل العديد من الخطط والمشاريع العدوانية، وشكل حالة استنهاض في الأمة العربية ساهمت في انطلاقة الانتفاضة في فلسطين وضرب مشروع التطبيع بين «إسرائيل» والشعوب العربية.

وهذا من لطائف الصنع الإلٰهي، فلبنان الذي قد لا يظهر على خارطة العالم لصغر حجمه، والذي لم يكن الكثير من الأميركيين يعرفون باسمه وأين يقع على خارطة العالم قبل عام ١٩٨٢، أضحى اليوم يمثل هاجساً مقلقاً للإدارة الأميركية الحريصة أكثر من الصهاينة أنفسهم على أمن الكيان الغاصب ومشروع التسوية في المنطقة.

أمام هذا الواقع كان من الطبيعي أن يتعرض حزب الله ومعه لبنان لموجات الضغوط والمؤامرات والاعتداءات الأميركية الإسرائيلية ولا زال يتعرض لها، بل هي وصلت في الآونة الأخيرة إلى حد التهديد بالحرب الشاملة من قبل هذا الحلف الجهنمي والإرهابي.

ولقد تناول قائد المقاومة السيد حسن نصر الله التهديدات الأميركية لحزب الله ولبنان وردَّ عليها، معدداً الجرائم الأميركية بحق هذا البلد وبلدان المنطقة، وممّا جاء في كلمته التي ألقاها في

الذكرى التاسعة لمجزرة ١٣ أيلول التي دبرها الأميركيون بحق المعترضين على اتفاق أوسلو المذل عام ١٩٩٣، وممَّا جاء في الكلمة الهامة: «في ١٣ أيلول، الإسرائيلي والأميركي كان يراهن على فتنة في لبنان بين المقاومة والجيش اللبناني... الحرب الأهلية كانت دائماً مشروعاً أميركياً إسرائيلياً في لبنان، وهذا ما يتمنونه اليوم وغداً، كم يتمنون أن يقاتل اللبنانيون بعضهم بعضاً من جديد، ليس من أجل لبنان ولا من أجل اقتصاد لبنان ولا من أجل خلاصه، وإنَّما من أجل «إسرائيل»... وفي ما يتعلق بالتهديدات الأخيرة لحزب الله، النقطة التي أريد أن أركز عليها أنَّ هذا ليس بجديد، ولكن النقطة المثيرة للنقاش والتوقف هي مديونية الدم، يتهموننا أنَّ لهم دماً عندنا، الغريب هنا أنَّ الأميركيين بسبب عجرفتهم وعلوهم ينسون بسرعة، وإذا كان لأحدٍ دم في ذمة الولايات المتحدة ومصانع الأسلحة والإدارات الأميركية المتعاقبة وجيش الولايات المتحدة وأجهزتها الأمنية فهم اللبنانيون والفلسطينيون والأردنيون والمصريون والعراقيون والإيرانيون لهم دماء غالية جداً، في أعناق الأميركيين... هم الذين جاؤوا إلى أرضنا وبدأوا الحرب، فأرسلوا جيوشهم إلى بلادنا وقتلوا وسفكوا الدماء... هم الذين قصفوا بمدمراتهم من البحر الجبل والضاحية من دون تمييز بين لبناني ولبناني وحزب وطائفة وفئة، أليسوا هم الذين قدموا ذلك الدعم العسكري والاقتصادي الأميركي «لإسرائيل» ثم لم ترض أميركا أن تدان «إسرائيل» لا في مجزرة صبرا وقانا والحرم الإبراهيمي وجنين وغيرها، أميركا شريك كامل في الجرائم والمجازر التي ارتكبتها «إسرائيل»، وما فعله بعض اللبنانيين... في أوائل الثمانينات هو رد فعل طبيعي لشعب مضطهد مظلوم من قبل

الأميريكيين، وهذا حقهم الطبيعي، الحساب ليس بين أميركا وحزب الله وإن كان حزب الله قال في أكثر من مناسبة طبيعة المعركة التي يخوضها وحدود مسؤولياته، حساب أميركا في المنطقة ليس مع حزب الله فقط، بل مع كل اللبنانيين والفلسطينيين وكل شعوب المنطقة»[1].

وفي خطبة أخرى لسماحته في يوم القدس العالمي أكد على موقف حزب الله الداعم للشعب الفلسطيني، رافضاً الخروج من هذه المعركة والساحة مهما بلغت التهديدات والاتهام بالإرهاب، وممَّا قاله: «لكنَّنا نسأل ما هو الإرهاب!؟ نحن منظمة إرهابية ما هو العمل الذي قمنا به أو نقوم به؟ فيأتي الجواب أنتم الآن لا تقومون بعمل إرهابي ولكن لديكم النية والقدرة أن تعملوا عملاً إرهابياً في المستقبل!؟.. أي يعاقبوننا على النوايا.

إذاً المشكلة الأولى إنَّكم تملكون القوة والقدرة وممنوع في هذا العالم وفي محيط «إسرائيل» أن يكون أحد قوياً، القوي إرهابي وإن لم يستخدم سلاحه، ومشكلتكم الثانية أنَّكم تأوون الإرهابيين وتدعمونهم وتدربونهم وعندما نسأل من هؤلاء الإرهابيون!؟

هم فصائل المقاومة الفلسطينية، يعني ما هو واجب علينا وعلى العالم الإسلامي والعربي أصبح إرهاباً، فنحن برأيهم ندعم إرهاب محمد الدرة وفارس عودة والنساء والأطفال والشيوخ الذين يقاومون بالحجر والرصاصة والعبوة الدبابات والطائرات الأميركية الصنع... (فليسمع) كل الذين يخاطبون حزب الله ويقولون له

---

(١) الانتقاد: ٢٠/٩/٢٠٠٢.

أخرجوا من هذه المعركة ولكم الأمان إنَّنا نرفض أمانكم إذا كان الشعب الفلسطيني لا أمان له»[١].

وفي كلمة لسماحته أيضاً في الذكرى الثانية للانتصار أكد أنَّ أميركا تتهمنا بالإرهاب وبالتهديد لأمنها كذباً، بل هي تفعل ذلك لأنَّنا حركة مقاومة «لإسرائيل»، وممَّا قال: «ثم يأتي مسؤول كبير في الكونغرس الأميركي ليقول إنَّ حزب الله في لبنان اليوم يشكل تهديداً أقوى من تهديد تنظيم القاعدة لأمن الولايات المتحدة الأميركية... وفي فترة لاحقة سيتهموننا بتهم لم يتهمونا بها بعد... ويعلم القاصي والداني أنَّنا أطهر وأنظف من أن توجه لنا تهم من هذا النوع، لكن لتشويه هذه الصورة؛ إذاً الحقيقة انَّ هناك حركات مقاومة مستهدفة في هذه المنطقة، وأنا أقول لكم بكل صراحة، الأمريكي يعرف انَّه يكذب عندما يتحدث عن حزب الله، إنَّه تهديد للأمن القومي للولايات المتحدة الأميركية، ولكن الأميركي يريد أن يغطي على الحقيقة وهي أنَّ المشكلة هي الأمن الإسرائيلي وليس أمن أميركا، فليقف اليوم حزب الله ويقول أنا لم يعد لي علاقة بقتال الإسرائيليين، فلن يعود حزب الله يمثل تهديداً لأميركا، لن يتهموه بالمخدرات وتبييض الأموال سيصبح نظيفاً... أقول لكل الذين يتهددوننا في العالم، نحن هنا موجودون، هنا باقون، هنا ثابتون، هنا عاشقون للشهادة أبداً، موعودون بالنصر من الله»[٢].

والحقيقة فإنَّ التدخل الأميركي المباشر للضغط على حزب الله بقصد تحييده من ساحة المواجهة مع العدو الصهيوني إنَّما جاء بعد

---

(١) الانتقاد: ٢١/١٢/٢٠٠١.

(٢) الانتقاد: ٢٤/٥/٢٠٠٢.

يأس الإسرائيليين من إمكان توجيه ضربة قاضية لحزب الله، وهم الذين حاولوا ذلك مراراً لا سيماً عبر حربي تموز ونيسان ١٩٩٣ و١٩٩٦ اللتين أعلنوا هزيمتهم فيهما ليندحروا بعد ذلك بسنوات في العام ٢٠٠٠ من لبنان الذي لن يجرأوا بعد ذلك على التفكير بالعدوان عليه، وإن فعلوا فدون ذلك الخسائر الفادحة، بل والهزيمة المؤكدة بإذن الله.

وسيبقى حزب الله العقدة العصية على الحل حتى تحقيق النصر النهائي إن شاء الله على «إسرائيل» وأميركا التي صارت شريكاً كاملاً لها في الربح والخسارة التي لن ترى سواها بإذن الله تعالى.

الانتفاضة أحرجتهم فأخرجتهم

لم يتعرض شعب في العالم للظلم من الولايات المتحدة الأميركية كما تعرض له الشعب الفلسطيني، ورغم كل ما تقدم من اعتداءات أميركية على إيران وسوريا ولبنان، أو ما لم يذكر كالاعتداءات الأميركية على الشعب الفيتنامي أو الياباني في هيروشيما وناكازاكي وغيرها الكثير بحق الشعوب، إلاَّ أنَّ كل ذلك يقصر عن الظلم الذي ذاقه الشعب الفلسطيني المضطهد بسبب الشراكة الكاملة لأميركا مع «إسرائيل» في جميع جرائمها ضد هذا الشعب المظلوم منذ اغتصاب فلسطين وتشريد شعبها وإلى يومنا الحاضر، والحق يقال انَّه لو أراد كاتب أن يتتبع السجل الأسود للبيت الأبيض في واشنطن ليحصي هذا السيل الطويل العريض من الاعتداءات لاحتاج أن يسود مجلدات عدة ويصرف الوقت الطويل، ويكفي أن نعرف انَّ الولايات المتحدة استخدمت حقها في النقض في مجلس الأمن الدولي لعشرات المرات في سبيل إنقاذ «إسرائيل» من الإدانة بسبب جرائم ارتكبتها بحق الفلسطينيين أو لإبطال مشاريع

قرار يمكن أن تقدم شيئاً من العون أو الإنصاف للشعب الفلسطيني.

هذا واحد من الأمثلة الصارخة على شراكة الولايات المتحدة الأميركية في ظلم الفلسطينيين، فما بالك بالدعم العسكري والمالي والسياسي والأمني وبشكل يفوق الخيال والتصور، فحتى لو أنَّنا فرضنا أنَّ «إسرائيل» كانت ولاية أميركية لَمَا نالت كل هذا الدعم والتأييد، فسبحان الله وبه نستعين وسيستعين شعبنا في فلسطين على هذا الظلم والبلاء الذي حاق به.

عندما رأى الشعب الفلسطيني المظلوم وعد الله ونصره في لبنان أخذ طريقه واتكل على الله وليس على غيره مقابل هذه القوة الغاشمة وانطلق في انتفاضته ومقاومته مستمداً العون من الله تعالى وحده، غير ناظر إلى معين سواه في هذا العالم المرعوب من السطوة الأميركية، والله تعالى كان خير عون وناصر لهذا الشعب المظلوم فأمده بالقوة والصبر والطاقة والهداية، والجبروت بحيث لا يمكن أن نفسر كل تلك التضحيات الجسيمة من الشعب الفلسطيني وهذا الصبر على الصلف الإسرائيلي وروحية الاستشهاد التي ترسخت في قلوب ونفوس عشرات الآلاف من أبنائه سوى بالتفسير الغيبي وبالفعل الإلهي، وبالإرادة غير المادية.

هذا الصمود الأسطوري في المواجهة الشرسة مع الإسرائيليين في فلسطين والتي استمرت حتى الآن لأكثر من ثلاث سنوات، قد أوصلت الإسرائيليين والأميركيين إلى قناعة مبتوتة بأنَّ هذه المقاومة إذا استمرت سوف تحقق النصر النهائي على «إسرائيل» وتنسف هذا الكيان من أصوله وتزيله من الوجود، لذلك وجدنا الإدارة الأميركية بكل طاقتها وعناصرها وعلى مدار الوقت متفرغة لما يحصل في فلسطين من فعل يومي أو حتى في كل ساعة، فكنَّا عندما تحصل

عملية استشهادية في تل أبيب أو القدس مثلاً وتقتل عدداً كبيراً من الصهاينة، نرى الحزن والأسى في وجه بوش كأشد ممَّا نراه في وجوه المسؤولين الصهاينة، وإذا ما حقق اليهود مكسباً على الفلسطينيين كان وجه بوش يتهلهل فرحاً غامراً ينعكس على وجه شارون وأعوانه.

وحسناً فعل الفلسطينيون المقاومون من خلال تعاطيهم مع الأميركيين في هذه المواجهات حيث اعتبروا أنفسهم وهم يقاتلون الإسرائيليين وكأنَّهم يقاتلون الأميركيين تماماً، فلم تنطل عليهم لعب الأميركيين وخدعهم بأنَّهم صديق للطرفين، وهذا الموقف ساعد في استمرار الانتفاضة والمقاومة وعدم سقوطها في الأفخاخ السياسية الأميركية أو العربية المتعاطفة مع أميركا، وهذا أيضاً ما دفع الأميركيين إلى مزيد من اليأس تجاه إيجاد حلٍ سلمي (استسلامي) للانتفاضة في فلسطين، حيث استلزم الأمر هذه المرة تقديم تضحيات وأثمان من الدم والاقتصاد الأميركيين منذ أحداث ١١ أيلول وإلى غزو العراق.

ومن الطبيعي أن كانت «إسرائيل» أكثر المتحمسين لغزو أميركا للعراق حيث شهدت الأسابيع السابقة لبداية العدوان على العراق، همساً عالياً في المجتمع الصهيوني لم يخف فرحته بالعدوان ممَّا حدى ببعض دوائر السياسة الأميركية بالإيعاز للإسرائيليين بأن يخفضوا صوتهم قليلاً لأن من شأن وصول هذا الصوت لأسماع الشعب الأميركي أن يخرب على الإسرائيليين والمتصهينين الأميركيين في واشنطن خطتهم، إذا ما ظهر أنَّ غزو العراق كان كرمى لعيون الإسرائيليين.

ولقد أظهرت الحقائق الثابتة أثناء وبعد غزو العراق ولا سيما

من خلال التهديدات الأميركية والإسرائيلية للفلسطينيين بأنَّ عليهم أن يستنتجوا العبر من نتائج غزو العراق، وأنَّ الظروف الآن قد تغيرت، ومن خلال قمتي العقبة وشرم الشيخ والطلبات الإسرائيلية من أبي مازن رئيس الحكومة في سلطة الحكم الذاتي بضرورة نزع سلاح الفصائل الفلسطينية المقاومة لا سيما حركتي حماس والجهاد الإسلامي، تبين من خلال كل ذلك أنَّ الهدف الرئيسي من غزو العراق كان تطويع الفلسطينيين وصولاً لحماية الإسرائيليين وإنقاذهم من قدرهم المحتوم.

والحقيقة الثابتة انَّ الانتفاضة في فلسطين قد حققت نتائج باهرة وأهمها أنَّها استطاعت أن تحرج الأميركيين فتخرجهم من حالة التستر بالصداقة للعرب إلى حالة العدوان الواسع على الأمة العربية وشعوبها، وهذا برأينا إنجاز كبير حققته الانتفاضة على طريق نصرها النهائي بشرط أن تثبت على حقها وتحافظ على جهادها المرير ضد الغدة السرطانية «إسرائيل» وأن لا تهاب الأميركيين وأن لا تيأس أو تقنط من رحمة الله بل تزداد يقيناً أنَّ الله تعالى الذي نصرها وأعانها حتى الآن هو ناصرها ومعينها في كل آن إذا ما كانت معه بإذن الله.

١١ أيلول مدخل إلى العدوان

الهجمات الإرهابية التي هزت أميركا في صباح ١١ أيلول ٢٠٠١ وأدت إلى تدمير برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك وجزء من وزارة الحرب الأميركية في واشنطن، ساعدت التوجهات الخارجية ذات الطابع الامبراطوري للإدارة الأميركية والتي عبّرت عنها الكتابات والتصريحات للمحافظين الجدد الذين ظهروا بقوة في الحياة السياسية الأميركية مع بداية عهد الرئيس بوش الابن، كما انَّها شكلت حجاباً

سميكاً يغطي جرائم الحرب الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني الأعزل، حيث حولت تلك الهجمات الرأي العام الغربي بالعموم والأميركي بالخصوص لمصلحة «إسرائيل» بعد سيل من الانتقادات القوية التي وجهت إليها بسبب جرائمها وممارساتها العنصرية.

وبعيداً عن توجيه أصابع الاتهام إلى أي طرف في تلك الهجمات على المستوى التنفيذي أو حتى التخطيطي، فإنَّ من يراقب الأحداث والتطورات والتصريحات وردود الفعل التي صدرت حول هذا الحدث المهول لا سيما في واشنطن وتل أبيب لا يمكنه إلاَّ أنْ يوجه أصابع الاتهام نحو «إسرائيل» والأميركيين المتصهينين في البيت الأبيض بعيداً عن أية أدلة جنائية رغم أهميتها.

ففي اليوم التالي إن لم نقل في اليوم نفسه للتفجيرات كانت الولايات المتحدة الأميركية و«إسرائيل» آخذتين في الحديث عن استراتيجيات جديدة في الصراع وعن خطط وسيناريوهات للعالم والمنطقة بعد ١١ أيلول.

«فلم يكن دخان انفجارات ١١ أيلول قد انقشع بعد عن سماء نيويورك وواشنطن، وقبل أن تبدأ أية تحقيقات لتحديد المسؤولية حول هذه الأحداث، حتى طلع علينا وزير خارجية أميركا الأسبق هنري كيسنجر في مؤتمر صحفي عقده في مطار فرانكفورت في اليوم التالي (١٢ أيلول) نقله التلفزيون الألماني وهو يطالب إدارة الرئيس بوش بشن ضربات نووية ضد الدول التي تؤوي الإرهاب واقترح قائمة تضم أفغانستان وسوريا والعراق وليبيا ولبنان»[١].

(١) الأهرام العربي: ٤ أيار ٢٠٠٢.

«وفي أعقاب الهجومات الأخيرة في الولايات المتحدة سارع وزير الحرب الإسرائيلي للإعلان عن ضرورة تشكيل جبهة عالمية لمحاربة ما أسماه «الإرهاب الإسلامي» والسير تواً مع خيالات وأوهام الذهنية الغربية أو توجيهها سريعاً ضد الإسلام، خاصة انَّ العدو الإسرائيلي شعر بخطورة جرائمه ضد الفلسطينيين حيث لم يستطع أن يمنع انعكاس صورة مجازره الإرهابية في العالم كله»[1].

وعلى مستوى الأحداث وجدنا أنَّ أميركا استغلت هذا الحادث الكبير في سبيل مزيد من التدخل في المنطقة العربية والإسلامية عبر غزو أفغانستان والعراق والتهديد بغزو إيران وسوريا ولبنان، مع أنَّ جميع هذه الدول المذكورة ما عدا أفغانستان ليس لها أي علاقة من قريب أو بعيد بأحداث ١١ أيلول.

كل ذلك يدلّ بوضوح كامل أنَّ أميركا لا يمكن أن تكون استغلت هذا الحدث للتخطيط الاستراتيجي الجديد والتدخل المباشر في المنطقة الإسلامية، فضلاً عن مزيد من التسلط على باقي أنحاء العالم، وأنَّ أغلب الاعتقاد ان الصهيونية اليهودية والأميركية قد خططت أو شاركت في التخطيط أو شجعت أو تغاضت بالحد الأدنى عن وقوع هذه الأحداث في سبيل استغلالها لمخططها الذي وضعته قبل وقت طويل من تاريخ ١١ أيلول وجلست تنتظر حدثاً كبيراً وهائلاً يساعدها على تنفيذ استراتيجيتها الجديدة.

وهذا يقودنا إليه أيضاً الاستنتاج الواضح ممَّا حصل ويحصل بعد ١١ أيلول. فإنَّ التبصر بنفس الحدث وملابساته والتحقيقات

---

(١) الانتقاد: ٢١/٩/٢٠٠١.

الجارية أو التي جرت من قبل الإدارة الأميركية أو من قبل باحثين ومحللين وجهات محايدة تؤكد أنَّ أصابع الاتهام الموجهة نحو «إسرائيل» والمتصهينين في البيت الأبيض ليست ببعيدة عن نوع من الدخالة والشراكة إن لم تكن تحمل المسؤولية الكاملة عن جريمة ١١ أيلول البشعة.

فمنذ الأيام الأولى التي تلت الهجمات في أميركا بدأت القرائن تجتمع حول مسؤولية الصهيونية عن تلك الهجمات، بدأ بإلغاء زيارة رئيس حكومة العدو شارون إلى نيويورك للقاء الجالية اليهودية،... مروراً بما نشر من أنَّ أربعة آلاف إسرائيلي تغيبوا عن عملهم في مركز التجارة العالمي... ووصولاً إلى وجود معلومات مسبقة لدى الموساد عن الهجمات وإلى غيرها من القرائن.

غير أنَّ الآلة الإعلامية الأميركية والصهيونية استطاعت أن تبدد كل تلك القرائن، وتقنع الرأي العام العالمي بأنَّ المسؤولية تقع بالكامل على أسامة بن لادن وجماعته في تنظيم القاعدة، كل هذا وحتى قبل أن تقدم واشنطن دليلاً واحداً على ذلك...

ومع ذلك لم يكفّ الباحثون المستقلون لا سيما في أميركا والغرب بشكل عام عن البحث وتوثيق الأدلة الدامغة التي تدين الإدارة الأميركية أو بعضاً منها بالاشتراك مع الإسرائيليين بتحمل المسؤولية عن هذه الأحداث بقصد استخدامها في إطلاق استراتيجية العدوان الجديدة على العالم لا سيما المنطقة الإسلامية.

ونحن إذا أردنا أن نورد خلاصة فقط لتلك التحقيقات والأبحاث المنشورة في الصحف والمطبوعات الغربية حول الموضوع

فإنَّ ذلك يستهلك كتاباً كبيراً مستقلاً، غير أنَّنا لن نخلي هذا الفصل من مقتطفات قصيرة عن تلك الأبحاث تتميماً للفائدة.

تحت عنوان «مسؤولية الإدارة الأميركية عن ١١ أيلول: العدو من الداخل»، نشرت صحيفة السفير اللبنانية مقالاً في ثلاث حلقات للكاتب الأميركي المعروف غورفيدال. وبالخلاصة فإنَّ الكاتب يشير إلى نقاط منها ما هو من قبيل التقصير غير المبرر، ومنها ما يثير الريبة والشكوك وأهم هذه النقاط:

١ ـ التقصير في اتخاذ التدابير الاحترازية رغم وجود معلومات استخبارية مؤكدة عبر ألمانيا ومصر والموساد الإسرائيلي وحتى الـ FBI «جهاز المخابرات الأميريكية» تؤكد أنَّ أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة يخططون لعمليات إرهابية ولعلَّها خطف طائرات، في أراضي الولايات المتحدة الأميركية.

٢ ـ التصرف غير المفهوم للرئيس الأميركي بوش الابن حيث كان في وقت وقوع الهجمات يقوم بزيارة مدرسة للأطفال، وعندما قدمت إليه ورقة من مرافقه يبلغ فيها عن اصطدام الطائرة الأولى بالبرج الأول فإنَّ بوش لم يقطع زيارته بل ولم يبد أي تأثر وتابع محادثاته للأطفال في تلك المدرسة.

٣ ـ عدم صدور أوامر للطيران الحربي الأميركي بالإقلاع بعد الاصطدام بالبرج الأول وفقاً للقانون المتبع عادة في مثل حالات اختطاف الطائرات، «وفي يوم ٢٢ يناير (حزيران) ٢٠٠٢ لخص باري زويكر المحلل السياسي الكندي في محطة CBC. TV الموقف بقوله: «في ذلك الصباح لم تستجب أي من الطائرات الاعتراضية في الوقت المناسب لأقصى حالات الانتباه، وهذا يشمل أسراب أندوز التي لا

تبعد عن البيت الأبيض بأكثر من ١٢ ميلاً. . . وأياً كان تفسير هذا الفشل المدوي، لم تأت أخبار ـ في حدود علمي ـ عن توقيع جزاءات، وهذا يزيد من ضعف نظرية عدم الكفاءة، فعدم الكفاءة يواجه عادة بالعقاب، وهذا يدفعني إلى التساؤل عمَّا إذا كانت هناك أوامر بالبقاء على الأرض، وفي ٢٩ آب ٢٠٠٢ ذكرت محطة BBC انَّه في يوم ٩/١١ لم تكن هناك غير أربع مقاتلات في حالة استعداد في شمال شرق الولايات المتحدة، مؤامرة؟ مصادفة؟ خطأ!»[(١)].

وفي عددها بتاريخ ١٤ آذار ٢٠٠٢ أوردت مجلة الصياد تقريراً مطولاً تحت عنوان: «تحقيق خطير لمحققين خاصين أميركيين يقلب رواية أحداث ١١ أيلول رأساً على عقب، الطائرات المتفجرة اختطفت إلكترونياً وليس بين ركابها عربياً واحداً».

ويركز التقرير على أنَّ هذه الطائرات لم يكن على متنها عرب خاطفين أو غيرهم، وأنَّها أخطتفت إلكترونياً عبر أجهزة مبرمجة يتم التحكم بها من على الأرض بعيداً عن إرادة الطيارين، كما تساءل التقرير عن الصناديق السوداء واختفائها، لتختفي معها الحقيقة، ويشكك التقرير بما نشرته السلطات الرسمية الأميركية من أسماء عربية ومن يعرف مصير أصحاب الأسماء العربية التي نشرت، وقيل إنَّهم خاطفو الطائرات؟ من أخفاهم أو من تخلص منهم وبأية طريقة؟ ما دام لا يوجد اسم أي منهم في قائمة أسماء الركاب لأي من الطائرات الأربع، فأين هم وكيف اختفوا؟ ألا يستحق هذا السؤال أن يثار من قبل من يتصدون لكشف الحقيقة؟ جو نيالز (أحد المحققين الخاصين) نشر لوائح كاملة بأسماء الركاب وأطقم

---

(١) السفير: ٥ كانون أول ٢٠٠٢.

الطائرات الأربع وهو يقول أنَّه لا يوجد بينها اسم واحد لعربي واحد، ويتحدى السلطات الرسمية أن تنشر كشوفات غير تلك التي ينشرها شرط أن تبين مصدر تلك اللوائح؟ وشرط أن تخضع لتحقيق خبراء محايدين للتأكد من أن أصابع الاستخبارات والمافيات المتآمرة لم تعبث بها، فهل يمكن دفن الحقيقة نهائياً؟»[1].

وفي عددها بتاريخ ١٧/٣/٢٠٠٢ أوردت مجلة الشروق مقالاً تحت عنوان: «معلومات يتداولها الإعلام الفرنسي، شبكة تجسس «إسرائيلية» وراء أحداث ١١ أيلول». وجاء في مقدمة المقال: «مع أنَّ مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي «أف. بي. آي» نفى يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضي توجيه تهم إلى أي «إسرائيلي» بالتجسس على الأراضي الأميركية في إطار تحقيق جار حول تفكيك شبكة لعملاء إسرائيليين في الولايات المتحدة، إلاَّ أنَّ الدخان الذي تصاعد على صفحات «انتيلجنس أون لاين» الفرنسية حول هذه الشبكة لم يكن من دون نار، ولا شيء يمنع أن يكون نفي الناطق باسم الشرطة الفيدرالية الأميركية لقضية شبكة التجسس (الإسرائيلية) هذه جزءاً من التعتيم الإعلامي الكبير الذي مورس على هذه الفضيحة في الولايات المتحدة بسبب النفوذ اليهودي المعروف في هذا الإعلام، بل إنَّ بعض المسؤولين الأميركيين رغبوا في التستر على هذه القضية كي لا تصل إلى القضاء الأميركي، غير أنَّ آخرين سربوا بعض المعلومات عنها في ديسمبر الماضي للصحافي المتخصص في التحقيقات كارل كاميرون الذي أعد أربع حلقات عنها لشبكة «فوكس نيوز» الأميركية التلفزيونية، وقد قال ناطق باسم

---

(١) الصياد: ١٤ آذار ٢٠٠٢.

الشرطة الفيدرالية أنَّ دوائر الهجرة الأميركية قامت بطرد مجموعة من الطلاب الإسرائيليين المشاركين في نشاط يتخطى إطار تأشيرة الدخول الممنوحة إليهم، وذلك في إطار التحقيق الذي أطلق في أعقاب اعتداءات ١١ أيلول حول الأشخاص المقيمين في الولايات المتحدة بصفة غير شرعية.

وفي نهاية المقال يختم الكاتب بالسؤال التالي: «هل ستجرؤ الولايات المتحدة على فتح هذا الملف على مصراعيه وصولاً إلى قلب الحقيقة وتعيينها، أم أنَّها ستكتفي بالتستر عليه إنفاذاً لرغبات اللوبي الصهيوني التي لا ترد»[١].

وتحت عنوان «نائب أميركي سابق يتهم الموساد بالضلوع في أحداث ١١ أيلول»، أوردت مجلة الصياد أيضاً تقريراً جاء في مقدمته: «يسود اعتقاد في الأوساط الشعبية والسياسية العربية بأنَّ لا فارقاً حقيقياً بين الولايات المتحدة الأميركية والكيان الإسرائيلي، وأنَّ جميع السياسيين الأميركيين دونما استثناء، داعمون «لإسرائيل» بلا حدود، بفعل ان الدولة الصهيونية تمارس سياساتها المعادية للعرب بالدعم الأميركي اللامحدود، وكانت اعتداءات الحادي عشر من أيلول الفائت مناسبة بارزة بدا فيها البون الشاسع بين الآراء السياسية والمشاعر إزاء القضية الفلسطينية.

على ان الحقيقة هي ان الوسط السياسي الأميركي ليس منحازاً إلى «إسرائيل» بل انَّ هناك بعضاً ممَّن يعمل في الشأن العام في الولايات المتحدة يندد بالسياسة الأميركية إزاء قضية الشرق الأوسط

---

(١) مجلة الشروق: ١٧/ ٣/ ٢٠٠٢.

مع التحذير من المخاطر التي تتسبب بها هذه السياسة لأميركا، فضلاً عن التشكيك بحقيقة ولاء «إسرائيل» لتحالفها مع الولايات المتحدة، واتهام الدولة الصهيونية بخيانة أميركا.

وفي هذا المجال أصدر النائب الأميركي السابق دايفيد ديوك الذي يترأس «المنظمة الأوروبية الأميركية للوحدة والحقوق» «يورو» تقريراً مفصلاً أكد فيه أنَّ العلاقة الأميركية الإسرائيلية كانت السبب الحقيقي الذي أدى إلى أحداث الحادي عشر من أيلول، وممَّا جاء في التقرير: «إنَّ السياسة الخارجية الأميركية هي بكل وضوح ضد المصالح الحقيقية للولايات المتحدة، وهو ما يتسبب ببروز شعور بالكراهية ضد الولايات المتحدة ممَّا يضر كثيراً بمصالح أميركا الاقتصادية والاستراتيجية.

والواقع إنَّ «إسرائيل» عانت خلال السنتين الأخيرتين من أسوأ كارثة لها في مجال العلاقات العامة في تاريخها مع انتخاب أرييل شارون بكل تاريخه الدموي رئيساً للحكومة، ووصف مؤتمر الأُمم المتحدة حول العنصرية «إسرائيل» أنَّها دولة عنصرية.

وقد أتى الهجوم على مركز التجارة الدولي ليغير الرأي العام لمصلحة «إسرائيل» على نحو فجائي، فهل كان ذلك مجرد مصادفة سعيدة «لإسرائيل»؟

في العاشر من أيلول ٢٠٠١ كانت صحيفة «الواشنطن تايمز» قد نشرت مقالة حول دراسة قامت بها مدرسة الجيش الأميركي للدراسات العسكرية المتقدمة «أس أي أم س» جاء فيها أنَّ الموساد ماكرة متشددة ولها قدرة على استهداف قوات أميركية وجعل الأعمال تبدو وكأنَّها عملاً فلسطينياً عربياً، وبعد ٢٤ ساعة من نشر

المقال حصل الهجوم على مركز التجارة الدولي ووزارة الدفاع الأميركية.

وفي الختام يقول النائب الأميركي في تقريره: كما أن رئيس الحكومة الإسرائيلي السابق بنيامين نتنياهو علق على الحادث بأنَّه جيد جداً، ثمَّ استدرك قائلاً ليس جيد جداً ولكنه سيجلب العطف لنا (أي «لإسرائيل»).

ومن الواضح أن الهجوم على مركز التجارة العالمي كان جيداً «لإسرائيل» التي كانت الدولة الوحيدة التي استفادت من هذا الحدث الذي غطى على جميع الممارسات الإرهابية الإسرائيلية، خصوصاً بعدما ركز الإعلام الأميركي الذي يسيطر اليهود عليه على إبراز صور فلسطينيين يحتفلون بالهجوم!

ومن الطبيعي انَّ هذا الحدث كان سيئاً جداً للولايات المتحدة... أي انَّ ماهو جيد «لإسرائيل» هو سيء للولايات المتحدة! ومتى سيدرك الأميركيون هذا الأمر»[1].

وفي عددها بتارخ ١ حزيران ٢٠٠٢ كانت مجلة الأهرام العربي قد أجرت مقابلة مع تيري مايسان مؤلف الكتاب الآنف الذكر «البلطجة المرعبة» أو «الخداع المفزع».

وبعد أن ذكر المؤلف للمجلة بأنَّه تلقى عدة تهديدات بالقتل مصدرها الولايات المتحدة أكد «إنَّ الرواية الرسمية التي تشير إلى أنَّ المسؤولين عن أحداث أيلول إرهابيون إسلاميون لا تستند إلى أي دليل، فقد وعدتنا الحكومة الأميركية عدة مرات بنشر وثيقة أو

---

(١) مجلة الصياد: ٢٥ حزيران ٢٠٠٢.

أي دليل بحوزتها وهو ما لم يحدث حتى الآن، في الوقت الحالي فإنَّ هذه الاتهامات لا تستند كثيراً إلى أساس، وفي المقابل إذا ما حللنا تفاصيل الحادي عشر من أيلول فسوف نتبين أنَّ العناصر تقودنا إلى شيء آخر وتحيل المسؤولية إلى داخل جهاز الحكومة الأميركية»[1].

والحقيقة فإنَّه مهما كانت نتيجة التحقيقات فإنَّ ذلك لا يغير شيئاً من حقيقة أنَّ الإدارة الأميركية والصهيونية العالمية اتخذا من أحداث ١١ أيلول مطية لتحقيق مآرب قذرة بدءً من غسل أيدي «إسرائيل» الملطخة بالدماء، مروراً بمزيد من تسلط الإدارة الأميركية على العالم، ووصولاً وهو الأهم إلى تغطية الغزو العسكري الأميركي لأفغانستان والعراق ولا نعلم بعد ذلك أي دولة هي التالي، وذلك بقصد حماية «إسرائيل» من الخطر الكبير المحدق بها بفضل الانتفاضة البطلة.

وعلى أية حال فإنَّ تاريخ نشأة الكيان اليهودي في فلسطين مليء بالعمليات الإرهابية بحق المدنيين حتى من اليهود والأوروبيين والأميركيين فضلاً عن العرب والمسلمين في سبيل تحقيق مآرب رخيصة وأهداف مرسومة، فليس بعيداً عنهم ارتكاب هكذا جريمة إنسانية في نيويورك.

أما اعتراف أسامة بن لادن بالمسؤولية عن الهجمات أو حتى اعتراف أعضاء آخرين من القاعدة معتقلين لدى الولايات المتحدة لا يمكن أن يبعد التهمة عن الإدارة الأميركية أو بعضها والصهاينة في هذا الموضوع.

---

(١) الأهرام العربي: ١ حزيران ٢٠٠٢.

وعليه فسواء كانت أحداث ١١ أيلول بتدبير أميركي صهيوني كما هو الأرجح أو بالاستقلال من قبل أسامة بن لادن كما هو الاحتمال الضعيف، فإنَّ الإدارة الأميركية اتخذت هذه الأحداث ذريعة للعدوان على منطقتنا الإسلامية بهدف تقويض روح الصحوة فيها.

أفغانستان الحرب المشبوهة

كان من الطبيعي والبديهي أن يكون الهدف الأول لأميركا بعد ١١ أيلول هو أفغانستان في الحرب الكونية المعلنة ضد «الإرهاب»، فأفغانستان تأوي تنظيم القاعدة ورئيسه أسامة بن لادن المتهم بالضلوع بتفجيرات ١١ أيلول، بل المعترف بهذه التفجيرات التي لم تستطع أميركا أن تقدم الإثبات الحسيَّ بنسبتها إلى بن لادن ومن خلاله إلى جميع العرب والمسلمين، بل إلى الإسلام نفسه، في الوقت الذي كان يتحكم بمصير أفغانستان وشعبها نظام متخلف يدعي الإسلام قدم صورة مشوهة وكريهة عن الإسلام بفضل غباوته وتخلفه، وليس بعيداً أن تكون أميركا أيضاً مريدة لهذا المشهد الفاسد وإظهاره، حيث انَّها كانت المسؤول الخفيَّ عن تقوية حركة طالبان وإيصالها إلى سدة الحكم في أفغانستان عبر وكلاء أميركا في باكستان، أعني العسكر والمخابرات في هذا البلد وهم المعروفون بارتباطهم بالمخابرات الأميركية.

ويمكن القول انَّ أميركا أرادت من حربها على أفغانستان وشعبها إنجاز نوعين من الأهداف، النوع الأول يمكن إدراجه في خانة الأهداف المباشرة، وهو ضرب تنظيم القاعدة، وإبقاء هذا التنظيم ورئيسه طيفاً للإرهاب والعدو المفترض الذي تحتاجه أميركا

لتبحث عنه في معركتها وحربها المفتوحة، بحيث يصبح هذا التنظيم وعناصره وقياداته تهمة يتم توجيهها إلى من تشاء أميركا أن تفتح معهم مشكلة أو أن تنسب إليهم وزراً كما حصل مع حزب الله ولبنان وإيران والعراق وغيرهما من الدول والأحزاب، حيث وجهت واشنطن الاتهامات لهذه الدول(العراق قبل سقوطه) ولا زالت بأنَّها تقيم علاقة مع هذا التنظيم أو تأوي بعض أفراده أو قياداته.

وعلى أية حال فإنَّ غزو أفغانستان لتحقيق هذا الهدف المباشر كان أمراً ضرورياً بالنسبة للإدارة الأميركية بعيداً عن أهمية الأهداف الأخرى أو أولويتها وذلك نظراً لما يمثله هذا الهدف من إرضاءٍ للشعب الأميركي الذي لا يقبل بغير ضرب السبب المباشر عن الأحداث التي هزت كيانه وقلبت حياته رأساً على عقب، وإن كان هذا السبب ـ حتى لو صحت نسبة الاعتداءات لبن لادن ـ لا يسوغ للإدارة الأميركية أن تشن حرباً على شعب بريء وتقتل أطفاله ونساءه والمدنيين وتدمر مدنه وقراه.

أمَّا السبب غير المباشر فيتعلق بمجموعة مسائل سياسية وأمنية واقتصادية، فالصين الجارة لأفغانستان ما زالت تشكل تهديداً مستقبلياً للمصالح الأميركية.

وفي الحسابات الاستراتيجية الأميركية لا يمكن إغفال النظرة الأميركية لإيران بوصفها أحد أبرز الدول التي ما زالت تعارض السياسات والأطماع الأميركية في المنطقة.

كما لا يمكن التفكيك هنا بين النظرة الإسرائيلية لإيران والنظرة الأميركية حيث كل منهما يرى فيها خطراً استراتيجياً لا سيما بالنسبة لقضية الصراع مع «إسرائيل».

أمَّا بالحسابات الاقتصادية فأفغانستان جارة لدول غنية بالنفط في آسيا الوسطى تختزن ثاني أهم خزان نفطي في العالم.

والحقيقة رغم أهمية الأهداف غير المباشرة فباعتقادي أنَّ السبب المباشر كان هو الضاغط الأساسي لتقديم غزو أفغانستان على غزو العراق والذي هو مقدمة أيضاً لتهديد دول محور الخير كي تكف عن دعم المقاومة والانتفاضة في فلسطين ما يعرض أمن الكيان الصهيوني للخطر، وحتى بالنسبة لغزو العراق يمكن أن يقال إنَّ ضرورات أملت على الإدارة الأميركية تقديم غزوه على أي اعتداء آخر كان محتملاً ضد سوريا ولبنان وإيران، فقد أطلقت عدة تصريحات في واشنطن وتل أبيب قبل غزو العراق، تعتبر أنَّ ضرب سوريا وحزب الله وبالتالي المقاومة في لبنان وفلسطين هو ذي المقدمة كما يقولون، أي الهدف الرئيسي من الحملة، أمَّا ضرب العراق هو مقدمة ليس إلاَّ، رغم ما قد تجلبه المقدمات من منافع عرضية مهمة للغزاة.

ويمكن أن نتصور هدفاً آخر للابتداء بأفغانستان ومن ثم العراق وهو هدف لا يمكن إعلانه وهو انتقاء أنظمة ضعيفة، وحتى عميلة لأميركا تنهار عندما يوجه إليها الضربة حتى توفر لأميركا انتصاراً كبيراً بثمن بخس وبلا خسائر تذكر، ويكون ذلك درساً وعبرة لدول الصمود والمقاومة لعلَّها تخاف جرَّاء هذه التمثيليات الحمقاء فتستسلم أو تتنازل بلا حرب تعرف أميركا انها مكلفة جداً بالنسبة لها، وهذا ما حصل فعلاً في أفغانستان حيث كان انهيار مليشيا طالبان الحاكمة وتنظيم القاعدة بأسرع من المتوقع وبصورة درامتيكية، ويمكن أن نقول من غير قتال، وهذا تماماً ما حصل في العراق لاحقاً.

والحقيقة إنَّ مشاهد الانهيار الفجائي لشواخص الرماية الأميركية في أفغانستان، وكما في العراق لاحقاً هي مشاهد مضحكة ومبكية في آنٍ تكشف عن مدى تغلغل الإدارة الأميركية ونفوذها داخل الكثير من الدول والحركات في عالمنا العربي والإسلامي على حد سواء، وعلى أية حال فلقد كان أمراً معروفاً أنَّ أميركا كان لها القرار والنفوذ لدى طالبان وحتى لدى أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة عبر سنوات من التعاون والتمويل والتدريب والتسليح لا سيما في زمن احتلال الاتحاد السوفياتي لأفغانستان، وقد علّق ستيفن زيونس وهو من كبار المحللين الأميركيين في مركز دراسات السياسة الخارجية، على عبارة لبوش قال فيها: «دمرنا معسكرات التدريب الإرهابية في أفغانستان»، إنَّه لمن المثير جداً أن نجد أنَّ عدداً من هذه المعسكرات كانت المخابرات المركزية الأميركية (سي. أي. إي) هي التي شيدتها أثناء حرب الأفغان في الثمانينات ضد الاتحاد السوفياتي»[١].

العراق البوابة الشرقية

من قبل أنْ يتبدد دخان الحرب الأميركية على أفغانستان بدأت أميركا تعد العدة لغزو العراق، فالهدف جاهز في مفكرة الحرب الكونية الأميركية، ولأهداف مدروسة بدقة وعناية، فالعراق هو البوابة الشرقية لفلسطين المحتلة، ويشكل عمقاً جغرافياً واستراتيجياً للعالم العربي حيث يقع في وسط خريطة هذا العالم الذي لم يتوحد يوماً في تاريخه الحديث إلاَّ من خلال خريطته، وإذا كانت أميركا تعلن أنَّها تريد تغيير خارطة المنطقة فلن تجد أفضل من احتلال القلب لتهديد الأطراف وتطويعها.

---

(١) المحرر العربي: ٢٨ شباط ٢٠٠٢.

ويمكن تسجيل مجموعة نقاط هامة تشكل امتيازاً لملف الحرب على العراق لم تكن موجودة في ملف الحرب على أفغانستان رغم وجود نقاط مشتركة أيضاً.

في النقاط المشتركة يمثل العراق نقطة جغرافية حساسة يستفيد الأميركيون منها أمنياً وسياسياً للضغط على الجيران لا سيما الجمهورية الإسلامية وسوريا، وكذلك فإنَّ العراق يمكن أن يستخدم ـ وقد حصل ذلك فعلاً ـ كفزاعة للدول المحيطة من خلال توجيه ضربة اصطناعية لنظام يبدو أنَّ كثيراً من خطوات الغزو ومقدماته، ولعلَّ الأحداث الجارية بعده قد نسقت معه أو بالأحرى طلبت منه، وأدل دليل على ذلك ما حصل في ما بات يعرف «بلغز بغداد» أو «تسليم بغداد» من قبل نظام الرئيس المخلوع صدام حسين أو بعض ضباطه.

غير أنَّ ما يميّز ملف غزو العراق عدة نقاط، منها أنَّ العراق دولة نفطية غنية بالبترول، ما يعني للأميركيين الكثير، لا سيما في تعويض نفقات الحروب والمقاومات لجيوشها المحتلة، إضافة ـ وهو مهم ـ ما يعنيه ذلك من تحسن للاقتصاد الأميركي الذي يعود بالنفع على الفريق الحاكم خاصة ما يصب منه في صناديق الاقتراع في الانتخابات الحزبية والرئاسية.

ومنها أنَّ العراق كونه بلداً عربياً كبيراً، فإنَّ سقوطه يمكن أن يمثل خيبة أمل وحالة من اليأس لدى العرب لا سيما الفلسطينيين منهم، ما يساعد على خمود روح المقاومة والانتفاضة، وهذا المعنى لم يكن موجوداً في أفغانستان بدرجة مؤثرة.

ولكن كما أنَّ ملف الحرب على العراق كان يحمل نقاطاً

مميزة إيجابية للأمريكيين لم تكن موجودة في الملف الأفغاني، فإنَّه أيضاً امتاز بنقاط غير مساعدة لهم وأهمها أنَّ العراق لا دخل له بأحداث ١١ أيلول، وكون هذه الأحداث قد أصبحت بعيدة زمنياً وعاطفياً عن الاستغلال، ولذلك جهدت الإدارة الأميركية لتصوير العراق على أنَّه يشكل تهديداً استراتيجياً لأراضي الولايات المتحدة، عبر الحديث عن أسلحة دمار شامل وعن تعاون مع تنظيم القاعدة، تبين بعد احتلال العراق أنَّهما كانا سببين باطلين، واليوم تتعرض الإدارتان في واشنطن ولندن للمساءلة الشديدة من قبل المعارضة حول أكاذيب وخداع تعرض لها الرأي العام في الدولتين حول قيام الحرب على أسباب غير موجودة.

ورغم أنَّ العالم كله لم يقبل من الإدارة الأميركية هذه المبررات بشن الحرب على العراق، تمثل ذلك برفض أعضاء مجلس الأمن جميعاً تفويض أميركا وبريطانيا بالحرب، وبالمسيرات الضخمة في كل أنحاء العالم لا سيما في نفس أميركا وبريطانيا ودول الغرب اعتراضاً على العدوان الأميركي المحتمل، ورغم معارضة الكنيسة المسيحية وخاصة الكاثولوكية ممثلة ببابا روما لذلك وبشدة، ورغم كل ذلك فقد أقدم الفريق المتصهين في البيت الأبيض على هذا الغزو ضارباً بعرض الحائط كل تلك الاحتجاجات، ممَّا يظهر مدى تصميم هؤلاء القتلة على تحقيق خطتهم المرسومة ولو أدَّىٰ ذلك لفوضى عالمية لا يعلم إلاَّ الله نتائجها المدمرة على البشرية ممَّا يؤشر بقوة على أنَّ أهداف هذه الحرب الأميركية المعلنة على الإرهاب إنَّما رسمت بقرار أشخاص ليس همهم رعاية المصالح الأساسية لحاضر ومستقبل الشعب الأميركي، بل لصالح العصابات اليهودية في فلسطين المحتلة ودفاعاً

عن «إسرائيل» التي تعصف بها رياح الانتفاضة وتتهددها نسائم الصحوة العربية والإسلامية واللتان ابتدأتا منذ العام ٢٠٠٠، عام تحرير لبنان وانطلاقة الانتفاضة الفلسطينية.

باختصار لم يكن الغزو للعراق سوى خطوة كبيرة للضغط على المقاومين اللبنانيين والفلسطينيين عبر بوابتهم الشرقية والتي تريد أميركا أن تقفلها أيضاً بوجه إيران الإسلام التي ما فتئت تنظر غرباً مقدمة يد العون للمظلومين والمقهورين في فلسطين وتخومها.

الانتفاضة هي الهدف

يقال أدلّ دليل على الشيء هو وقوعه وحدوثه، فقد أثبتت الأيام والشهور التي تلت غزو العراق بما لا يقبل الشك أنَّ الهدف الرئيسي للحملة الأميركية الصهيونية في أفغانستان والعراق ومن قبلها ومعها وبعدها تجييش الرأي العام في العالم باتجاه محاربة الإرهاب العالمي بعد ١١ أيلول، لم يكن سوى رأس الانتفاضة وإسقاطها، فمن قبل سقوط بغداد ومعه وبعده ارتفعت الأصوات بشدة وحنق في واشنطن ولندن وتل أبيب، ومن البصرة المحتلة لهذا الهدف، وبأنَّ على السوريين والإيرانيين واللبنانيين والفلسطينيين أنْ يستنتجوا العبر ممَّا حصل في العراق، ولم يقف هؤلاء عند هذا الحد بل وجهوا تهديداتهم بالحرب، لدول محور الخير هذه إن هي لم تستنتج تلك العبر، ثمَّ عاودوا هم وأوضحوا بلسان حذق وزلق ما مقصودهم بالعبر حتى لا يستنتج هؤلاء استنتاجات خاطئة تكون خلاف ما يريدون هم!! وخلاصة هذه العبر الأميركية هي، أنَّ على الإيرانيين أن يكفوا عن دعمهم لحزب الله والانتفاضة وأن ينكفؤا شرقاً أو شمالاً أو جنوباً حيث يريدون ولكن عليهم الابتعاد عن

جهة الغرب، كما أنَّ عليهم أن لا يحرضوا على مقاومة المحتلين للعراق كي يبقى العراق ساحة خلفية داعمة «لإسرائيل» ولا يتحول إلى عبءٍ آخر على الإسرائيليين بعد عبء الانتفاضة، أما السوريون فعليهم أن يغلقوا مكاتب الفصائل الفلسطينية المجاهدة في دمشق، بل لا يكفي هذا فإنَّ عليهم أن يرفضوهم ويعزلوهم، وعليهم أيضاً أن لا يقدموا أي دعم لحزب الله بل وأن يتبرأوا منه، وكذلك أن يتركوا الاحتلال وشأنه في العراق من غير إزعاج.

وعلى لبنان أن يحل مقاومة حزب الله العسكرية وأن يبعدها عن الحدود التي حررها بدماء شهدائه وأن يرسل جيشه ليقف حارساً لأمن «إسرائيل»، وعلى الفلسطينيين أن يجهضوا بأنفسهم الانتفاضة هذا الوليد المبارك لهم، أن يخنقوه بأيديهم بلا دماء، وإن اقتضى الأمر فليذبحوه ليسيل دمه، لا فرق عندهم، المهم أن يفعل الفلسطينيون ذلك بأيديهم، هذه باختصار طلبات السيد الأميركي المنتصر في العراق.

لم نسمع مطلقاً من هؤلاء المسؤولين المنتصرين بعد فتحهم للعراق المعزوفة التي أنشدوها كثيراً من قبل الغزو عن حرية شعوب المنطقة والديمقراطية الموصوفة لهم، وكأنهم عندما اقتربوا من هدفهم الأصلي ركزوا عليه ودهشوا فنسوا كل شعاراتهم الزائفة.

ويجدر هنا أن نشير باختصار إلى أهم المواقف والتصريحات والتحركات الأميركية الصهيونية التي رافقت احتلال العراق وما بعده والتي تدلل على ما ذهبنا إليه من أنَّ الانتفاضة كانت الهدف الأصلي ولا زالت للحرب الأميركية العالمية على «الإرهاب». فبنظر الصهاينة اليهود والأميركيين إنَّ من يحق له العيش الكريم في هذا

العالم هم اليهود وما عداهم هم «هوييم»، أي حيوانات دورهم فقط الخدمة لشعب الله المختار أو القتل والتضحية بهم من أجل ذاك العرق المتميز!!.

في الأيام الأولى للحرب على العراق كانت «إسرائيل» تدفع واشنطن لإدراج سوريا على لائحة أهداف الحرب، فقد كتب حلمي موسى في جريدة السفير بتاريخ ٢ نيسان ٢٠٠٣ ما يلي: «رفعت «إسرائيل» من نبرة التهديد لسوريا والتحريض ضدها لدى الولايات المتحدة... وأعلن وزير الدفاع الإسرائيلي شاؤول موفاز أنَّ «إسرائيل» تنظر بخطورة إلى السلوك السوري في الآونة الأخيرة قائلاً: «الأمر الخطير في نظري هو إقدام الرئيس الأسد على إطلاق تصريحات تفيد بأنَّه لا يرى إمكانية لإبرام اتفاق سلام مع «إسرائيل».

ويتابع موسى: من الواضح انَّ المراهنة الإسرائيلية على انتهاء العدوان بالنجاح تدفع القيادة الإسرائيلية إلى تصعيد تحريضها ضد كل من سوريا وإيران للتأكيد على أنَّ محور الشر ـ في نظرها ـ يتشكل عملياً من طهران وبغداد ودمشق، وأنَّها تريد للإدارة الأميركية إشهار هذا الموقف منذ الآن»[١].

ولم يمضِ يومان على تصريحات شاؤول موفاز حتى بادر باول وزير خارجية أميركا واتهم «سوريا وإيران بتطوير أسلحة دمار شامل وبدعم «الإرهاب»، وتابع: في بعض الأحيان تكون الإجراءات الاقتصادية أو السياسية مناسبة وأحياناً القدرات الاستخباراتية وأحياناً القوة»[٢].

---

(١) السفير: ٢ نيسان ٢٠٠٣.

(٢) السفير: ٤ نيسان ٢٠٠٣.

وبعد أيام قليلة وعلى وهج اشتعال حرب العراق جاءت التحذيرات هذه المرة على لسان الرئيس الأميركي بوش الابن حيث قال رداً على سؤال: «نتوقع تعاوناً كاملاً من السوريين ونحثهم بشدة على عدم السماح لأعضاء حزب البعث العراقي أو عائلة صدام من السعي إلى ملجأ آمن...»[1].

ويبدو أنَّ سوريا التي لم تستجب للإملاءات الأميركية، رافضة التهم الموجهة إليها تلقت بعد أيام قليلة تلويحاً من واشنطن بعقوبات ومن «إسرائيل» بقائمة طلبات وشروط، فقد «أعلن وزير الخارجية الأميركية كولن باول ان واشنطن ستبحث في إجراءات محتملة سواء دبلوماسية أو اقتصادية أو غيرها ضد السوريين... وبينما كانت «إسرائيل» تغذي موجة التصعيد الأميركي ضد دمشق طرحت علانية مطالب رئيسية من سوريا، إبعاد حزب الله من الجنوب، وإزالة الصواريخ التي نصبها الحزب، ونشر الجيش اللبناني في الجنوب ووقف نقل الأسلحة الإيرانية إلى الحزب»[2].

وبعد يوم واحد تولت «إسرائيل» قيادة حملة التهديدات الأميركية ضد دمشق ودفعتها إلى حد التلويح بعمل عسكري ضد سوريا داعية الإدارة الأميركية إلى تكثيف ضغوطها على الجانب السوري حتى الاستجابة لشروط إسرائيلية أهمها وقف دعم حزب الله اللبناني وحركتي حماس والجهاد الفلسطينيتين، وقد جاء التهديد على لسان شارون الذي وصف الرئيس بشار الأسد بأنَّه

---

(١) السفير: ١٢ نيسان ٢٠٠٣.

(٢) السفير: ١٥ نيسان ٢٠٠٣.

«خطير» لأنَّه «قد يخطىء في تقييم قوة «إسرائيل» مثلما أخطأ حيال الأميركيين»[1].

ورغم انَّ وزير الخارجية الأميركي باول اعترف بأنَّ سوريا قد ردت بشكل إيجابي على مطالب الولايات المتحدة الأخيرة وخاصة المتعلقة بالوضع في العراق، غير أنَّه عاد ليركز على الملف الأساسي ومن وجهة نظرهم ونظر الإسرائيليين، حيث أجاب كردٍ على سؤال أنَّه يرى «وجود عناصر خطيرة إرهابية في حزب الله»[2].

أكثر التهديدات بالحرب وضوحاً ضد حزب الله صدرت بعد احتلال العراق عن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التي اعتبرت أنَّ «لا حق لحزب الله كما نعرفه بالوجود»، محرضة على حرب استباقية في لبنان، فقد «دعا قائد القوات البرية الإسرائيلية الجنرال «يفتاح ران طال» «إسرائيل» إلى استغلال الفرصة وإزالة الخطر الكامن على الحدود الشمالية، وفي الوقت ذاته أعلن قائد الجبهة الشمالية الإسرائيلية وجوب عدم الاعتماد على الهدوء الحالي لأنَّه يخفي توتراً بالغ الشدة، واعتبر أنَّ لبنان هو «الميناء الأم للمنظمات الإرهابية الدولية».

وفي حديث مع الإذاعة العبرية قال أحد جنرالات الجيش الصهيوني أنَّ إزالة الخطر العراقي يمنح «إسرائيل» نافذة فرص «علينا استغلالها»[3].

---

(١) السفير: ١٦ نيسان ٢٠٠٣.
(٢) السفير: ٢٤ نيسان ٢٠٠٣.
(٣) جريدة السفير: ٢٦ نيسان ٢٠٠٣.

وفي اليوم الذي كان بوش الابن يعلن الانتصار على العراق كان وزير خارجيته يحمل إلى سوريا ومعها لبنان رسائل تفيد بضرورة أن تتفهم دمشق الوضع الجديد مذكراً بقانون محاسبة سوريا وتاركاً الطلبات الإسرائيلية بقلم أميركي وراءه، مذكراً بضرورة عدم المراوغة في التنفيذ، وداعياً «سوريا إلى تغيير سياساتها والأخذ بالاعتبار وجود «عراق جديد» على حدودها»[1].

هذا في الجانب السوري اللبناني الذي تعتقد واشنطن أنَّ المطلوب منه أن يحقق هدف إزاحة خطر حزب الله الذي يمثل دعماً معنوياً هائلاً للانتفاضة، وسنداً مادياً إذا ما تعرض الفلسطينيون لمخاطر مصيرية.

أمَّا في الجانب الفلسطيني فقد توسلت الإدارة الأميركية و«إسرائيل» بما تملكان من نفوذ لدى بعض الأطراف العربية كمصر والأردن، أو في داخل سلطة الحكم الذاتي، بهدف تقويض الانتفاضة، فمن جهة فرضت على ياسر عرفات والسلطة بشكل عام شخصية مرضياً عنها أمريكياً وهي محمود عباس «أبو مازن» الذي صار بالإكراه رئيساً للحكومة في السلطة الفلسطينية مع برنامج مرسوم أمريكياً عبر ما صار يعرف «بخارطة الطريق» والذي تعد نتيجته باختصار عودة إلى ما قبل ٢٨ أيلول ٢٠٠٠ عبر قطع رأس الانتفاضة والخلاص منها بتجريد الفصائل المجاهدة لا سيما حماس والجهاد الإسلامي من أسلحتها، و«قراءة الفاتحة» على أرواح آلاف الشهداء!! والدعاء للجرحى بالشفاء العاجل!! والنظر بعد ذلك بعدد ونوعية السجناء الذين يمكن أن تطلقهم «إسرائيل» من سجونها وكان الله بعون الباقين.

---

(١) جريدة السفير: ٣ أيار ٢٠٠٣.

وإذا كان وزير الخارجية يكفي لحمل الرسائل إلى سوريا ولبنان فإنَّ على بوش شخصياً أن يأتي إلى العقبة وشرم الشيخ «ليبارك» خطوة إجهاض الانتفاضة بنفسه مطمئناً شريكه شارون إلى أنَّ الخطة تسير بانتظام! وقد تمكن الفاتح الأميركي الذي جال بطائرته الرئاسية فوق بغداد من أن يستغل كل الحروب الأميركية في المنطقة وما سيأتي منها ليحشدها دعماً لهدفه المشؤوم في وقف الانتفاضة، حيث تمكن من أن يحصل على قمة تاريخية في العقبة بالنسبة إليه عندما أكد بوش على يهودية «إسرائيل» آخذاً من أبي مازن استسلاماً عبر الإعلان عن الاستعداد لوقف الانتفاضة بلا ثمن، رافضاً الإرهاب الفلسطيني ضد الإسرائيليين «المظلومين» أينما كانوا!!

كان واضحاً تماماً في قمة العقبة وما تلاها من حرص وحضور أمريكيين كاملين مع العملاء من الأنظمة العربية، أنَّ أميركا و«إسرائيل» وصلتا إلى غاية سعيهما الذي جهدتا على الوصول إليها منذ ١١ أيلول ٢٠٠١، وأنَّهما في غاية الحرص لإتمام النتائج عبر التركيز على محورين أساسيين، الأول استمرار الضغط باتجاه إيران وسوريا لمنعهما من التدخل في اللعبة، سواء داخل العراق بما يمكن أنْ يقوض كل المخطط، أو على صعيد التدخل في الشأن الفلسطيني ليتسنى لهم من إنضاج الثمرة كما يشتهون.

والثاني هو إجراء العملية الجراحية في الدماغ، أي معالجة أصل المشكلة في غزة والضفة الغربية وكل فلسطين، عبر الإمساك بالانتفاضة ودفعها إلى الاستسلام أو الموت على يد أهلها وإن لم يمكن ذلك فعلى يد شارون، مع تفضيل كبير للأول، لذلك يمكن التعبير عن هذه المرحلة التي تمر بها الانتفاضة في فلسطين بأنَّها المرحلة

الأدق والأخطر في تاريخ نضال وجهاد الشعب الفلسطيني، حيث خلطت الولايات المتحدة كل هذه الأوراق وأوجدت الحروب والفوضى في كل هذا العالم من أجل قطف نتيجة هذه البرهة من الزمن، وتحقيق هدفها الأساسي من وراء حركتها الجديدة التي بدأتها في ١١ أيلول ٢٠٠١ لإسقاط الانتفاضة وحماية «إسرائيل» ومعها مصالحها من السقوط في هذه المنطقة الهامة.

إنَّ حضور أميركا إلى ساحة فلسطين المحتلة عبر برجي التجارة في نيويورك ومن خلال الحرب في أفغانستان وأخيراً عبر بوابة فلسطين الشرقية في العراق، ما هو إلاَّ محاولة أخيرة ويائسة للحيلولة دون تدمير «إسرائيل» بفضل دوام الانتفاضة، أو فقل هو خط الدفاع الأخير عن «إسرائيل» وأميركا في كل المنطقة العربية والإسلامية، فهل يصمد هذا الخط لا سمح الله، فتدخل المنطقة في النفق الإسرائيلي الأميركي الذي لن يعلم بعد ذلك متى الخروج منه، أم ينهار هذا الخط فينفتح الأفق رحباً أمام حرية فلسطين كل فلسطين ومعها حرية الأمة كل الأمة؟ هذا ما نأمله ونعتقد به وسينجيب عنه في الفصل القادم، وستجيبنا عنه الشهور والسنوات القليلة القادمة بإذن الله تعالى.

الفصل السابع

آفاق المستقبل الواعد

تمهيد

هل انتهى التاريخ؟!

الانتقام الإلهي

مستقبل المقاومة في لبنان وفلسطين

مقاومة العراق بدأت

مستقبل النهضة في الأمة

«إسرائيل» ستزول قريباً

أميركا السقوط المريع

مستقبل العدل المنتظر

تمهيد

الفصول الستة المتقدمة كانت عرضاً وتحليلاً لنتائج الانتصار الإلٰهي في لبنان عام ٢٠٠٠، وللتداعيات التي نجمت عنه خلال سنوات ثلاث.

في هذا الفصل الأخير من الكتاب نقدم محاولة لسبر آفاق المستقبل وما سيحمله من أحداث هي برأينا نتائج وتداعيات مباشرة أو غير مباشرة لهذا الانتصار التاريخي.

أمَّا الاعتماد في هذا البحث فكان أولاً وبالدرجة الأولى على النتائج والتداعيات الحاصلة والمحققة ومعظمها لا يزال يتفاعل ولم يصل إلى نهاياته بعد، وذلك عبر استجلائها واستقرائها بما يؤشر للمستقبل، وثانياً بالاعتماد على السنن الإلٰهية والتاريخية التي تعيد نفسها ولا يخلو منها عصر أو مكان ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[1].

وثالثاً بالاستفادة من السياق العام بل التفصيلي أحياناً للأحداث وترابط هذا السياق بشكل عجيب، وتسارعه بوتيرة

(١) سورة البقرة، الآية ١٤.

مفاجئة، ما يساعد أن نضيف شيئاً من التنبؤ أو الاستشراف طبقاً لهذا السياق الواحد والمتصل بترابط منذ عقود وبالحد الأدنى منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران على يد العبد الصالح الإمام الخميني قدس الله سره الشريف.

ففي عام ١٩٧٩ عندما أسقطت أميركا و«إسرائيل» دور مصر في الأمة عبر تكبيلها باتفاقية كامب ديفيد، أسقط الإمام الخميني قدس سره شاه إيران، أقوى حليف لأميركا و«إسرائيل» في المنطقة، عبر انتصار الثورة الإسلامية في العام نفسه، ما أعاد التوازن إلى الأمة والذي كان فقده سيؤدي إلى سقوطها النهائي والمريع.

وفي عام ١٩٨٢ أراد الصهاينة والأمريكيون بإسقاطهم بيروت إسقاط آخر أمل ـ إن وجد ـ عند العرب باستعادة فلسطين، فكان أن انقلب السحر على الساحر الإسرائيلي، وانطلقت في لبنان أول مقاومة إسلامية شعبية لا تعرف المساومة ولا تتعب من القتال أعادت الأمل بقوة إلى نفوس أبناء الأمة بالتحرير الكامل والشامل في فلسطين وباقي الأنحاء والأوطان، وشاء الله تعالى لهذه المقاومة أن تنتصر في جميع معاركها مع العدو الصهيوني بلا استثناء خلال ١٨ عاماً وصولاً إلى الانتصار الكبير، وبالمقابل كانت «إسرائيل» تتلقى الهزيمة تلو الهزيمة وصولاً إلى هزيمتها الساحقة عام ٢٠٠٠.

وعلى ذلك قس إن شئت فلسطين وانتفاضتها حيث قلبت الانتفاضة حياة الإسرائيليين إلى جحيم وحولت أحلامهم إلى سراب، وخذ إن رمت مثلاً غزو العراق من قبل المحتل الأميركي حيث لم يطابق حقلهم البيدر العراقي، وباتت الأوضاع تسير خلاف مصلحتهم وخطتهم وهم يواجهون المشاكل يوماً بعد يوم.

هذا غيض من فيض الأحداث التي تسير منذ زمن معهود بعكس ما تشتهي سفن أميركا والصهيونية، ويحكم كل هذه الأحداث سياق واحد قد يتحد أو يختلف في الشكل، غير أن النتيجة هي الفشل الذريع والتراجع لأميركا و«إسرائيل» والانتصارات والتقدم المطرد للإسلام الأصيل لا سيما في إيران الثورة ولبنان الانتصار وفلسطين الانتفاضة وفي الكثير من أنحاء وأرجاء هذه الأمة العزيزة بمستويات متفاوتة.

إنَّنا نجد لزاماً علينا أن نعبر عن قناعات بتنا نلمسها لمس اليد ونراها رؤية العين، وان نسلط الضوء على نتائج تصب في مشهد آخذ بالتبلور شهراً فشهر وسنة فسنة، ونحن على ثقة أنَّ وراء ما يحدث إرادة حكيمة وعظيمة تسير بالمنطقة وبالأمة نحو مستقبلها المشرق بالعدالة والحرية، مفشلة في طريقها الإرادة المتعثرة للولايات المتحدة و«إسرائيل» في هذا العالم والمنطقة خاصة، ونؤمن بالقطع أنَّ هذه الإرادة هي إرادة الله المقتدر، الجبَّار، العزيز، القاهر، العادل، الحكم الحق والتي استمد منها المقاومون المخلصون العزم الكبير فباتوا يواجهون به قوى الشر الطافحة بالإجرام.

وخلاصة القول إنَّ ما رأيناه خلال العقود القليلة المنصرمة من انتصارات في إيران ولبنان وعزم على الانتصار في فلسطين وباقي أنحاء الأمة، هو نصف المشهد، لكنه النصف الجميل والرائع الذي رُسم بريشة فنان مبدع ما يدعوك إلى تصور النصف الآخر المستور بستار الزمن، والذي لا بد مع مرور الوقت غير البعيد أن ينكشف وبالتدريج ليكتمل المشهد بانكشافه ويزداد جمالاً وروعة.

بهذا المنظار ومن غير أن نبتعد عن الوقائع والحيثيات وبالاتكاء على الإرادة التي شبت في الأمة وببركة دماء شهداء المقاومة التي لم تبرد على امتداد تراب الوطن الكبير، وبالأمل الذي رأينا بريقه في عيون أبناء أمتنا العظيمة، نتطلع إلى الآتي ونرسم بريشة العقل والمنطق معاً والحكمة والشجاعة سوياً وبالأمل والعشق أيضاً آفاق المستقبل الواعد بزوال الاحتلال وسيادة العدل المنتظر.

هل انتهى التاريخ!؟

منذ أن انهارت أسطورة العدالة الحمراء بتفكك الاتحاد السوفياتي السابق، يحلو لبعض الغربيين لا سيما في الولايات المتحدة الأميركية أمثال فوكايوما وأضرابه أن يتحدثوا عن نهاية التاريخ، بمعنى أن عجلة التطور السياسي والاجتماعي قد وقفت عند حدود الانتصار الذي حققه الغرب ممثلاً بأميركا على الشرق ممثلاً بالاتحاد السوفياتي وأنَّ هذا النصر هو نصر نهائي للفكر الغربي أو ما يعبر عنه بالنظام الرأسمالي الليبرالي الحر على الفكر الشرقي الماركسي والشيوعي، وحيث أنَّ لا وجود بنظرهم بعد انهيار الشيوعية لفكر آخر يمكنه أن يكافىء أو يصارع الفكر الغربي، فبذلك يكون التاريخ قد توقف عند السيادة الأبدية لمنظومة الفكر الغربية بكل تفريعاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والخ...

هؤلاء المنظّرون المغرورون في الواقع وقليلو الإنصاف يتجاهلون الإسلام عن عمد كمنظومة كاملة وشاملة في السياسة والاجتماع والاقتصاد وغيرها، ويعتبرون ان وجود أكثر من مليار مسلم في هذا العالم لا يعني وجوداً للإسلام السياسي، والذي طبق كنظرية في عهود غابرة وانتهت هذه التجربة ولا وجود لها الآن.

ولازم هذه النظرية الخرقاء والمليئة بالكبر والطاغوتية أن يسعى

المقتنعون بها من الساسة ومن بيدهم مقدرات القدرة والسلطة لفرض النظام الغربي على العالم كنظام وحيد، وكوصفة منجية للبشرية من مشاكلها!! بعد أن ثبت صحتها بانتصارها المزعوم، وهذا ما يحصل على أرض الواقع من خلال تصرفات الإدارة الأميركية في عهد بوش الابن حيث لا يخجل الرجل من إطلاق التعابير التي تفيد هذا المعنى، وأنّه رسول هذه البشرية ومنقذها ولو بالحديد والنار، وان على الشعوب والأُمم أن تصغي لتعاليم المنتصر الكوني لتتعلم على يديه الديمقراطية ونظام القيم والسياسة، وعليها أن تتحرر من كل معتقداتها وأديانها وعاداتها وتقاليدها، وتتبع «قيم الحرية» الغربية حتى لو استلزم ذلك الضرب والتهديد والقتل أيضاً.

والحقيقة أنَّ هناك مغالطات فاضحة في المقدمات والاستنتاج، فضلاً عن الخطيئة التاريخية في محاولة فرض هذه النظرية على العالم بالقوة والإكراه.

فأول الكلام هو أنَّنا لنفرض ان ساحة الصراع «الحضاري» والفكري كانت حصراً بين هاتين المنظومتين والفكرين والفلسفتين، الليبرالية الغربية والشيوعية الماركسية، فهل يدل سقوط إحداها أو فشلها، على انتصار الأخرى؟ وعلى فرض ان الانهيار كان بسبب هجوم أصحاب النظرية المنافسة وانتصارهم، فهل هذا يعني أنَّ نظريتهم صحيحة وفلسفتهم صائبة؟ وهل أنَّ القضية هي من قبيل مانعة الخلو كما يقول أهل المنطق؟ أبداً، فإنَّ انهيار كتلة أحد الفلسفتين لأسباب خاصة أو بسبب انتصار الطرف الآخر لا يجوز أن يعني مطلقاً صحة الفكر المنتصر، بل هذا الاعتبار يعد أمراً مضحكاً مبكياً في آن.

ولعلَّ الهجمة الأخيرة من قبل الصهيونية العالمية وأميركا و«إسرائيل» على الإسلام السياسي والجهادي واتهامه بالإرهاب ما هو إلاَّ دليل على مدى عمق معرفة هؤلاء المنظرين والسياسيين بأنَّ الإسلام دين ونظام شامل ما يشكل في الحقيقة بنظرهم منافساً خطراً عليهم، وهم لا يريدون أن يعترفوا بهذا النظام في الإسلام ليواجهوه كنظام وحضارة وفلسفة بعد أن أعلنوا نهاية التاريخ لمصلحتهم، وعليه فقد قرروا أن يقاتلوه بعد أن وصفوه بالإرهاب والتخلف وما شاكل من نعوت ظالمة وزائفة.

ونحن نؤمن كأصحاب طرح إسلامي شامل لقضايا الحياة وكأتباع مذهب ديني وفلسفي صلح للتطبيق في الماضي ويصلح في الحاضر والمستقبل، أنَّ التاريخ لم ينتهِ ولن ينتهي إلاَّ بعد أن يسود الإسلام المحمدي الأصيل في هذا العالم ويحقق العدالة الاجتماعية الشاملة لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾(١)، كما أنَّنا نعتقد أنَّ النظام الليبرالي الحر في الغرب نظام غير صالح للبشرية، رغم ما قد يتضمنه من نقاط أو مسائل هي في نفسها قد تكون حسنة، غير أنَّ الحكم لا يكون عادةً على الأجزاء عندما تكون تلك الأجزاء بعضاً من كل لا يتجزأ، وموقفنا هذا من النظام الغربي ليس تعصباً باعتباره نظاماً للآخر، بل لأنَّ الدليل والتجربة دلتا على فساد هذا النظام وعدم صلاحيته، والفساد الكلي هنا ناتج عن فساد الفلسفة الوضعية المادية التي يتكىء عليها هذا النظام بالدرجة الأولى.

غير أنَّنا كأتباع للإسلام الذي يأمر بالعدل والإحسان ويوصي

---

(١) سورة التوبة، الآية ٣٣.

الإنسان بأخيه الإنسان لا يمكن أن نقبل الأسلوب المتبع حالياً من قبل أميركا في فرض فكرهم ونظامهم على العالم بالقوة مع فساده، فنحن نؤمن بأنَّ الفكر لا يمكن فرضه، ونحن إذ نواجه العدوان الأميركي الصهيوني ونعتقد بوجوب جهاده، فليس من باب الاختلاف معهم بالفكر وبمنظومة القيم، ولا لأنَّنا نريد أن نفرض منظومتنا الفكرية عليهم، بل رداً لاعتدائهم وتجاوزهم على أرضنا وحقوقنا ومقدساتنا وكرامتنا وحريتنا.

فعندما لا يكون هناك اعتداء من أصحاب الفكر الآخر والفلسفة الأخرى علينا، فمن الطبيعي أن يكون هناك علاقة ونقاش وحوار وربَّما تكامل، إذ إنَّنا لا نفرض أفكارنا على أحد حتى لو اعتقدنا بصحتها وسقم أفكار الآخرين.

لذلك نحن في حالة دفاع عن النفس والوجود والحرية مقابل هجمة شرسة تعتبر أن لا حق بالوجود لفكر الآخر وحريته، وهذا أخطر ما في الأمر، وقد عبر الرئيس الأميركي بوش عن هذه الحقيقة بقوله الشهير «من ليس معنا فهو علينا»، يعني إما أن تقبل الهزيمة والتبعية للغرب والفكر الغربي بقضّه وقضيضه، وبالتبع تقبل الخضوع لحكومة الغرب وممثلها الأميركي والصهاينة، وإمَّا فأنت عدو خطر وإرهابي يجب ملاحقتك وإبادتك.

لذلك كله نحن نخوض هذا الصراع مع هذا الصنف من المجرمين ومزوري الحقائق والظالمين الكبار، ونحن على اطمئنان بحقنا وكلنا تفاؤل بالمستقبل، ولسنا متشائمين على الإطلاق مهما كانت الظروف ضاغطة والتهديدات كبيرة، لأنَّنا لا ننظر إلى المستقبل بالعين التي يريدنا الأميركيون أن ننظر بها ولا نقرأ التاريخ بالطريقة التي يود الصهاينة أن نقرأ بها بل إنَّنا ننظر ونقرأ كما علمنا

القرآن وكما تقتضي الفطرة البشرية الصادقة، والمنطق السليم، ننظر إلى المستقبل الذي ينتصر فيه الحق وتسود فيه العدالة، ونقرأ التاريخ الذي يصنعه المجاهدون في سبيل الله ليكتبوا تاريخهم بأحرف من نور ويجزيهم الله بأعمالهم الصادقة والمخلصة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

إنَّنا نعتقد بأنَّ الإسلام يختزن أعظم دستور للبشرية يصلح العمل به في كل العصور والأماكن وبلا استثناءات، وإنَّ التقصير الذي حصل أو قد يحصل بحق الإسلام من بعض المسلمين من حكام أو علماء أو منظرين لا يمكن أن يعتبر دليلاً على عدم صلاحية الإسلام كنظام سليم وشامل، ونعتقد أنَّه يوجد في التاريخ الإسلامي نماذج فذة لتطبيق الإسلام كما يشهد عصرنا نماذج رائعة يجب أن تدرس ويسلط الضوء عليها بعيداً عن الدس الإعلامي الأميركي والصهيوني ولا سيما التجربة الإسلامية في إيران بشكل أوسع وفي لبنان بشكل أضيق تبعاً للظروف المحيطة.

إنَّنا أمام استسلام الكثيرين في هذا العالم للقدر الأميركي الذي يريد للتاريخ أن يقف عند بوابته المظلمة، وفي ظل التشاؤم الذي يعيشه العالم اليوم في النظرة إلى المستقبل على وقع طبول الحرب الأميركية بهدف استعباد الإنسان، نتطلع إلى المستقبل بأمل رغم ما يحيط بنا من ظلمات بعضها فوق بعض وظلم لا مثيل له في تاريخ الأُمم، وذلك لأنَّنا ننظر من كوة النور التي شقت دياجي الظلمة، والتي هي نافذتنا التي نشاهد من خلالها مستقبل العالم يشرق بالحرية والعدالة والحب والإنسانية.

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان ٨٨ ـ ٨٩.

هذه الكوة هي إرادة مقاومتنا في لبنان وعزم انتفاضتنا في فلسطين وروح النهضة المتحركة في جسد الأمة الكبير، والمأمول أن تتوسع هذه الكوة لتنفتح ضياءً في سماء الأمة كل الأمة فيعم السلام العالم، وليقف حينها التاريخ إن شاء.

الانتقام الإلهي

إذا كانت مشكلة الاتحاد السوفياتي إبان حكم الشيوعية هي إلحاده ومحاربته لله، ما أدّىٰ به إلى التفكك والانهيار، فإنَّ الغرب كنظام مادي فاسد وكممارسة استعمارية واستبدادية تجاه الدول والشعوب المستضعفة في العالم لا يقل إلحاداً ومحاربة لله عن الاتحاد السوفياتي السابق، بل الخطيئة هنا أكبر لأنَّ الغرب يدّعي الإيمان ويبطن الكفر، لا سيما ما يظهر من سياسات ومواقف في أيامنا هذه من قبل الإدارة الأميركية حيث نصّب هؤلاء الحكام أنفسهم رسلاً من قبل الله وادّعوا أن الله ألهمهم القيام بما يزعمونه تحريراً للبشرية، وهو ليس إلاَّ قهراً للإنسانية وظلماً لها باسم الله هذه المرة كذباً وزوراً. . . وبعبارة أخرى فإنَّ الاتحاد السوفياتي قد حارب الله جهرة وجحد ألوهيته، وزعيمة النظام الغربي أميركا اليوم تحارب الله باسمه وباسم دينه وتكذب عليه وتظلم خلقه وعياله من خلال ذلك ظلماً لم يبلغه ظلم في تاريخ الإنسان.

وهكذا هي «إسرائيل» دولة الفساد الأعظم وشريكة أميركا في الإرهاب الدولي، حيث ينطلق يهود «إسرائيل» في ظلمهم للناس من أن الله قد أعطاهم هذا الحق فينسبون الظلم إليه عزَّ وجلَّ، فهم شعب الله المختار وباقي الناس بهائم لا تستحق الحياة، أو هي مخلوقة ومسخرة لخدمتهم وتأمين منافعهم؟!!.

ونحن نعلم ان الله تعالى عادل لا يظلم ولا يحب لعباده أن يُظلموا، ونعلم ان الله غيور وقادر على أن يدافع عن مملكته ولا يرضى أن ينازعه أحد في سلطانه، وانه ينتقم من الظالمين، وقد يمهلهم ولكنه لا يهملهم... والله تعالى يسلط الظالمين بعضهم على بعض فينتقم بذلك بهم للمظلومين ويذيق بعضهم بأس بعض بما ظلموا مصداقاً للحديث «وما من ظالم إلاَّ ويبلى بأظلم»، وكذلك الحديث المنقول عن الإمام الباقر عليه السلام حيث يقول: «ما انتصر الله من ظالم إلاَّ بظالم، وذلك قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾[1]»[2] كما ان الله تعالى ينتقم لنفسه من العتاة والملحدين والمحاربين له على يد عباده المؤمنين، الذين يمدهم بالقوة والعزيمة والملائكة والرعب فيهزموا الظالم العاتي مهما كان عتوه كبيراً.

ففي الحديث أنَّ الله تعالى إذا أراد أن ينتقم لعباده المظلومين فإنَّه ينتقم لهم بالظالم، وأمَّا إذا أراد أن ينتقم لنفسه فإنَّما ينتقم بعباده المؤمنين.

ونحن بتنا خلال العقود الأخيرة نتلمس بقوة هذه السنن الإلٰهية ونشاهد بعين القلب والبصر الوعد الإلٰهي وكيف انَّ الله تعالى انتقم لكثير من مظلوميات عباده بظالم أعتى وكيف انتقم لنفسه بعباده المؤمنين، وهو منتقم منهم بإذن الله في المستقبل.

وسأحاول هنا أن أقدم تطبيقاً لهذه السنن الإلٰهية في واقعنا المعاصر ليس من باب سرد التاريخ وإنَّما من باب ربط هذا التاريخ بالحاضر المعاش توصلاً للإطلالة على المستقبل الذي نتفاءل به رغم الأعاصير.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٥، ص٣٣.

في لبنان ورغم المحبة التي كان يكنها الشعب اللبناني للقضية الفلسطينية وخاصة في جنوب لبنان حيث أظهر سكان الجنوب في بداية نشأة وعمل المقاومة الفلسطينية، الكثير الكثير من التعاطف والود للمقاومة تجلّى بالانخراط المباشر من قبل الكثير من الجنوبيين واللبنانيين مع فصائل تلك المقاومة وتقديم الشهداء الأعزاء في هذا الطريق، غير أن الحرب الأهلية اللبنانية واشتراك الفصائل الفلسطينية فيها من جهة، والفساد التنظيمي والأخلاقي لبعض الفصائل بسبب إغداق المال وطلب السلطة من جهة ثانية، وأسباب أخرى حرفت المقاومة الفلسطينة في تلك المرحلة عن وجهتها الصحيحة فتحولت إلى سلطة أمر واقع في أجزاء كبيرة من لبنان لا سيما في الجنوب بحيث مارست تلك الفصائل أشد أنواع الظلم على الشعب الذي انتصر لها وتحمل من أجلها عبء القصف والتدمير الإسرائيلي اليومي لقرى ومدن الجنوب اللبناني.

كان أصعب ما في الظلم الذي تعرض له الجنوبيون هو أنهم لا يستطيعون رد هذا الظلم بأنفسهم، فكيف تمتد يدهم ـ ولو دفاعاً ـ لقتل أبناء المقاومة الفلسطينية الذين هم مسلمون وأخوة في النضال والجهاد، وهم ضيوف رغم الأذى الكبير الذي ألحقوه بالجنوبيين، و«ظلم ذوي القربى أشد مضاضة»، ورغم ان بعض التنظيمات الأساسية اللبنانية في الجنوب خاضت حرباً مؤلمة مع الأشقاء الفلسطينيين، غير أن الكثير من الجنوبيين كان موقفهم التحمل والصبر على أذى هؤلاء الأخوة المضللين، مفضلين ذلك بمرات على أن يكتب التاريخ بأنَّ الجنوبيين قد قاتلوا أصحاب القضية الفلسطينية، هذا التاريخ الذي لن يرحم ولن يبين ما وقع من ظلم الأخوة على إخوتهم...

والحقيقة هي أنَّ انحراف تلك الفصائل الفلسطينية آنذاك عن أهدافها ـ رغم وجود المخلصين والمظلومين من أعضائها ـ لم يوقع الظلم على خصوص الجنوبيين واللبنانيين فحسب، بل أوقع الظلم الكبير على نفس أبناء الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية التي خسرت الكثير لمصلحة «إسرائيل» بسبب التهالك على الدنيا مالاً وجاهاً وسلطة والابتعاد عن روح الجهاد وطلب الشهادة في سبيل تحرير فلسطين.

وبالفعل فلقد بدا للبنانيين الصادقين في انتمائهم للإسلام والوطن ولفلسطين في تلك الآونة العصيبة أن لا خلاص من هذا الوضع الصعب والخطير، وأن مستقبل لبنان والقضية الفلسطينية باتت في مهب الريح.

لكنّ الله تعالى شاء عام ١٩٨٢ أن ينتقم من الظالم بالأشد ظلماً، فكان اجتياح «إسرائيل» للبنان لينهي هذه المأساة لمصلحة اللبنانيين والفلسطينيين المظلومين منهم والظالمين، والله تعالى وبعد أن انتقم للمظلوم بظالم أعتى ممَّن ظلمه انتقم لنفسه من اليهود الصهاينة العتاة، حيث خرجت مقاومة لبنانية مسلمة ومؤمنة بطلة أذلت أنف «إسرائيل» ومرغت وجهها بالتراب وأخرجتها بعد ثمانية عشر عاماً من لبنان تجر أذيال الخيبة وتذيقها وبال أعمالها وظلمها وجحودها وكفرها بالله العظيم، ويتحول انتصار المقاومة في لبنان إلى خير عميم للبنانيين والفلسطينيين على حد سواء، ولا زال الله تعالى في هذه الأيام مسلطاً سيف «عبادٍ له» في لبنان وفلسطين على رقبة «إسرائيل» لينتقم منها الانتقام الأخير إن شاء الله في القادم من الأيام.

القضية نفسها تكررت في أفغانستان حيث طغى «الطالبان»

وأفسدوا في الأرض وشوهوا وجه الإسلام النوراني، وأذاقوا المسلمين هناك شيعة وسنة الظلم، وفعلوا ما لم يفعله الاحتلال الروسي لبلادهم من قتل ونهب وسبي وتعدٍ، ولم يقف شرهم عند حدود البلاد الأفغانية بل تعداها إلى جارتهم الدولة الإسلامية الفتية في إيران حيث اعتدوا على دبلوماسييها وقتلوهم صبراً.

فجاء الله تعالى ببوش الظالم ومعه تحالف من الدول لينتقم بهم من هؤلاء الظالمين الجهلة للمظلومين الأبرياء... ونحن ننتظر أن ينتفض عباد الله المؤمنين في أفغانستان المجاهدة لتحقيق الفقرة الثانية من الوعد الإلٰهي وهو الانتقام بهم لله من أعداء الله الأميركيين الكفرة.

والصورة كانت أكثر وضوحاً وجلاءً في العراق حيث مارس الطاغية صدام التكريتي من الظلم والطغيان على الشعب العراقي المظلوم وعلى إيران الثورة وعلى دول الخليج بعد ذلك ما لم يعرفه التاريخ على مستوى ابتكار أساليب الإجرام والقتل الرهيبة التي لم تعهد من قبل كالأسلحة الكيمياوية وما إلى هنالك، وقد قتل من الشعبين العراقي والإيراني مقتلة عظيمة وأكثر الفساد وأعدم العلماء والصلحاء الذين كان خيرتهم آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله تعالى عليه، ولم ينجُ من اعتداءاته وتهديده مشايخ الخليج الذين شاركوه ظلمه ضد الجمهورية الإسلامية، حيث ندموا على ما يبدو بعد ذلك!!

واللافت أنَّ الذي ساعد هذا الطاغية في ظلمه وتسلطه أكثر على شعبه وشعوب المنطقة هو الاستعمار الغربي ولا سيما أميركا، حيث أنَّه بات من المؤكد أن أميركا حالت بين الجمهورية الإسلامية

وبين تحقيق نصر عسكري كاسح كان مؤكداً لولا التدخل القوي والسافر للإدارة الأميركية، كما أنَّه أصبح واضحاً أنَّ أميركا ساعدت الطاغية صدام في إحباط انتفاضة الشعب العراقي عام ١٩٩١ والتي راح ضحيتها أكثر من نصف مليون عراقي بسبب إعدامات صدام وانتقامه لمحاولة الإطاحة بنظامه البائد.

وفي ٩ نيسان وهو اليوم نفسه الذي أعدم فيه صدام الشهيد السعيد السيد الصدر كان زوال هذا الطاغية على يد الظالم العاتي الذي ساعده على ظلمه كل تلك الأعوام المتمادية... إنَّنا نعتقد أنَّ الرئيس الأميركي بوش الابن صادق في جزء من مقولته الشهيرة بأنَّ الله قد ألهمه بالتحرك العسكري باتجاه المنطقة الإسلامية (أفغانستان والعراق) من أجل إقامة الحرية والديمقراطية وتخليص أهل تلك الدول من طغاتها، وهو الجزء الأول المتعلق بأنَّ الله ألهمه شن الحرب على العراق وأفغانستان صحيح، لأنَّ هذا الإلهام هو مصداق «إنَّ الله ينتقم من الظالم بظالم أعتى»، ومصداق«وما من ظالم إلاَّ ويبلى بأظلم» إلاَّ أنَّ بوش كاذب وخائب في ما يتعلق بالجزء الآخر من المقولة، وهو أنَّه جاء ليحرر هذه الشعوب وينقذها.

بل إنَّنا نعتقد إنَّ الله تعالى استدرج هذا الطاغية العالمي وهذا الجاحد بالربوبية الذي نازع الله تعالى في ألوهيته على هذا العالم، استدرجه إلى أفغانستان والعراق وجاء بجنوده إلى أرض الأنبياء والرُّسل ومهبط الوحي لينتقم منه لنفسه بعباده المؤمنين المخلصين إن شاء الله تعالى ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة السجدة، الآية ٢٢.

مستقبل المقاومة في لبنان وفلسطين

لقد تحدثنا في فصل سابق عن أنَّ المقاومة في لبنان بعد الانتصار قد تجذرت في نفوس اللبنانيين والعرب والمسلمين، وأضحت ضرورة أكثر من أي يوم مضى للوقوف في وجه اعتداءات محتملة للعدو الإسرائيلي، وكذلك من أجل تقديم الدعم المعنوي وحتى المادي للفلسطينيين عندما تستلزم الضرورة ذلك، كما تحدثنا عن المقاومة في فلسطين وكيف أنَّها صارت فعلاً راسخاً وقناعة ثابتة لدى الشعب الفلسطيني وأنَّها باتت تشكل أملاً حقيقياً في الانتصار النهائي على هذا الكيان المصطنع والظالم.

واليوم ومع تعاظم الهجمة الأميركية الإسرائيلية على حركة المقاومة ومشروع النهضة في لبنان وفلسطين وباقي أنحاء عالمنا العربي والإسلامي، لا زلنا نحمل القناعة عينها بأنَّ مستقبل هذه المقاومة هو النصر والذي هو غير بعيد بإذن الله.

ولن تستطيع كل القوة والإرهاب التي جاءت بها أميركا إلى المنطقة إلى جنب الإرهاب الإسرائيلي أن تفتّ في عضد فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدىً، وآمنوا بأنَّ فعل الاستشهاد لا يمكن أن يتغلب عليه سلاح مادي في هذا العالم مهما بلغ.

ففي فلسطين لا يحتاج الفلسطينيون في حربهم مع الإسرائيليين إلى مدافع وطائرات بل تكفيهم عبواتهم الناسفة وأجساد استشهادييهم وسكاكين قاطعة تحملها يد آمنت بالله واستعدت للشهادة في سبيله. ولن ينفع الإسرائيليين حينذاك كل الأساطيل الأميركية وسلاحهم النووي والذري.

وفي هذه الأيام يهدد الإسرائيليون الفلسطينيين إن هم لم

يقتتلوا ويصفوا الانتفاضة بأيديهم، بالحرب الشاملة والتهجير والتنكيل، ونحن نعرف أنَّ الشعب الفلسطيني يدرك أن الموت والفناء بيد «إسرائيل» أشرف بكثير من أن يذبح الفلسطينيون بعضهم بعضاً كرمى لعين «إسرائيل»، وهم لن يفعلوا بإذن الله ولن يحققوا الإرادة الأميركية والإسرائيلية اللعينة، ومن المؤكد بعد ذلك أن «إسرائيل» ستكون أعجز من أن تحقق تهديداتها ولن تستطيع مهما فعلت أن تنهي المقاومة الشعبية في فلسطين، وسوف تكون المقاومة في لبنان في الشدائد والمصاعب إلى جانبهم ولن تتخلى عنهم.

وقد يقدم الإسرائيليون في أي وقت على ارتكاب حماقة بحق لبنان ومقاومته الباسلة بقصد القضاء عليها للتفرغ للداخل وتصفية الحساب مع الفلسطينيين بعيداً عن خطر تدخل حزب الله لحماية الشعب الفلسطيني من مجزرة ونكسة على غرار نكسة ١٩٤٨ و١٩٧٦، وقد أشرنا سابقاً إلى تهديدات إسرائيلية واضحة في هذا المجال إضافة إلى أنَّنا نعتقد أنَّ «إسرائيل» تبحث عن الفرصة للثأر لهزيمتها في لبنان وغسل العار الذي لحق بسمعتها، ونحن نعلم أنَّ المقاومة الإسلامية في لبنان قيادة وأفراداً ومعهم الكثير من أبناء الشعب اللبناني حاضرون وجاهزون لرد وصدّ هذا العدوان المحتمل بفعل روحية الاستشهاد المتنامية وبما تيسر من قوة باتت تتعزز يوماً بيوم، والأهم بالاعتماد والاتكال على القدرة الإلٰهية، لتحويل هذا العدوان المحتمل إلى هزيمة نكراء لا يحتملها العدو تضاف إلى هزيمته الأولى وتكون بداية تفكك هذا الكيان وزواله بإذن الله.

إنَّ شيئاً في هذا العالم لا يمكن أن يقضي على المقاومة في لبنان ولا يستطيع أن ينهي المقاومة والانتفاضة في فلسطين، لأنَّ

هذه المقاومة تنطلق من إرادة متصلة بإرادة الله ومن عزم مشحون بالإيمان الكبير بالله وبالقضية وبالإنسان.

إنّنا على ثقة بأنّ لا خوف على مستقبل المقاومة (الواحدة) في لبنان وفلسطين، وإنّها سوف تستمر وتتواصل وتتصاعد بأساليب مختلفة ومتطورة باتجاه الهدف المنشود ألا وهو النصر النهائي بإذن الله.

وإتماماً للفائدة أجد مناسباً ذكر مقاطع من مجموعة خطب لقائد المقاومة السيد حسن نصر الله والذي يعزز كلامه الصادق والشجاع الثقة بالنفس لدى أبناء شعبينا اللبناني والفلسطيني بأنّ مستقبل المقاومة يحمل المزيد من الانتصارات التي لم يكن انتصار أيار ٢٠٠٠ إلاّ بداية لها.

«تمسكنا بهذا الخط الجهادي (باقٍ) أياً تكن التهديدات والاتهامات والتهويلات... مهما قالوا ومهما فعلوا، فما دمنا على بصيرة من طريقنا وبينة من أمرنا نعرف ونعلم علم اليقين أنّ ما نقوم به هو تكليفنا وواجبنا وفيه رضى ربنا والمصلحة الحقيقية الوطنية، والمصلحة الحقيقية القومية ومصلحة أُمتنا وشعبنا في عزته وكرامته ووجوده وكيانه، وحينئذٍ ما دمنا على الحق فلا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا، عندما نكون من أصحاب هذه المدرسة (مدرسة كربلاء) من الطبيعي أنّكم ستلاحظون أنّه حتى لو جاء في يوم واحد بوش ورايس وكولن باول ورامسفيلد وطواغيت الأرض في هذا الزمن وفتحوا النار علينا في وقت واحد، لن يرتجف لنا طفل في حزب الله ولن ترتجف امرأة في حزب الله، نحن نعرف ماذا نفعل، ونعرف مواقع أقدامنا جيداً، ونعرف حجم

المسؤولية التي نتحملها... نحن نتكل على الله سبحانه وتعالى، الذي يمدنا بالطمأنينة والسكينة والثبات والقوة، وهو الذي نصرنا على عدونا، وهو إذا شاء ينصرنا على أعدائنا في أية ساحة وفي أية معركة»[١].

«المقاومة اليوم ترابط على ثغور الوطن وعلى تخوم فلسطين والقدس، في مزارع شبعا تقاتل لتحرر الأرض بالطريقة التي تراها مناسبة، والطائرات التي تنتهك أجواءنا وسيادتنا نواجهها بالمضادات، ونعمل لاستعادة المعتقلين، ونقف سداً منيعاً أمام التهديدات الصهيونية لشعبنا وبلدنا وأُمتنا، وفي الشأن الفلسطيني أكد السيد نصر الله أنَّ شارون الذي خوف بعض النخب العربية هو عاجز كما أسلافه ولن يستطيع أن يكسر إرادة الانتفاضة...

إنَّ رئيس حكومة العدو بما يملك يستطيع أن يدخل إلى المدن ويقصف، ولكن ما دام الشعب الفلسطيني في الداخل يملك إرادة الصمود والتحدي والعزم وثقافة الاستشهاد لا يستطيع شارون أن يفعل أي شيء... إنَّ هذه الانتفاضة ككرة الثلج، وهي ستكبر لكنَّها تحتاج إلى من يدحرجها ويدفعها، وسوف يأتي ذلك الوقت، والانتفاضة قادرة على إخراج الصهاينة بوقت قصير... الذي يغير المعادلة هو إرادة ومقاومة الشعب الفلسطيني، وبالرغم من كل الظروف الصعبة الداخلية في فلسطين المحتلة والعربية والإقليمية والدولية، فإنَّ الانتفاضة والمقاومة في فلسطين أقرب من أي وقت مضى إلى النصر الحقيقي، لأنَّ كل السياسات الأمنية التي اتبعها باراك وشارون وكبار الجنرالات والعقول العسكرية والأمنية

---

(١) الانتقاد: ١٨/١٠/٢٠٠٢.

الإسرائيلية فشلت بمواجهة هذه الانتفاضة... إذا كانت المقاومة في لبنان احتاجت إلى ١٨ سنة لتخرج الصهاينة من الجنوب والبقاع الغربي فإنَّ الانتفاضة قادرة على إخراج الصهاينة بالحد الأدنى من أراضي ١٩٦٧ خلال مدة زمنية قصيرة»[١].

«نحن في هذا اليوم (العاشر من المحرم) نجدد بيعتنا لسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومواقفه وكلماته ودمائه التي تجري في عروقنا.. ونجدد البيعة لحفيده المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً في يوم آت لا ريب فيه... نجدد التزامنا مع شعبنا في فلسطين ووقوفنا إلى جانبه مهما كانت الأثمان والتضحيات والتهديدات التي تلحق بنا... وأنَّنا لن نخاف ولن تتغير ألواننا، بل ستشرق ألواننا ووجوهنا عندما نقدم على ساحة الوغى، وعندما نرى الأساطيل تحتشد من حولنا، سنكون أعمق إيماناً بالله وأشد توكلاً عليه وأكثر إيماناً بأنفسنا ومجاهدينا»[٢].

«هذه الانتفاضة لن يكون مصيرها التسويات السياسية، بل قدر لها منذ اللحظة الأولى أن تنطلق باسم الله وفي عين الله وببركة الدماء الزكية التي سفكت في المسجد الأقصى، وشهداؤها طلاب الله وعشاق لقاء الله، لا يمكن أن يفت من عضدهم شيء، ولا يوهن من عزمهم شيء، ولذلك هذه الانتفاضة هي انتفاضة منتصرة، هي انتفاضة الظفر والتحرير، وهي التي ستصنع المعجزة في زمن أقل ممَّا يتوقعه هذا العالم»[٣].

---

(١) الانتقاد: ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٢.

(٢) الانتقاد: ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٢.

(٣) الانتقاد: ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٢.

إنَّ كل المعطيات تؤكد أنَّ المقاومة في لبنان وفلسطين باقية بإذن الله حتى تحقيق النصر النهائي على «إسرائيل»، ولماذا يوقف هؤلاء مقاومتهم، فهم قبل المقاومة في لبنان لم يروا في هذا العالم من يقف معهم في رد عدوان «إسرائيل» المتمادي والظالم، ولم يروا من الجهاد والمقاومة إلاَّ كل عز وفخر ومنعة وكرامة، وكان خاتمة ذلك الانتصار والتحرير، وهم في فلسطين راهنوا أو انتظروا الجيوش العربية والإرادة الدولية والمفاوضات المذلة طويلاً لكنَّها لم تأت لهم بغير مزيد من تسلط المعتدي الصهيوني وجرأته عليهم وعلى ظلمهم، غير أنَّ سنوات قليلة من الانتفاضة والمقاومة حققت الكثير الكثير من الكرامة والمنعة والنصر ووضعت الشعب الفلسطيني على أعتاب الانتصار الكبير والنهائي.

إنَّ شعبنا في لبنان وفلسطين لن يتخلى قطعاً عن المقاومة، بل سوف تزداد المقاومة تألقاً وقوة في المستقبل ليشرق الفجر من بنادق وعبوات المقاومين الشرفاء.

مقاومة العراق بدأت

يشكل ملف الاحتلال الأميركي للعراق مفصلاً مهماً في حاضر ومستقبل الصراع مع «إسرائيل» وأميركا في منطقتنا، وسوف يكون لتطور الأوضاع في هذا البلد العربي العريق آثاراً مهمة على هذا الصراع والتي نأمل بل نثق أنَّها ستكون لصالح شعوب منطقتنا ولصالح أُمتنا، من خلال ما نعرفه عن شخصية الشعب العراقي الغيور وما يعرفه العالم من التاريخ الجهادي لهذا الشعب في مقاومة المحتل والمستعمر.

لقد راهنت الإدارة الأميركية المتصهينة برئاسة بوش الابن على

رهانات فاشلة وحمقاء دفعتها إلى ارتكاب خطأ تاريخي لن يكون له جبران أبداً باحتلالها هذا البلد، وسوف تدفع الولايات المتحدة الأميركية ثمن هذا الخطأ الكبير.

وعلى ما يبدو فإنَّ الألم والضغط الكبيرين اللاحقين بمدبّري السياسية الأميركية جراء القلق المتنامي على مستقبل الكيان الإسرائيلي بسبب الانتفاضة، حولا تلك الإدارة إلى وحش مجنون وضخم إنَّما بعقل عصفور صغير يخبط خبط عشواء من غير اتزان أو تدبر حتى في الأُمور الواضحة والبديهية.

وهذا الخطأ في الحقيقة لا يتجسد في أصل غزو العراق فقط على جسامة هذا الإقدام، وإنَّما يزداد بسبب الأساليب والمقدمات والسياسات التي اتبعتها تلك الإدارة المهووسة ولا زالت تجاه بلد يمتاز شعبه بمزيد من الوعي الثقافي والسياسي ويملك روحية خاصة وحساسة تجاه الاعتداء على الكرامة والعرض والدين والوطن.

أول الأخطاء الأميركية كان الإصرار على الإقدام على فعل الغزو رغم اعتراض غالبية هذا العالم دولاً ومؤسسات وشعوباً وتشكله في شبه جبهة عارمة مقابل الجنوح الأهوج لأميركا ومعها بريطانيا لمثل هذه الخطوة.

ثاني الأخطاء كان عدم تسليم الحكم للمعارضة العراقية ممّا اضطرّ المحتل الأميركي لأن يتصدى للإدارة المباشرة لحكم العراق، وهذا خطأ فادح جداً لا يبعد القول أنَّه ثغرة مميتة وقاتلة للوجود الأميركي في العراق، فهل يقبل شعب ما في هذا العصر، عصر الحرية أن يحكم من قبل حاكم عسكري فعلاً ومدني اسماً لدولة

أجنبية، في وقت تدعي الإدارة الأميركية انَّها جاءت للعراق من أجل تحرير شعبه من طاغيته وتمكينه من الحرية!؟

ثالث الأخطاء القاتلة أيضاً كان ولا يزال في الأسلوب الإرهابي والهمجي لتعاطي جنود الاحتلال الأميركي مع الشعب العراقي الأعزل من خلال طريقة اقتحام البيوت الآمنة على أصحابها وكشف المخدرات وتفتيش النساء المؤمنات من قبل الجنود الأميركيين، وإطلاق النار والقتل على الشبهة والظن، بحيث أنَّ الشعب العراقي وبعد أسابيع قليلة من تحريرهم على يد الأميركيين صار يترحم على ظلم صدام وبطشه!!.

ومن الأخطاء الكبيرة أيضاً أنَّ الأميركيين سرعان ما فضحوا أنفسهم وكشفوا عن السبب الحقيقي من وراء غزوهم للعراق، عبر التصريح والتأكيد بأنَّ الحكم في العراق سوف يقيم علاقات مع «إسرائيل»، ودعوة «إسرائيل» وشركاتها للاستفادة من فرصة الاستثمار في العراق، وفتح الباب أمام المخابرات الإسرائيلية واليهود الذين سارعوا إلى طلب شراء عقارات وأراضٍ في العراق، في حين أنَّ الشعب العراقي بكافة طوائفه وقواه يرفض حتى فكرة الحوار مع «إسرائيل» فضلاً عن التطبيع معها وفتح الطرق لمستشاريها السارقين الكبار.

هذا فضلاً عن الكثير من الأخطاء التكتيكية في تقدير المواقف والتعاطي مع الأحداث والتفاصيل التي شكلت مجتمعة أيضاً خطأً كبيراً ومؤثراً.

مجموعة هذه الأخطاء والثغرات دفعت الشعب العراقي إلى ساحة المواجهة المباشرة والسريعة مع الاحتلال، مبدياً اعتراضاته

الشديدة على أصل الاحتلال وبقائه، وعلى الأساليب غير الحضارية وغير الإنسانية التي تصدر عن الاحتلال لا سيما من قبل الجنود العتاة.

ولقد أثبت الشعب العراقي وبسرعة فائقة فاجأ فيها الأعداء ـولعلَّ الأصدقاء أو بعضهم ـ بأنَّه شعب مقاوم رافض للاحتلال، حيث كان الانعكاس الأول لهذا الرفض عبر المقاومة التي أبدتها بعض قطاعات الجيش العراقي وأفراد العشائر لا سيما في جنوب العراق أثناء تقدم وتوغل القوات الأميركية، إضافة إلى مواجهة الجماهير العراقية المحتلين في معظم العراق لا سيما في مدن الجنوب ولاحقاً بغداد بوجوه عابسة وقبضات مرتفعة بعد أن كان الغزاة يعتقدون بأنَّهم سيستقبلون بالورود والأزهار وشارات النصر بسبب مآسي النظام السابق وظلمه للناس لا سيما للجنوبيين ذوي الغالبية الشيعية، حيث كان الأميركيون يراهنون على تلك المظاهر وقد أدخلوها في حسابهم وخططتهم أيضاً.

ويبدو أنَّ الأميركيين لم يستمعوا سوى لصوت «الاستغاثة» الإسرائيلية وأصموا آذانهم عن تحذيرات الكثيرين من المسؤولين فضلاً عن اعتراض شعوب العالم، فقد أكد الإمام الخامنئي وأثناء استقباله للرئيس بشار الأسد في طهران وقبل أيام على بداية الغزو للعراق أنَّ الشعب العراقي سيقاوم الاحتلال الأميركي، حيث وجهت سوريا وإيران دعوة لأميركا إلى التعقل عبر هذا اللقاء «وقال الأسد خلال لقائه (القائد) الخامنئي انَّ الولايات المتحدة تحاول فرض حكومة عسكرية تساندها واشنطن في العراق.. لكن الشعب العراقي سيقاوم... إنَّ الولايات المتحدة ستلاقي الهزيمة

أمام مقاومة الشعب العراقي».. ونقلت الوكالة عن (الإمام) الخامنئي قوله: «كل من يساعد الولايات المتحدة يضر نفسه، وأضاف أنَّ الولايات المتحدة قد تلحق ضرراً بالمنطقة على المدى القصير، لكنَّها ستصاب بأكبر ضربة ستؤدي إلى انهيار صورة أميركا كقوة عظمى على المدى الطويل»(١).

لقد عبر الشعب العراقي عن معارضته للاحتلال بشدة وعظمة خاصة من خلال الإحياء المتميز ذات الدلالات السياسية الكبيرة لذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام في مدينة كربلاء، والتي احتشد فيها أكثر من خمسة ملايين عراقي توحدوا على شعار «كلا كلا أمريكا، نعم نعم للإسلام»، هذا فضلاً عن تواصل المسيرات بهذا الاتجاه وبلا انقطاع في معظم المدن العراقية، وعبر المساجد وصلوات الجمعة والجماعة والخطب التي تلقى فيها.

وفي وقت كان العالم ينظر بدهشة للمارد العراقي الذي خرج للتو من قمقم الظلم الداخلي على يد صدام التكريتي عبر حضوره المليوني والجريء في الشارع ورفضه للاحتلال الأميركي، كان السؤال الكبير متى تبدأ المقاومة العسكرية؟

وكان الجواب أسرع من التوقع حيث تشهد العديد من المناطق والمدن العراقية لا سيما بغداد وفي كل يوم العديد من عمليات المقاومة الشعبية ضد القوات العسكرية الأميركية والبريطانية المحتلة، حتى اعترف قائد الحملة الأميركية على العراق الجنرال تومي فرانكس بأنَّها تتعدى الـ ٢٥ عملية يومياً، توقع عدة قتلى وجرحى

---

(١) السفير: ١٧ آذار ٢٠٠٣.

في صفوف المحتل يومياً، وقد بدأت هذه المقاومة المتنامية تشكل حالة إحراج كبيرة للإدارة الأميركية داخل المجتمع الأميركي في ظل أسئلة متصاعدة عن مصداقية وواقعية الأسباب التي طُرحت للاعتداء على العراق.

وفي الوقت الذي يحاول الأميركيون نسبة هذه المقاومة لفلول صدام التكريتي ولمجرمين وسارقين، إلاَّ أنَّ الحقائق والشواهد تؤكد أنَّ هذه المقاومة يشارك فيها شرائح متفرقة ومختلفة بقصد إيذاء الاحتلال ودفعه إلى ترك العراق، وأنَّ هذه المقاومة آخذة في التصاعد والشمول في مناطق العراق كافة لتشمل كل قوى وقطاعات الشعب العراقي وأحزابه وأديانه ومذاهبه الذين بدأوا يتوحدون حول المقاومة تدريجياً.

وبالنظر إلى مستقبل المقاومة في العراق، فإنَّنا على ثقة بأنَّها ستتواصل وتتنامى وتتسع لتشمل كل مدينة وقرية عراقية، وذلك بسبب مضي قوات الاحتلال في ممارساتها للأخطاء الاستراتيجية والتكتيكية، ومع تهديد الكثير من الفصائل والأحزاب والشخصيات السياسية والدينية العراقية بأنَّ صبرها لن يطول إذا لم تسارع الإدارة الأميركية إلى تلافي أخطاءها، بل والتعجيل في تسليم السلطة للعراقيين والرحيل عن العراق، وأنَّ المقاومة العسكرية الشاملة سوف تكون الحل الوحيد حينئذٍ.

لا شك بأنَّ العراق وهو دولة عربية وإسلامية عريقة، وشعبه شعب مثقف ثوري ومؤمن مجاهد، ليس بعيداً عن الفعل والانفعال بما حدث ويحدث وسوف يحدث في المنطقة لا سيما في ما يخص القضية الفلسطينية، فالشعب العراقي وممَّا لا شك فيه قد تأثر

بالمقاومة والانتصار في لبنان وبالانتفاضة في فلسطين وتعلّم من هاتين المقاومتين الباسلتين، كما أنَّ مقاومة هذا الشعب العزيز سيكون لها الأثر الكبير في تقرير السياسات الإقليمية والعالمية والتأثير الإيجابي بدورها على مقاومة لبنان وفلسطين في المستقبل، ونحن على يقين تام أنَّ المقاومة العراقية ستنضم سريعاً إلى أختيها في لبنان وفلسطين لتشكل معاً سداً منيعاً بوجه الأطماع الصهيونية في منطقتنا، بل وتحقق معاً النصر النهائي للأمة والهزيمة الكاملة لأميركا و«إسرائيل» بإذن الله.

مستقبل النهضة في الأمة

الأمل هو العماد الأول لفرد أو أمة في طريق القيام والنهضة والنجاح. أمَّا اليأس فهو الفأس الذي يهدم حاضر ومستقبل أي فرد أو أمة، ويتركهم في حالة احتضار أو يوصلهم إلى موت محتم.

واليوم وبعد طول سبات ونوم وخدر في جسم الأمة بسبب اليأس من القدرة على الخروج من النفق الإسرائيلي والأميركي المظلم، نجد أنَّ الأمل عاد ليفرخ الرجاء في أُمتنا على امتداد أوطانها وتنوع شعوبها، فانتصار لبنان وانتفاضة فلسطين شكلاّ الدليل على إمكانية الخلاص من «إسرائيل» والصهيونية والانعتاق من الاستعمار الأميركي البغيض.

إنَّ قوى أُمتنا اليوم وأحزابها وحركاتها ودولها أمام تحد السير والإقدام باتجاه نافذة الأمل التي لاحت، وعدم إسقاط هذه الفرصة السانحة التي لن يجلس العدو أمامها هادئاً، بل هو قد بدأ حركته الالتفافية والتي عبروا عنها بالحرب الاستباقية لمنع الأمة من تحقيق أهدافها.

وهذا يتطلب الكثير من الجهد والتصميم والحضور في الساحات المختلفة وعدم التعب، بل القيام بخطوات مدروسة وملموسة ينبغي أنْ تتواصل بدقة كي تعطي النتائج المرجوة.

ولكل بلد وقطر ظروفه التي يجب أنْ تلحظ من غير أن تكون مانعاً من المشاركة في مسيرة النهضة الكبرى، فالأولويات جميعها يجب أن ترتب بحيث تكون الأولوية الأولى والحاكمة على جميع الأولويات الأخرى على أهميتها هي مقارعة ومواجهة الهجمة الصهيونية الأميركية المتجددة على أُمتنا وأوطاننا، ويجب أن لا يعتبر أحد نفسه خارج دائرة الخطر والصراع دولة كان أم حزباً أم مؤسسة أم فرداً، كما يجب عدم تشتيت الجهد والإمكانيات في مشاغل واهتمامات وصراعات جانبية أو جزئية حتى لوكانت مهمة أو ملحة.

ومن الطبيعي أنْ تشكل القضية الفلسطينية ونصرة الشعب الفلسطيني المظلوم محور الوحدة للأمة ومنطلق نهضتها، خاصة في هذه الأيام الحساسة التي دخلت فيها الولايات المتحدة الأميركية كطرف مباشر في هذا الصراع، ولم يعد ينطلِ على أحد كذبها بأنَّها صديقة للعرب والمسلمين، وهي اليوم تحتل العراق وأفغانستان عسكرياً وتهدد إيران وسوريا وكثيراً من دول منطقتنا العربية والإسلامية، وتهيمن على القرار في أكثر تلك الدول.

إنَّ أعظم فرصة لوحدة الأمة اليوم هو في الاصطفاف الجهادي المطلوب في وجه «إسرائيل» وأميركا الصهيونية، حيث لا يمكن لشريف في الأمة أن يناقش في شرعية المواجهة والمعركة مع هذا العدو الكافر والمعتدي على الإسلام والقرآن والمقدَّسات والإنسان.

ولكل دولة أو حزب وجماعة أن تختار الأسلوب المناسب في مقاومة المحتل والمعتدي، ومواجهته بحسب الظروف والإمكانات، غير أنَّه لا يجوز لأحد أنْ يهادن هذا العدو فضلاً عن مصادقته والتطبيع معه أو السير في ركابه.

فشعبنا في كل من لبنان وفلسطين والعراق قد اختار طريقه حيث ساعدته الظروف في تواجد العدو على أرضه، وسار في طريق المقاومة العسكرية في وجه المحتل، إلى جنب استخدام كافة وسائل المقاومة الأخرى سياسية واقتصادية وشعبية، وعلى باقي أبناء شعبنا في الأوطان الأخرى أن يختار طريقه في المواجهة أو دعم المقاومة الإسلامية الشاملة بحسب ظروفه وقدراته، حيث عبر الكثير من أبناء شعبنا في الأوطان العربية والإسلامية عن الكثير من أشكال المواجهة وأساليب الدعم، من المظاهرات إلى المقاطعة الاقتصادية للبضائع الأميركية ورفض التطبيع مع «إسرائيل» وغيرها من أشكال المقاومة المتنوعة.

وكما الشعوب فإنَّ الدول والأنظمة الشريفة وغير العميلة لأميركا أو التابعة لها في أُمتنا يمكنها أن تأخذ دوراً متقدماً في نهضة الأمة وقيامها رغم الضغوط التي تتعرض لها الدول عادة، غير أنَّ هذه الضغوط الفعلية أو المحتملة لا تعفي الأنظمة من مسؤولياتها، فضلاً عن أنَّها لا تبرر لها الارتماء في أحضان أميركا أو الرضوخ «لإسرائيل».

ولدينا نموذجان هامان على ذلك وهما نظام الجمهورية الإسلامية في إيران والنظام السوري.

فنظام الجمهورية الإسلامية في إيران اتخذ قراراً واضحاً

وجريئاً بمقارعة الصهيونية والاستكبار العالمي، وحدد سياسة واضحة في ما يخصّ «إسرائيل» ككيان غاصب يجب العمل على اقتلاعه من الجذور، وكذلك في ما خص الإدارة الأميركية التي اعتبرتها طهران على الدوام أساس المصائب لإيران والمنطقة، وقد شكل نظام الجمهورية الإسلامية في إيران من خلال المواقف المبدئية الراسخة في مواجهة الاستكبار العالمي ملاذاً هاماً للمستضعفين في العالم ولقوى التحرر العربية والإسلامية ولحركات المقاومة في لبنان وفلسطين، بحيث يمكن القول بجزم أنَّ إيران الإسلام تشكل اليوم قلعة مستحكمة في وجه الأطماع الاستعمارية، وملهماً فذاً لحركة المقاومة والنهضة العربية والإسلامية.

كما أنَّ النظام السياسي في سوريا بقيادة الرئيس الراحل حافظ الأسد وابنه الدكتور بشار الأسد قد خاض تجربة مهمة ولا يزال في مواجهة المشروع الإسرائيلي الأميركي، وإنْ بأسلوب مختلف عن أسلوب الجمهورية الإسلامية في إيران، غير أنَّه شكل أيضاً أرضية صلبة للصمود من قبل سوريا ولبنان في وجه المخططات الأميركية الصهيونية المتعددة لإسقاط هذا النظام واختراقه عبر سنوات طويلة، ويسجل للحقيقة لسوريا في هذه المرحلة دوراً لا يستهان به في الحفاظ على الأمة كل الأمة من السقوط في مؤامرة التطبيع مع العدو وإسقاط الأمة من خلال ذلك.

ويمكن في الحقيقة لأي نظام عربي وإسلامي أن ينهج نهج أحد هذين النظامين في مقاومة الصهيونية، وبالحد الأدنى أن لا يشكل عامل إحباط وتخويف للدول والشعوب العربية عبر تكرار اللغة الانهزامية التي لا تخدم سوى مصلحة أميركا و«إسرائيل» في المنطقة.

إنَّ ما شاهدناه في أُمتنا بعد تحرير لبنان وانطلاق الانتفاضة الفلسطينية من بارقة أمل وتطلع إلى فجر جديد وبداية حركة نشطة لمواجهة أميركا والصهيونية لن تستطيع أميركا أن تطفأه من خلال هجومها العسكري الوحشي على أفغانستان والعراق، ومن خلالهما على المنطقة لإسقاطها بهدف إعادة اليأس إلى الجماهير العربية والإسلامية والإيحاء لها بأنَّ لا حق لها حتى أنْ تحلم بالحرية، وذلك لأسباب عديدة، منها أنَّ هذه الصحوة التي بدأت لم تكن مجرد طفرة بل كانت عن يقين تام بأنَّ طريق المقاومة هو طريق العزة والخلاص، ولأنَّ المقاومة في لبنان وفلسطين لم تخف ولم ترتعب، بل لا زالت مصممة على مواجهة التحدي بالإيمان الكبير بالله وبأنَّه ناصرنا وناصر المستضعفين.

ولأنَّ شعوب أُمتنا فهمت أنَّ أميركا كما «إسرائيل» هي نمر من ورق يمكنها أن تنتصر على أنظمة عميلة ومشتركة معها في الإخراج والسيناريو للحروب كما حصل في أفغانستان والعراق، ولكنَّها عاجزة وذليلة وضعيفة في مواجهة مقاومة جادة وباسلة كما يحصل في لبنان وفلسطين وفي أفغانستان بشكل أقل وفي العراق بشكل جدي ومؤثر.

والأهم من كل ذلك لأنَّ المسلمين والمؤمنين من أبناء الأمة صاروا ألصق بإسلامهم ودينهم وربهم وفهموا أنَّ الله لا يرضى لهم الانظلام والسكوت على الظلم، وأنَّ تكليفهم الإلٰهي هو أن ينهضوا ويواجهوا قدرهم في هذا العصر بغض النظر عن النتيجة، وأنَّ الله تعالى إذا ما نصروه حقاً فإنَّه ناصرهم لا محالة.

إنَّ انتشار الوعي الديني الصادق والفهم الصحيح للإسلام على المستوى الفكري والثقافي والسياسي والأخلاقي في أصقاع الأمة،

يعتبر أحد أهم المرتكزات للصحوة والنهضة كما يعتبر ضمانة لعدم التراجع والانهزام في هذه المواجهة الكبرى.

إنَّنا نشاهد يوماً بعد يوم مزيداً من الانتشار لهذا النهج الذي يعتبر الإمام الخميني في هذا العصر أحد أهم بناته ورواده، كما نراه ينتقل من نصرٍ إلى نصر ومن نجاح إلى نجاح، في إيران ولبنان وفلسطين ومؤخراً في العراق وأماكن كثيرة أخرى لم تظهر فيها التجربة بعد إلى العلن ولكنَّها تعتمر في قلوب وحياة الملايين من الناس وتشكل بالنسبة إليهم الأمل والرجاء.

وفي المقابل نجد أنَّ هناك تراجعاً وانكماشاً وفشلاً لدى أصحاب الفهم المعوج للإسلام، هذا الفهم الذي جرَّ على الأمة في الماضي والحاضر من الويلات أكثر بكثير ممَّا جاءت به الاعتداءات من خارج نطاقها، والمثال هنا حركة طالبان وتنظيم القاعدة وأضرابهما.

لذلك فاعتقادنا أنَّ هذه الصحوة والنهضة إلى تقدم وتطور إن شاء الله لأنَّها تنطلق من ثقافة سليمة ومن رؤية صحيحة وجلية.

ولا بد أن نسجل للإدارة الأميركية غباءها الذي ساعد ويساعد في كل يوم على مزيد من الصحوة وفعل الاستنهاض من خلال الأخطاء الاستراتيجية التي يرتكبها المسؤولون فيها، ومنها الإعلان المتسرع للرئيس بوش من أنَّه يخوض حرباً صليبية (ضد المسلمين) بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، إلى غير ذلك من الأخطاء والحماقات الجسيمة التي تدفع الأمة دفعاً إلى المواجهة والتصدي.

كما إنَّنا لا بد وأن نسجل الإسرائيليين هم من اليهود الموصوفين في القرآن الكريم بجشعهم وطمعهم واستئثارهم بكل شيء، فإذا كان

بعض الجشعين يعمل على قاعدة «ما لنا لنا وما لكم لكم ولنا»، فإنَّ اليهود لديهم قاعدتهم التي تقول: «ما لنا لنا وما لغيرنا لنا»، حيث دفعهم هذا الحرص الشديد والأبله إلى عدم تقديم أي تنازل يذكر حتى في سبيل تحقيق أهدافهم الاستراتيجية، ممَّا دفع ببعض العرب اللاهثين إلى جنَّة السلام الإسرائيلي أن يعيدوا حساباتهم ويتوقفوا ولو قليلاً أمام هذه الأطماع التي لا حدود لها.

إنَّ أبناء أُمتنا باتوا يعرفون تماماً مواضع أقدامهم ويعلمون أنَّهم أمام خيارين لا ثالث لهما، إمَّا الاستسلام الكامل للإرادة الإسرائيلية الأميركية المتحدة، ومعنى ذلك أن يساقوا عبيداً للسيد الإسرائيلي ليحكم فيهم بما يشاء على خلفية عقائده التلمودية الفاسدة، وإمَّا أن يسيروا في طريق النهضة والمقاومة والثورة، هذا الطريق الذي خبروا نتائجه جيداً في لبنان، وها هم يراقبون ذلك بشغف في فلسطين وحديثاً في العراق، والنتيجة الحتمية التي خرج بها شعبنا في أوطان الأمة وأقطارها هي أنَّنا لسنا أمام خيارين بل خيار واحد وهو المقاومة والثورة والتي هي قدر الأمة لا خيارها فقط... قدرها الذي لن يكون نتيجته سوى النصر والتقدم والعزة في الدنيا والآخرة.

الأمل كبير وكبير جداً بالله تعالى وبشعبنا العربي والإسلامي أن لا تمضي السنوات إلاَّ وتستعيد الأمة أمجادها، لتكون ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، ولتتحول إلى أمة وسطاً تكون شاهدة على مستقبل واعد لهذا العالم.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١١٠.

«إسرائيل» ستزول قريباً

كانت «إسرائيل» في وقت مضى بالنسبة لكثيرين قدراً لا مرد له، وواقعاً لا يمكن تغييره أو إنهاءه، لأنَّها تملك الجيش الذي «لا» يقهر، وتدعمها أميركا بكل وجودها وقواها، ولم يكن السؤال آنذاك يدور حول بقاء أو زوال «إسرائيل»، بل على العكس كان السؤال يدور حول من هي الدولة العربية التالية بعد فلسطين لتمحى عن خارطة العالم وفقاً لقوانين شريعة الغاب المغطاة بقرارات تمرَّر في أروقة الأُمم المتحدة ومجلس الأمن.

لكن اليوم وبعد انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان وهزيمة «إسرائيل» التاريخية، وبعد اشتعال الانتفاضة والمقاومة في فلسطين، لم يعد من داعٍ للسؤال حول إمكان زوال «إسرائيل»، من الوجود إذ صار الجواب بديهياً، إنَّما صار السؤال متى ستزول «إسرائيل» من الوجود، وكيف وبأي سيناريو؟

فالوعد القرآني بالقضاء على «إسرائيل» هذه إلى جنب عشرات الأدلة الأخرى كلها تؤكد حقيقة الزوال لهذا الكيان المصطنع الذي يحمل أهدافاً غاية في الشر والعدوان والفساد.

فالله تعالى أكد في كتابه الكريم في سورة الإسراء أن أية دولة أو سلطة لليهود تقوم على الباطل سوف تهزم، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟

﴿وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾[1].

وإن اختلف في تفسير الآيات بما يتعلق بتحقق الوعدين معاً في التاريخ، أو حدوث أحدهما وترقب الآخر، فإنَّ الأهم هو دلالة الآيات على حتمية العقاب الإلٰهي لبني إسرائيل كلما اعتدوا وأفسدوا في الأرض، سواء كان ذلك في المرة الأولى والتي يظهر أنَّ العقاب فيها كان على يد نبوخذنصر، أم في الثانية والتي يمكن أن تكون قد حدثت على يد أحد ملوك الروم على حد تفسير الميزان للعلاَّمة الطباطبائي قدس سره، أم في الثالثة أو الرابعة أو في أي حقبة يحكم اليهود وبنو إسرائيل بالظلم ويفسدون في الأرض لقوله تعالى ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[2]، فعلى كلا الاحتمالين أو الاحتمالات فإنَّ الوعد القرآني قاطع والإنذار الإلٰهي واضح لبني إسرائيل بإرسال من يسومهم سوء العذاب ويدخل المسجد عليهم ويجوس خلال الديار، كلَّما أظهروا الفساد في الأرض. وهم في دولة «إسرائيل» المشهودة في عصرنا قد مارسوا أعتى درجات الإفساد في الأرض ممَّا يعني بالقطع واليقين بأنَّ الله تعالى سيعيد معهم الكرة ويرسل عليهم عباداً له أولى بأس شديد لا نظنهم إلاَّ أبطال ومجاهدي المقاومة الإسلامية في لبنان وأبطال ومجاهدي المقاومة في فلسطين.

ومن الأدلة على حتمية زوال «إسرائيل» هي أنَّ دولة «إسرائيل» قائمة في أساسها على الظلم من خلال طرد جزء من الشعب

(١) سورة الإسراء، الآيات ٤ ـ ٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨.

الفلسطيني من أرضه، وباقية من خلال الظلم عبر استمرار اعتداءاتها على الشعب الفلسطيني في الداخل والشتات وعلى باقي شعوب المنطقة العربية والإسلامية، وهذا الظلم بحسب السنن الإلٰهية والتاريخية لا بد له وأن يزول «فالملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم»، فكيف إذا جمعت «إسرائيل» بين الشرك والجحود ومعاندة الله من جهة والظلم الذي لا مثيل له من جهة أخرى؟

ومن الأدلة انَّ «إسرائيل» تهدف إلى القضاء على الإسلام والإساءة إلى نبي هذا الدين العظيم محمد بن عبد الله ﷺ، والله تعالى وعد بأن يحفظ دينه وأن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون، لذلك لا بد أن تكون عاقبة الصراع بين الإسلام ومجاهديه من جهة، وبين «إسرائيل» من جهة ثانية، الفناء والزوال «لإسرائيل» وبقاء الإسلام وسيادته وعزته.

ومن الأدلة أنَّ «إسرائيل» ككيان لا تملك مقومات البقاء والصمود في المنطقة بلا دعم أجنبي وتحديداً غربي وأخيراً أميركي لا محدود، وهذا الدعم ليس أبدياً فعندما يتوقف لأي سبب فهذا يعني انهيار وزوال «إسرائيل» أيضاً.

إنَّ التأمل في الكثير من المسائل حول نشوء وبقاء هذا الكيان وما أحاط به من ظواهر غير سليمة، وتتبع الأحداث التي نجمت عن وجوده غير الطبيعي وممارساته العدوانية وإفساده حتى يومنا الحاضر، يجعل الإنسان يحشد الأدلة التي تفيد بمجموعها بداهة مستقبل هذا الكيان الغاصب وهو الفناء والتدمير.

وإذا كان الحديث الشريف يقول لنا «بأنَّ الحجر الغصب رهن بزوال البيت»، فكيف إذا كان كل البيت والأرض مغصوبين.

لذلك لن أطيل هنا الكلام عن أمر بديهي ومقطوع، وسأحاول الإجابة على السؤال الآخر وهو متى وكيف ستكون نهاية هذا الكيان؟

الجواب أنَّ ذلك قريب وأقرب ممَّا يتصور الكثيرون من غير دخول بتحديد تاريخ دقيق، لأنَّ ذلك ليس مهماً جداً رغم وجود بعض الدراسات والروايات المنقولة حتى عن طريق محققين بعضهم من اليهود قد تشير إلى تواريخ محددة لزوال مملكة «إسرائيل» في هذا القرن، غير أنني لا أدخل من هذا الطريق بل أحاول أن استشف من التطورات والتحولات السريعة التي جرت في الآونة الأخيرة ما يؤكد سرعة هذا الزوال اليقيني والحتمي والسريع.

قبل العام ألفين وهو عام انتصار لبنان بالمقاومة وبداية انتصار فلسطين بالانتفاضة، كانت الأوضاع تدلُّ على أنَّ «إسرائيل» ماضية في مشروعها «إسرائيل» العظمى من خلال تسريع عملية التسوية والتطبيع مع العرب، وقد بذلت جهود حثيثة من قبل أميركا و«إسرائيل» لإسقاط المسار التفاوضي السوري عبر الاتفاق مع سوريا مقابل بعض الجولان، وكذلك كانت تضع اللمسات الأخيرة لحسم ملف الوضع النهائي مع الفلسطينيين بعد أوسلو لإقفال هذا الملف نهائياً وفتح الباب واسعاً أمام دخول «إسرائيل» إلى النسيج العربي والإسلامي سياسياً وأمنياً واقتصادياً وثقافياً عبر التطبيع الذي بدأ حتى قبل إقفال الملف الفلسطيني نهائياً، ويكفيك مثالاً أنَّ «إسرائيل» في نهاية الألفية الثانية كانت تحضر في الجلسات والمؤتمرات المالية والمائية والاقتصادية والسياسية في العالم العربي والإسلامي والشرق الأوسط إلى جنب دول المنطقة كدولة أساسية ومهمة، بل دولة يراد لها أن تكون نموذجاً وقدوة لباقي الدول في

وقت كانت تغيب عن تلك الجلسات سوريا ولبنان من الدول العربية فقط.

وبعبارة أخرى كانت الصهيونية العالمية بقيادة أميركا تدفع الكيان الإسرائيلي دفعاً قوياً باتجاه عرش «إسرائيل» العظمى التي تتحكم من خلاله بنفط ومياه واقتصاد الشرق الأوسط بأكمله، وكانت «إسرائيل» بسياسييها ومتدينيها ومعها أميركا العلمانية!! تخططان للاحتفاء بالعام ٢٠٠٠ ميلادي الذي هو عام النصر للمشروع الصهيوني اليهودي بحسب رواياتهم وقراءاتهم وأمانيهم، وزعم حاخاماتهم بحيث يكون العام الأخير من الألفية الثانية هو نهاية العالم الذي يحتفظ بذاكرته بانتصار «إسرائيل» العظمى!!

وشاء الله تعالى أن يكون نفس العام ألفين الميلادي هو عام انتصار المقاومة في لبنان وانطلاق الانتفاضة في فلسطين، حيث جعلت الانتفاضة الكيان الغاصب ينكفىء من مواقع السعي باتجاه «إسرائيل» العظمى إلى موقع الدفاع عن الكيان في أزقة القدس وتل أبيب عند ساحل البحر في شريط من الأرض لا يكفي لتأمين أمن دولة صغيرة في هذا العالم، وشُغلت «إسرائيل» دولة ومجتمعاً وجيشاً ومؤسسات بنفسها، وشغلت معها سيدة العالم!! فلا جلسات إقليمية ولا دولية ولا تطبيع ولا مفاوضات ولا علاقات.

«إسرائيل» التي كانت قبل أشهر تخطط لتقاسم المياه مع تركيا والبترول مع دول الخليج وتعرض خدماتها المختلفة على دول المنطقة في هذا العالم الثالث لم تعد تهتم بأكثر من أمن مواطنيها بل أمن مسؤوليها وجنرالاتها الشخصي، الهجرة إلى فلسطين توقفت أو كادت والهجرة المعاكسة بدأت، السياحة التي تشكل حاجة

حيوية «لإسرائيل» على مستوى الارتباط بالغرب واستدرار عطفه عبر زيارة أماكن العبادة المسيحية واليهودية، فضلاً عن أهميتها للاقتصاد الإسرائيلي، وصلت إلى حد الشلل، النمو العام للاقتصاد بدأ يتناقص بشكل مرعب، والأهم أنَّ الرعب قد تملك أفراد المجتمع الصهيوني في كل فلسطين المحتلة، ليصيب بذلك عصب الحياة في هذا الكيان، حيث تجد اليهود ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾(١). وبكلمة واحدة فإنَّ المجتمع الصهيوني لم يعد مستعداً لتحمل الخسائر أو التضحية من أجل «إسرائيل».

وعليه إذا كانت المقاومة الإسلامية في لبنان قد احتاجت لثماني عشرة سنة لطرد «إسرائيل» من أرضنا، فلماذا لا يفعل الفلسطينيون ذلك وفي مدة أقل ربَّما، مع ما نشهده من فعل استشهاد وتضحية لا نظير له، في مدن وقرى فلسطين، وبالنظر إلى شراسة المواجهة واحتدامها وكونها في قلب فلسطين وليس على التخوم والأطراف والأكناف، وهذا ما أشار إليه قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي دام ظله في معرض حديثه حول انتصار المقاومة في لبنان بحضور قيادة المقاومة الإسلامية وعلى رأسها السيد حسن نصر الله، حيث يفهم من كلام سماحته أنَّه يعتقد أنَّ مسألة تحرير فلسطين قد لا تستغرق الوقت الذي احتاجته المقاومة الإسلامية في لبنان لطرد المحتل، وفي كلمة أخرى لسماحته خلال استقباله أعضاء جمعية الدفاع عن الشعب الفلسطيني أكد سماحة القائد «أنَّ جيل اليوم سيشهد تحرير فلسطين المحتلة بإذن الله تبارك وتعالى»(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية ٩٢.

(٢) الانتقاد: ٤/١/٢٠٠٢.

قائد المقاومة في لبنان السيد حسن نصر الله بدوره ألمح مراراً إلى أنَّ زوال هذا الكيان حتمي وقريب، واستدل على ذلك بأدلة وأساليب متعددة، منها ما هو مرتبط بالواقع وتحليل النتائج والأحداث ومنها ماهو مرتبط بأُمور معنوية ووعود غيبية، وحتى لا يخلو هذا البحث من رؤية سماحته حول الموضوع نورد مقطعاً من كلمة له كان ألقاها في يوم شهيد حزب الله بعد انطلاقة الانتفاضة وممَّا قاله: «سنة ٢٠٠٠، سنة عظيمة ومباركة وهذه السنة هي سنة سقوط مشروع «إسرائيل الكبرى» بالكامل وهي سنة اقتراب سقوط «إسرائيل العظمى» أيضاً، بدأ سقوط «إسرائيل الكبرى» منذ ١١ ت٢ ١٩٨٢[1] وانتهت هذه المرحلة في ٢٥ أيار ٢٠٠٠ باندحار العدو الصهيوني عن جزء كبير من جنوب لبنان بلا قيد ولا شرط، بعد انتصار المقاومة تحرك الشارع الفلسطيني، وحسم الشعب الفلسطيني خياره، وكانت الانتفاضة، هذه الانتفاضة ودماء الأطفال في فلسطين التي استنهضت وهزت العالم العربي والإسلامي وحركت الشارع وأحرجت الحكومات وأسقطت مفتاح «إسرائيل العظمى» التي تقوم على التطبيع. كل ما فعله الحكَّام والولايات المتحدة و«إسرائيل» خلال سنوات إنهار في لحظة واحدة، تلك اللحظة التي كانت فيها دماء الشهيد محمد الدرة تنزف على شاشات التلفزة» وأكد سماحته أنَّ «الوقائع والنبؤات تقول لنا إنَّ «إسرائيل الكبرى» سقطت والعظمى كذلك، وأنَّ انتصار المقاومة في لبنان وانطلاق الانتفاضة في فلسطين يؤسسان لمرحلة زوال «إسرائيل» ولن يستطيع أحد أن

---

(١) يوم عملية الاستشهادي أحمد قصير ضد مقر الحاكم العسكري «الإسرائيلي» في مدينة صور والتي أدت إلى مقتل عشرات الضباط والجنود الصهاينة.

يوقف هذه الانطلاقة، وما نشعر به يشعر به حاخامات اليهود والأحزاب اليهودية بمختلف اتجاهاتها»[1].

أميركا السقوط المريع

بعد سقوط الاتحاد السوفياتي السابق عام ١٩٨٩ وجدت الولايات المتحدة الأميركية نفسها القوة العظمى الوحيدة، ما دفعها إلى تغيير سياساتها الاستعمارية من سياسة الهيمنة عبر استخدام قوة الدبلوماسية والإقناع والتسويات، إلى سياسة السيطرة بالاعتماد على القوة العسكرية عبر الحضور أو الاحتلال المباشر للبلدان التي تسعى إلى فرض قراراتها عليها، وهكذا تكون أميركا قد تحولت إلى إمبراطورية تتصرف كما تصرف من جاء قبلها من الإمبراطوريات مستفيدة من تفوقها العسكري الكاسح.

وهذه السياسة الجديدة لم توفر حتى حلفاء أميركا بالأمس؛ فها هو مستشار الأمن القومي السابق «بريجنسكي» يصف حلفاء أميركا علناً في كتابه «رقعة الشطرنج الكبرى» بأنَّهم «توابع وخدم ودافعو جزية» في حين كان يقول ديفيد روخكوف أحد كبار المسؤولين في عهد الرئيس بيل كلينتون «على الأميركيين ألا ينفوا الحقيقة بأنَّه من بين كل أُمم العالم أمتهم هي الأكثر عدلاً، والأفضل كنموذج للمستقبل»[2].

إنَّ ما تقوم به أميركا اليوم هو ليس إلاَّ تكراراً مملاً للسياسات التي مارستها كل الإمبراطوريات الأخرى في التاريخ، والتي تستند إلى الصلف والعنجهية ورفض مشاركة أيٍ كان في السلطة العالمية.

---

(١) العهد: ١٧ تشرين٢، ٢٠٠٠.

(٢) الوسط: ٢٥ تشرين٢، ٢٠٠٢.

والحقيقة التي تؤكدها الشواهد التاريخية الكثيرة والوقائع الجارية إنَّ كل صرخات الهيمنة والسيطرة الأميركية، ومظاهر التفرعن والتجبر في الآونة الأخيرة ليست دليل قوة بل دليل ضعف وليست مؤشراً على صعود أميركا بل على انحدارها.

إيمانويل فاليرشتاين الباحث الأميركي البارز ومؤلف كتاب «نهاية العالم كما نعرفه» يقول: السلام الأميركي انتهى، والتحديات من فيتنام إلى البلقان والشرق الأوسط و١١ أيلول كشفت حدود التفوق الأميركي! والسؤال الآن هو هل تخبو أميركا بهدوء أم ان المحافظين الأميركيين سيقاومون وبالتالي سيحولون الانحدار التدريجي إلى سقوط خطير وسريع».

وفي الجواب يقول الكاتب: وجدت الولايات المتحدة نفسها القوة العظمى الوحيدة، لكنَّها كانت قوة لا تملك الحقيقة، وزعيمة عالمية لا يتبعها أحد، وقلَّة يحترمونها وأمة تنجرف بشكل خطير نحو فوضى عالمية لا تستطيع السيطرة عليها... إنَّ توجهات الصقور الأميركيين المحافظين الراهنة لفرض الهيمنة الأميركية بالقوة ستفشل لأسباب عسكرية واقتصادية وأيديولوجية، فأميركا وعلى رغم كل جبروتها العسكري الراهن لن تستطيع في النهاية تحمل الخسائر البشرية والمادية الباهظة لأدوارها العسكرية... إنَّ أميركا هزمت في فيتنام وفشلت في تحقيق أهدافها في حروب كوريا والخليج ولبنان»(١).

إنَّ السنَّة الإلٰهية في الخلق تؤكد بما لا يقبل الجدل سقوط

---

(١) الوسط: ٢٥ تشرين٢، ٢٠٠٢.

أميركا، فأميركا ليست استثناءً، بل على العكس هي المصداق الأبرز للتجبر والتفرعن والاستعلاء والفساد بكل أنواعه عبر تاريخ البشرية، وأنَّه لمن المؤكد أنَّنا لا يمكن أنْ نقايس الصفات الطاغوتية لأميركا مع صفات طاغ مرَّ على سطح هذا الكوكب، نعم يمكن أن نجمع كل الصفات السيئة التي بدرت من جميع الفراعنة والطغاة والجبابرة والنماردة والعتاة، لنجدها جميعها مجتمعة في الطاغية الأميركي وبدرجات أشد وأعلى.

إنَّ الأدلة والشواهد على سقوط أميركا وسيرها نحو الهاوية أكثر من أن تحصى، ونورد بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

أولاً: الأدلة التي أوردناها حول حتمية زوال «إسرائيل» تصلح في الجملة هنا، ولا سيما من خلال شراكة أميركا الكاملة مع «إسرائيل» في معاندتها لله وشركها وكفرها به إضافة إلى ظلمها للشعب الفلسطيني وشعوب المنطقة.

ثانياً: «إنَّ ما بُني على الباطل فهو باطل» وهكذا هي أميركا التي أسست على جماجم ملايين المظلومين من الهنود الحمر السكان الأصليين لأميركا، أو من سود أفريقيا الذين جيء بهم من مواطنهم الأصلية عبيداً أرقاء في خدمة العنصر الأميركي الأبيض، أو غيرهم من مظلومي العالم ولا بد للباطل يوماً من الفناء.

ثالثاً: ان الولايات المتحدة تختزن في داخلها العديد من بذور فنائها، كالتميز العنصري والطبقي، والتفاوت الاجتماعي الهائل بين الأغنياء والفقراء، والتفسخ الاجتماعي والأخلاقي، والفراغ الروحي الذي يؤدي إلى حالات انتحار بائسة بعشرات الآلاف سنوياً، وغيرها من القضايا التي تتهدد أميركا من الداخل، يضاف إليها بعد

أحداث ١١ أيلول فقدان قدر مهم من الأمن الشخصي بل والحرية الشخصية من خلال الإجراءات التعسفية والاحترازية التي تقوم بها السلطات الأميركية.

رابعاً: نفس النظام السياسي والاقتصادي المعبر عنه بالنظام الرأسمالي والديمقراطي والليبرالي الحر، هذا النظام مليء بالثغرات الكفيلة بالقضاء عليه من الداخل، ويكفي ان أشير إلى أنّه في المسألة السياسية فإنَّ نظام الانتخابات في أميركا قد يأتي برئيس لأميركا يحكم أميركا (والعالم) بأكثرية قد لا تتعدى ثلث الشعب الأميركي، وهو ما حصل بالنسبة لبوش الابن، وفي المسألة الاقتصادية فإنَّ أميركا تعاني اليوم من مشاكل اقتصادية قد لا تكون موجودة حتى في بعض البلدان النامية.

خامساً: مواجهة أميركا للعالم وإدارة الظهر له، عبر تعطيل المنظمات الدولية من خلال تجاوزها وعدم الاكتراث بها كما حصل في الحرب على العراق، وهذا العالم الذي عبر بقوة عن امتعاضه من التفرد الأميركي في قرار الحرب على العراق، سيعبر في المستقبل عن معارضته للسياسات الأميركية اللاحقة بطرق مختلفة ستؤدي قطعاً إلى عزلة وسقوط المارد الأميركي.

سادساً: وكما أشرنا سابقاً فإنَّ السنة الأكيدة في الخلق ودروس التاريخ الواضحة تحتم أن تلاقي الإمبراطورية الأميركية مصير سابقاتها من الإمبراطوريات التي سادت في يوم من الأيام عبر الظلم لكنَّها سرعان ما هوت بسبب ظلمها وتعسفها.

إنَّه لمن المؤكد أنَّ الإمبراطورية الأميركية قد وصلت إلى أعلى قمة الاستعلاء والاستكبار وجنون العظمة، بعد أن كانت قد وصلت

إلى القمة على مستوى الحضارة المادية، من صناعة وتقنية وتكنولوجيا ورفاهية وما شاكل ذلك، وهي بحسب السنن أيضاً لا يمكن أن تمكث طويلاً في القمة ولا بد لها من الانحدار، والسؤال هل يكون هذا الانحدار تدريجياً، أم يكون سريعاً ومدوياً ومدمراً؟

والجواب بنظرنا هو الثاني وبأسرع من أي توقع وبطريقة الصدمة التي تحطم معها كل ما بُني من أمجاد باطلة وزائفة، والسبب في ذلك برأيي هو ما صاحب هذا الصعود الحضاري المادي من التكبر وجنون العظمة والهوس، يضاف إلى ذلك الارتباط بـ«إسرائيل» والصهيونية العالمية، هذا الارتباط سيكون له حتماً نتائج وخيمة على الولايات المتحدة الأميركية، لأنَّ اليهود معروفون في التاريخ بأنَّهم لا يحبون أحداً ولا يريدون الخير لأحد، وهم حاضرون لتدمير العالم من أجل مصالحهم، وهذا ما يفعلونه اليوم، فهم يجرون أميركا إلى حتفها المحتوم عبر مجموعة كبيرة مع الأسف من المواطنين الأميركيين لا سيما المتواجدين بقوة في الحياة السياسية والاقتصادية في أميركا، وخاصة في هذه الإدارة الحالية التي يرأسها مجموعة من المهووسين بجنون العظمة والمأخوذين بالنبوءات التوراتية لنهاية العالم على طريقتهم، وهم الرئيس الأميركي بوش الابن وفريقه.

إنَّنا نعتقد أنَّ قرار أميركا الذي اتخذته بالتسلط على منطقتنا العربية والإسلامية والذي تجسد حتى الآن باحتلال أفغانستان والعراق وبتهديد دول أخرى بالحرب والغزو هو قرار الخطأ التاريخي بالنسبة لأميركا والذي كان الدافع الأول إليه بنظرنا مساندة «إسرائيل» وحمايتها إلى جنب الدوافع الاستعمارية الأخرى... وعليه فإنَّنا من خلال معرفتنا بما تحمله شعوب المنطقة من روحية رفض الظلم

والاحتلال، ومع ما نراه من فعل مقاوم في لبنان وفلسطين، وبداية مقاومة في أفغانستان والعراق وحركة بغض وتنفر في كل ساحات أوطاننا من أميركا، وإضافة وهو الأهم أنَّ أميركا في مجيئها إلى منطقتنا بقصد مساندة «إسرائيل»، تشكل خطراً كبيراً على حاضر ومستقبل الدين الإسلامي وخطراً على القرآن الكريم الذي تعهد الله تعالى بحفظه وصيانته وخطراً على مقدسات المسلمين، وفي الحقيقة هو خطر على أساس الدين الحق في العالم، والله تعالى وعد بأن يحفظ دينه وينصر رسله، بل وأن يظهر الدين الحق على الدين كله.. وهو أصدق القائلين: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(١).

لهذا كله فإنَّنا نعتقد أنَّ هزيمة أميركا ونهاية ظلمها بإذن الله ستكون على أيدي المقاومين والمجاهدين من أبناء أُمتنا، وسوف تندم أميركا على قرارها هذا بالمجيء إلى المنطقة لحماية شريكها الإسرائيلي والذي نأمل بإذن الله تعالى أن يكون زواله قريباً أيضاً.

إنَّنا ننظر إلى هذا الأمر على قاعدة «الخير فيما وقع» والتي تعلمناها من الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه كما تعلمنا منه التفاؤل الكبير بسقوط «الشيطان الأكبر»، فلعلَّ التقدير الإلٰهي بأن تُستدرج أميركا إلى المنطقة لتذوق وبال مساندتها «لإسرائيل»، على يد عباد الله الصالحين الذين آذتهم «إسرائيل» وظلمتهم بقسوة، والأمل بأن تشهد السنوات القادمة مزيداً من التوحد في الأمة حول المقاومة الجادة «لإسرائيل» وأميركا وأن تتواصل هذه المقاومة حتى الخلاص من كلا الاحتلالين معاً وهما في الحقيقة احتلال واحد.

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٢.

إنّنا ومن خلال كل ما ذكرناه متفائلون بهذا المستقبل الواعد للأمة ولفلسطين والقدس، مستقبل الحرية والتحرر من «إسرائيل الصغرى» و«الكبرى» و«العظمى»، والتحرر من أميركا سواء عبر احتلالها المباشر أو هيمنتها بقطع يدها عن كامل منطقتنا العزيزة.

بل نحن على ثقة أنَّ العالم كله سيرتاح من شر هذا «الشيطان الأكبر» بعد أن تكون الإمبراطورية الأميركية قد زالت وصارت إلى متاحف التاريخ إلى جنب نظيراتها من الإمبراطويات القديمة رومانية أو فارسية، والحديثة كالنابليونية أو الهتلرية، أو حتى السوفياتية التي سبقت أميركا إلى متاحف التاريخ السياسي.

إنَّ الأمل بعد الله تعالى معقود على عزيمة المجاهدين وصبر المقاومين الذين سطروا النماذج الرائعة في لبنان وفلسطين وأثبتوا أنَّ «إسرائيل» التي كان يُظن بأنَّها إلٰه هذه المنطقة الذي لا يهزم قد هزمت، وكانت أوهن من بيت العنكبوت، وأميركا التي نصبت نفسها إلٰها للعالم اليوم هي ليست غير نمرٍ من ورق لا تخيف إلاَّ الضعفاء المهزومين، أمَّا المؤمنون الصادقون والمقاومون الشجعان فإنَّهم يتطلعون إلى منازلة حاسمة مع هذا الغازي المتكبر لا تكون نتيجتها بإذن الله تعالى إلاَّ السقوط المريع لأميركا ومعها ربيبتها «إسرائيل».

مستقبل العدل المنتظر

مرَّ في بعض الفصول السابقة الإشارة بإيجاز إلى البعد الديني إلى جنب الخلفية السياسية والاستعمارية للهجمة الأميركية الصهيونية الإسرائيلية على المنطقة، وتداخل الديني بالسياسي، والحقيقة فإنَّ هذه نقطة هامة لا ينبغي تجاهلها، باعتبارها واقعاً متنامياً ومؤثراً في

الأحداث الجارية وسيكون لها مدخلية على ما يبدو في تحديد ملامح مستقبل هذه المنطقة والعالم.

وبالمقابل فإنَّ الخط المقاوم «لإسرائيل» وأميركا في منطقتنا أيضاً يمتاز بالبعد الديني الذي ينطلق منه في دفاعه عن الأمة في وجه الأخطار النازلة بها، لذلك كان من المهم جداً أن يعرف القارىء شيئاً عن هذه الخلفيات الدينية في كلا المعسكرين لتتضح صورة الحاضر وأفق المستقبل في هذا الصراع الكوني.

يعتقد اليهود ومعهم جماعة من المسيحيين في أمريكا وبريطانيا وبعض الدول الأخرى من أتباع المذهب البروتستانتي والذي ظهر مع ما يسمى بحركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر وتبعاً للتفسير الحرفي للتوراة والإنجيل (المحرفين أصلاً)، أنَّ بداية الألفية الثالثة ستشهد نهاية العالم وقيام معركة فاصلة بين قوى الخير وقوى الشر، يعود معها المسيح إلى الأرض «فقد ذكرت صحيفة الواشنطن بوست الأميركية نقلاً عن تقرير صادر عن المكتب الفيدرالي الأميركي في ٢٠ تشرين الأول ١٩٩٩ أنَّ المتطرفين المسيحيين الأميركيين يستعدون للقيام بأعمال عنف كبيرة في بداية القرن الواحد والعشرين داخل الولايات التحدة... وأنَّ هذا العنف المتوقع سيكون راجعاً لاعتقاد الذين يؤمنون بالإنجيل بأنَّ نهاية العالم ستكون في الألفية الثالثة، ويشير التقرير إلى أنَّ هناك توترات يمكن أن تحدث بين المسلمين واليهود في القدس استناداً للأسطورة ـ التي يؤمن بها مسيحيون ويهود ـ والقائلة بأن منطقة هرمجيدون التي تقع جنوب فلسطين ستشهد حرباً بين الخير (اليهود) والشر (المسلمبن) وسينتصر فيها الخير، كما سيتم استخدام الأسلحة النووية في هذه الحرب وسيباد كل المسلمين وسيعود العالم مرة

أخرى إلى حالته البدائية، ويضيف التقرير أن الآلاف من السياح الأميركيين بدأوا يتوافدون على «إسرائيل» للاشتراك في هذه المعركة، وجاء في التقرير أيضاً انَّ هذه الحركات قد تستغل اقتراب العام ألفين من أجل التعجيل بـ«نهاية العالم» وهي تعتقد أنَّها باتت قريبة»[١] . . .

والحقيقة باتت تؤكد لا سيما عبر الخطوات الخرقاء وغير المنطقية للإدارة الأميركية الحالية أنَّ هذه الإدارة ترى أن احتلال أفغانستان والعراق وإشعال الحرب في المنطقة أمر حتمي لا بد منه وغاية لا بد من إيجاد المبررات لتسويغها مهما كان الثمن، وكأننا أمام قدر مكتوب أو وصية مقدَّسة لا بد من تنفيذها بحذافيرها مهما بلغت التكاليف، اعتقاداً منهم أنَّهم ينفذون إرادة الله على الأرض وأنَّ الله اختار العنصر الانغلوسكسوني لقيادة العالم وتنفيذ إرادته انطلاقاً من إيمانهم بخرافات ونبوءات توراتية مزيفة ومحرفة أعطت اليهود ودولة «إسرائيل» دوراً مركزياً في إعادة رسم وتشكيل وجه العالم.

إنَّ أخطر ما في هذا البعد الديني الداخل في الخلفية السياسية والاستعمارية لأميركا و«إسرائيل» هو ان صناع القرار في هاتين الإدارتين هم من أشد المؤمنين بهذه الخرافات وأنَّ بيدهم الوسائل التي تمكنهم من تدمير هذا العالم وصناعة «هرميجدون» من خيالهم المريض والمليء بالتفاهات والأفكار المحرفة، وهم قد بدأوا على ما يبدو بالشروع في تحقيق خيالاتهم وترهاتهم الشوهاء.

---

(١) اللواء: ٢٠٠١/٩/٢٦.

ونحن الذين نعتقد من خلال قرآننا وإسلامنا بيوم ينتهي فيه هذا العالم، ونؤمن أيضاً ان نبي الله عيسى المسيح عليه السلام سيحضر إلى الأرض قبل هذا اليوم، فإنَّنا نفهم على نحو الحقيقة لماذا يأتي المسيح وماذا يفعل؟ إنَّ ما نتفق فيه مع هؤلاء المعتوهين هو في أصل عودة المسيح عليه السلام ودوره في تغليب الخير على الشر، ولكننا نختلف معهم في النظرة إلى المسيح عليه السلام وصفاته وماذا سيفعل ومن هو الخير الذي سيساعده ومن هو الشر الذي سيحاربه، إنَّ المسيح الذي ينتظرونه هم ليس موجوداً أصلاً في هذا العالم ولن يهبط إلى الأرض لأنَّه الشخص الذي يريدون منه أن يأتي لإعانتهم على عدوانهم ومساعدتهم في ظلمهم ومباركة كل فسادهم وانحرافاتهم التي أوجدوها منذ أن رفعه الله إليه بعيداً عن ظلمهم وكي لا يقتلوه أو يصلبوه، إنَّ هذا المسيح الذي ينتظره هؤلاء ليس موجوداً إلاَّ في مخيلاتهم الهليودية الزائفة ونبؤاتهم التوراتية المحرفة.

أما المسيح عليه السلام الذي ننتظره نحن والذي يأتي مع إمامنا المهدي المنتظر عليه السلام فهو عيسى بن مريم نبي الرحمة والطهارة والاستقامة والعفة والعدل والتسامح، وهو إنَّما يأتي مع حفيد خلفه النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله رسول الإسلام العظيم ليردع أمثال هؤلاء الأتباع المنحرفين عن ضلالهم ويعيدهم إلى رشدهم بعد أن أضلهم سامري هذا العصر «إسرائيل» والصهيونية، ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾(١).

إنَّ عيسى عليه السلام سيكون الشاهد في ذلك اليوم على انحراف

---

(١) سورة النساء، الآية ١٥٩.

هؤلاء الأتباع وإنحيازهم إلى جانب اليهود قتلة الأنبياء ومحرفي السنن وناكثي العهود، وسيكون في جبهة الحق وإلى جنب المظلومين والمقهورين والعراة والجائعين ومُنتهكي الكرامة وهم ملايين ملايين البشر من البيض والسود والحمر ومن كافة قارات هذا العالم وأديانه الذين تعرضوا للاستضعاف والقهر على يد الصهيونية العالمية وأميركا و«إسرائيل»، وسوف يحمل عيسى عليه السلام السيف مع الإمام المهدي عجَّل الله فرجه ليعيد الكرة ثانية ويخرج هذه المرة اللصوص العالميين من الهيكل، وينهي هذه المهزلة الكبيرة.

ونحن في خلفيتنا الدينية للصراع مع قوى الشر هذه ننطلق من رحابة الإسلام وعدالته الإنسانية، فليس قتالنا لهؤلاء الأعداء ينطلق من عصبية قومية أو عرقية أو حتى دينية بمعنى الاختلاف في الدين والعقيدة، ولا ننطلق من مصلحة نفعية ولا من أطماع تجاه الآخر، ولا كراهية به لكونه آخر أو مختلف أو أي شكل من أشكال التمييز العنصري أو الطبقي أو تبعاً للغة والجغرافية، إنَّما ننطلق في كل ذلك من دعوة الحق والتوحيد والعدالة والمساواة ورفض الظلم والاستكبار والدفاع عن الإنسان والإنسانية التي يريد هؤلاء مسخها وتشويهها إلى الحد المرعب.

إنَّنا نقف في وجه التشويه لكرامة الإنسان والتبديل لحقيقة الإنسان بما في ذلك الإنسان الذي يحاربنا ويظلمنا ويظلم نفسه والعالم.

إنَّ عظمة هذا النهج المقاوم «لإسرائيل» وأميركا والذي تجلى بأروع صوره في لبنان بقيادة حزب الله، وهو يتبلور في فلسطين بعد

أن انطلق من إيران الثورة والصمود ببركة نَفَس العبد الصالح الإمام الخميني قدس الله سره ويستمر بفضل النفحات القدسية للإمام الخامنئي دام ظله، هذا الخط والنهج الذي بات يلون أفق الأمة بلونه الثوري الصادق، هذه العظمة إنَّما كانت بفضل هذه الخلفية الدينية الصادقة والإنسانية الصافية، وهذه الأبعاد الكبيرة في الرؤية والفلسفة التي يتكىء عليها هذا النهج المقاوم، والأهداف العالية التي يحملها والمقاصد الشريفة التي يرومها... فالمقاومة في لبنان لم تكن يوماً مجرد قتال لتحرير الأرض من عدو غاصب أو جارٍ معتدٍ فقط بل كانت مقاومة آمن المجاهدون فيها بأنهم يقاتلون عدواً من هذا النوع ويقارعون «إسرائيل» بما تمثل من مشروع استكباري عالمي ذات أبعاد خطيرة على الإسلام والمسلمين وحتى على المسيحية وكل أديان العالم... ولذلك فإنَّ انتصار المقاومة في لبنان يمثل انتصاراً على هذا المشروع برمته.

إنَّنا ومن هذا الأفق وعبر هذه الخلفية للصراع ومن النافذة المضيئة للدين السماوي الخالص المتمثل بإسلام محمد بن عبد الله ﷺ ننظر إلى المستقبل ونعمل لهذا المستقبل الذي لا تكون فيه «إسرائيل» ولا يكون فيه مشروع كـ«إسرائيل» للصهيونية أو لغيرها، مستقبل ليس فيه أميركا التي ما عرفها العالم إلاَّ بالإرهاب والتعدي، وليس فيه أي نظام استعماري آخر يحمل صفات أميركا الإرهابية، مهما كان اسم ذلك النظام وفي أي رقعة من العالم كان ومهما كان اسم الدين الذي يرفعه تستراً على إجرامه.

كما إنَّنا نتطلع أيضاً إلى مستقبل يرتفع منه الجهل والعصبية العمياء والتخلف والكراهية والتفرقة في داخل جسم أُمتنا الإسلامية والعربية، فليست أميركا هي كل المشكلة وإن كانت سبباً لكثير من

الجهل والتخلف والمشكلات عندنا، وليست «إسرائيل» أيضاً فقط وراء تشتتنا وكثير من مشاكلنا، بل إنَّ هناك الكثير الكثير من المشاكل ليست وراءها «إسرائيل» ولا أميركا، بل المسؤول عنها هو العقد المتأصلة من الجهل والعناد والعصبية، والكثير من الأفكار والمفاهيم المشوهة والمغلوطة عن الدين والإسلام، وأطنان الغبار الناجم عن الظلم على الإسلام والمسلمين عبر تاريخ طويل من قبل المسلمين أنفسهم قبل أن يكتشف الأوروبيون أميركا وقبل أن توجد «إسرائيل»، هذا الغبار الذي غطى بكثافة الحقائق النورانية والتعاليم السمحة والأحكام الواضحة للإسلام والقرآن، فصار الإسلام غريباً بين المسلمين وعاد القرآن مهجوراً وإن تلي صباح مساء في المساجد وعلى جنائز الموتى.

إنَّنا ننظر إلى مستقبل لا تكون آخر انتصاراتنا فيه على أميركا و«إسرائيل»، وإن كان هذا الانتصار المرتقب سيكون مهماً ومفيداً في معركتنا التالية مع أنفسنا، مع جهلنا ومع التخلف المزمن الذي تحتاج المعركة فيه إلى إرادة وعزم وتصميم يفوق ما أعددناه في معركتنا وحربنا مع الصهيونية العالمية التي تمثل العدو الخارجي، والذي هو على ظاهر قوته ليس إلاَّ عدواً ضعيفاً وهزيلاً أمام عدونا الداخلي، أنفسنا الأمارة بالسوء وجهلنا وبؤسنا «أعدى أعداؤك عدوك الذي بين جنبيك»[1].

إنَّنا في حربنا التحررية المتواصلة مع أعداء الخارج «إسرائيل» وأميركا، ومعها وبعدها في حربنا مع «أعداء الداخل» الجهل والتخلف نستمد العزم والأمل من وعد الله تعالى الذي لا يخلف

---

(١) رسول الله ﷺ، بحار الأنوار: ج٧٠، ص٦٤.

وعده حيث الوعد الأكيد بالنصرة على كلا العدوين وتحقيق العدالة الشاملة والحرية الحقيقية في ظل عبودية الله العادل والعطوف، عندما يسود الدين الحق ويظهر على الدين كله ولو كره المشركون، وقد تأكد هذا الوعد أيضاً على لسان النبي الصادق والمصدق رسول الله محمد ﷺ الذي أجمع المسلمون على أن رسول الله قال: «لو لم يبق من الدهر إلاَّ يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»[1].

إنَّنا بهذا الأمل الكبير بالنصر نمضي في جهادنا الذي لا يلين لأعداء الله تعالى في هذا العصر أميركا «الشيطان الأكبر» و«إسرائيل» الغدة السرطانية، وبهذه الثقة بوعد الله نستمر في الدعوة إلى الله وإلى دينه الحق ليظهره الله على الدين كله.

وفي طريق الجهاد والعمل والدعوة إلى الله نمهد للمهدي سلطانه وننتظر قدوم ذلك اليوم الذي سيأذن الله تعالى فيه لحفيد نبينا الكريم محمد بن عبد الله ﷺ محمد بن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام بالظهور ليأخذ بأيدينا فيثبتها في طريق الجهاد المرير ضد الكفر والشرك والنفاق والعناد، ويمسح على رؤوسنا فيجمع عقولنا[2]، فترتفع بنا إلى مستوى الإنسانية الراقي، ويزيل من بيننا الجهل البسيط منه أو ذاك المركب في طبقات زادها تحجراً ظلم المسلمين لأنفسهم، عبر حقبات طويلة من الانحراف والضياع والافتتان بالدنيا، والحكم زوراً باسم الإسلام والدين، فيتحقق بهذا

---

(١) رسول الله ﷺ، كنز العمال: الحديث ٣٨٦٩٢..

(٢) مضمون رواية مفادها «ان الإمام في عصر ظهوره يضع يده على رؤوس أصحابه فيجمع عقولهم».

وذاك وعد الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(1).

ويتحقق قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(2) وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾(3).

وسيبقى مجاهدو المقاومة الإسلامية وحزب الله في لبنان على عهدهم الذي عاهدوا الله عليه وأقسموا بدماء شهدائهم على الوفاء به بأن يكونوا اسماً ومسمىً لحزب الله القرآني حيث التولي لله ولرسوله وأولي الأمر، علي والحسين وأبنائهما المعصومين عليهم السلام الذين تعلم أبناء حزب الله منهم حب الله ورسوله، وأن يكونوا أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، وأن لا يرتدّوا عن دينهم ولا يتركوا الجهاد طرفة عين أبداً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(4).

---

(1) سورة النور: الآية: ٥٥.

(2) سورة التوبة، الآية ٢٢.

(3) سورة القصص، الآية ٥.

(4) سورة المائدة: الآيات: ٥٤ ـ ٥٦.

بهذا العهد والوفاء به وبهذا الاسم والمضمون انطلقت المقاومة الإسلامية في لبنان وسار حزب الله في طريق المقاومة والجهاد طريق ذات الشوكة المضني، فكان النصر الإلهي في أيار ٢٠٠٠، وكانت له كل هذه النتائج والأبعاد والتداعيات والآثار المباركة، وبهذا العهد والاسم وبنفس الولاء الصادق للإسلام وقادته العظام سيمضي حزب الله لبنان تحت راية الولي الفقيه نائب الإمام المهدي عليه السلام وسيمضي معه الملايين من أبناء الأمة الشجعان في طريق الجهاد ليحققوا معاً النصر النهائي على أميركا و«إسرائيل» بإذن الله تعالى ليحرروا أوطانهم من الارتهان لطواغيت العالم والتقدم بعد ذلك إلى الإمام في طريق الحرية الأعظم حيث الخلاص من كل ظلم، وجهل وعسف وتحقيق العدالة الإنسانية الشاملة على يد العدل المنتظر عجَّل الله فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره وأعوانه ومقوية سلطانه والمستشهدين بين يديه، بحق محمد وآل محمد.

الفهرس

المقدمة ٥

الفصل الأول

لبنان في رحاب التحرير

تمهيد ١١

تحرير الأرض والإنسان ١٣

لمحة في جغرافية الشريط ١٤

استعادة المدن والقرى المحتلة ١٥

الغجر ١٧

العباسية ١٩

حانين ١٩

ميدون ٢٠

القرى السبع ٢١

كفرشوبا ٢٣

إستعادة إنسان الوطن ٢٤

أحرار الخيام ٢٥

ذخائر الشريط المحرر ٢٦

الأرض مع الكرامة ٢٧
استعادة الإرادة والقرار ٢٩
بنادق المقاومة ترسم الحدود ٣٠
حدود العام ١٩٢٣ .... ٣٢
التلاعب الدولي ٣٣
بداية التراجع الإسرائيلي ٣٤
هجوم لبناني معاكس ٣٥
الحرب في عناوين الصحف ٣٦
هكذا استرددنا ١٧ مليون م^{٢} ٤٠
حرب المياه ٤٤
الأطماع الصهيونية بالمياه اللبنانية ٤٥
سرقة المياه بعد الإندحار ٤٦
زيادة حدة أزمة المياه لدى الإسرائيليين ٤٦
المواجهة الأولى ٤٧
المشروع الذي استفز «إسرائيل» ٤٩
احتدام السجال ٥٠
فشل أميركي ٥١
مظلة المقاومة ٥٢
أيار ٢٠٠٠ يتجدد ٥٢
تحقيق الأمن وتعزيز الوحدة الوطنية ٥٤
مليشيا لحد ٥٤
الممارسات البغيضة ٥٥
إنهاء الفتنة ٥٧
المقاومة محور الوحدة ٥٧

يوم المرحمة ٥٨
قمة الوحدة والانتصار ٦٠
الأمن المستعاد ٦٠

الفصل الثاني

اسرائيل في طريق الزوال

تمهيد ٦٥
الهزيمة المبتوتة ٦٨
سيناريوهات متعددة ٧٠
وقائع الهزيمة ٧٦
يوميات الاندحار في الإعلام الإسرائيلي ٨٠
الزلزال في اعترافات المسؤولين الصهاينة ١٠٤
والصحافة تشهد ... ١١١

الفصل الثالث

المقاومة استمرار وتجذر

تمهيد ١٣١
جدل حول المقاومة ١٣٣
الخبر اليقين ١٣٤
لبنانية المزارع وأهميتها ١٣٥
الموقع والأهمية ١٣٧
الحماقة أبقتهم ١٣٨
الفاتحة أسرى ١٤٠

أسرانا وأمل العودة ١٤٣
ثلاثة + ١ .... ١٤٤
الانتفاضة كانت حاضرة ١٤٧
عودة الرعب ١٤٨
تواصل العمليات ١٥٠
خروقات وتصدي ١٥٤
حراسة الثغور ١٥٩
المقاومة الخيار الاستراتيجي ١٦٠

الفصل الرابع

فلسطين في خطى لبنان

تمهيد ١٦٧
من بيرزيت إلى بيروت ١٧٠
الانتصار في عيون الفلسطينيين ١٧٤
رعب لبنان أولاً ١٧٩
هذا النصر لكم ١٨٤
دعوات للاقتداء ١٨٦
أوسلو يترنح ١٩٢
حماقة شارون ١٩٥
الانتفاضة تشتعل ١٩٧
نهج المقاومة الإسلامية يتكرر ٢٠٣
الصمود الأسطوري ٢٠٦
حزب الله لن يترككم ٢٠٩
متاهة الطرق الأميركية ٢١٣

الوعي النادر ٢١٦
حصاد الانتفاضة والمقاومة ٢١٧
بالصبر فلسطين أكثر قرباً ٢٢٢

الفصل الخامس

شعاع في ليل الأمة

تمهيد ٢٢٧
من الضعف قوة ٢٣٠
عيد الانتصار في الأمة ٢٣٥
شهادات وكتابات ٢٤٨
الأمة تنتصر لحزب الله ٢٦٢
المنار نافذة الضوء ٢٦٦
نصر الله القيادة والمثال ٢٧٦
المقاومة وفلسطين طريق الوحدة ٢٨١

الفصل السادس

أميركا خط الدفاع الأخير

تمهيد ٢٩٣
الإرهاب الذاتي ٢٩٧
الحلف الجهنمي ٣٠١
محور الشر أم الخير ٣٠٤
عقدة حزب الله ٣٠٨
الانتفاضة أحرجتهم فأخرجتهم ٣١٢
١١ أيلول مدخل إلى العدوان ٣١٥

أفغانستان الحرب المشبوهة ٣٢٦
العراق البوابة الشرقية ٣٢٩
الانتفاضة هي الهدف ٣٣٢

الفصل السابع

آفاق المستقبل الواعد

تمهيد ٣٤٣
هل انتهى التاريخ!؟ ٣٤٧
الانتقام الإلهي ٣٥٢
مستقبل المقاومة في لبنان وفلسطين ٣٥٨
مقاومة العراق بدأت ٣٦٣
مستقبل النهضة في الأمة ٣٦٩
«إسرائيل» ستزول قريباً ٣٧٦
أميركا السقوط المريع ٣٨٣
مستقبل العدل المنتظر ٣٨٩
الفهرس ٣٩٩